جامعة عنابة

معهد اللغة والأدب العربي

البنية اللغوية لبردة البوصيري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة

اعداد الطالب :
رابح بوحوش

اشراف الأستاذ :
مختار نويوات

12/A
06

جامعة عنابة

معهد اللغة والأدب العربي

البنية اللغوية لبردة البوصيري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة

اعداد الطالب :
رابح بوحوش

اشراف الأستاذ :
مختار نويوات

1406 هـ — 1986 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب اشرح لي
صدري ، ويسر لي
أمري ، واحلل عقدة
من لساني ، يفقهوا
قولي

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى

أساتذتي الذين علموني العلم والأدب

وإلى زملائي الذين قاسموني عناء البحث

أقدم هذا العمل هدية تقدير وعرفان .

ر. بوحوش

بعض الرموز المستخدمة في الرسالة

- جا . م = جار ومجرور
- ج = جملة
- س، = سبب خفيف
- س̄ = سبب ثقيل
- ص = صائت
- ص ص = صائت طويل
- مفع = مفعول به
- م ص = مقطع قصير مفتوح
- م ص ص = مقطع طويل مفتوح
- م ص م = مقطع طويل مغلق
- م ص ص م = مقطع مغرق في الطول منته بصامت
- م ص م م = مقطع مغرق في الطول منته بصامتين
- م = صامت
- و = وتد مجموع
- وَ = وتد مفروق
- و ، ص ، م = وحدة صوتية متميّزة
- = الاتفاق
- ≠ = عدم الاتفاق
- (؟) = عدم ظهور العنصر في البنية السطحية
- (..) = مكان العنصر الموجود في البنية السطحية

المقدمة

مقدمة

يرمي هذا البحث إلى هدفين :

1 ـ وصف نظام اللغة العربية باعتماد نصّ شعريّ عربيّ يمثلها في طور من أطوارها ، ليبيّن أسرارها ، ومظاهر أستعمالها ، ويكشف عن مدى حظ الشاعر في التصرف في اللغة ، والأثر الذي يتركه فيها ، والخصائص التي تتميّز بها في شعره .

2 ـ الوصول إلى منهج علميّ يمكّن من دراسة الأدب ، لأن الأدب يمدّ اللسانيات[1] بمادة غزيرة وميدان خصب ، واللسانيات تبرز ما في هذه المادة من مقومات الإبداع وخصائصه . ومن هنا يفترض الباحث افتراضين أساسيين :

أ ـ أنّ اللسانيات تستطيع أن تضيف إلى المناهج التقليدية في دراسة الأدب .

ب ـ أنّ الإبداع في المادة الأدبية يتحقّق إمّا بعدول الأديب عن المألوف في نظام اللغة ، وإما بتصرفه في نظامها دون تجوّز أو خروج .

وقد ولّدت صلة اللسانيات بالأدب في ممارسة نصوصه مذهبا جديدا أطلق عليه اسم الأسلوبية (stylistique)، وهو علم يدرس الأسلوب من خلال الأعمال الأدبية[2]، وقد وضع أسسه الأولى

---

(1) اللسانيات (linguistique) تعرفها المعاجم اللسانية بأنها الدراسة العلمية للغة الانسانية . ويسّهل للقارئ العربيّ الاطلاع على هذا العلم ما كتبه الدكتور الحاج صالح عبد الرحمن بعنوان ، " مدخل إلى علم اللسانيات الحديث" أنظر مجلة اللسانيات ، الأعداد ، 1 ، 2 سنة 1971 ، و 3 سنة 1972 ، و 4 سنة 1973 ـ 1974 .

(2) Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique(stylistique)

العالم شارل بالّي (harlesbaly) أوائل هذا القرن في كتابيه : (محاولات في الأسلوبية الفرنسية[1]، و (المجمل في الأسلوبية)[2] ويعدّ ليو سبتزر (Leo Spetzer) من العلماء الذين ساهموا في تطويره ، وهو متميز بآرائه ومنهجيّته التي يدعو فيها إلى اصطناع الحدس (intuition) لتجلية الظواهر الأسلوبية التي تميّز الأديب من غيره[3].

وقد سعينا من هذا المنطلق إلى إبراز الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تميز البردة ، فحددنا عنوان البحث ب (البنية اللغوية لبردة البوصيري لأن المعتمد هي الأبنية : الصوتية والصرفية والنحوية .

وقد يقتضي ذكر البوصيري والبردة في هذه الرسالة تقديما ، يعرف بهما تعريفا ولو موجزا .

1 ـ البوصيري

هو شرف الدين أبو عبد الله بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي[4]، الدّلاصيّ المولد[5]، المغربيّ

---

(1). Traité de stylistique française

(2). Précis de stylistique

(3) Pierre Guirand, La stylistique, P.71-83

(4) استفاد البحث في تقديم البوصيري من جهود علي محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج 3 ، ص 362 ـ 369 . ومحمد أحمد صلاح ، البوصيري ومدائحه النبوية ، ص 43 وما بعدها ، ومقدمة ديوان البوصيري .

(5) كورة بصعيد مصر تشمل قرى وولايات واسعة ، ودلاص مدينتها .

الأصل ، البوصيري المنشأ[1]، من قلعة بني حمّاد ببلاد المغرب ، من قبيل يعرفون (ببني حبنون)[2]، ولد سنة (608 هـ / 1212 م)، وتوفي بالأسكندرية سنة (696 هـ / 1297 م)[3] .

ويبدو أن البوصيري في صغره قد بحث عن أسباب الثقافة ، فحفظ القرآن ثم درس الأدب والعلوم الدينية ، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض ، كما أخذ آداب التصوف عن أبي العباس المرسي[4] خليفة أبي الحسن علي بن عبد الله[5]، مؤسس الطريقة الشاذلية[6]، وقد تأثر بتعاليمها ، وظهر أثر ذلك في شعره واضحا[7] .

---

(1) بوصير أو أبوصير اسم لأربع قرى بمصر .

(2) الزركلي ، الأعلام ، مجلد 7 ، ص 11 .

(3) المؤرخون مختلفون في سنة وفاته .

(4) هو أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري ، الملقب بالمرسيّ نسبة إلى مرسية بالمغرب ، ويكنى بأبي العباس ، نشأ في مرسية ، وفقد أباه وأمه وهو صبيّ ، فاتصل هو وأخوه عبد الله محمد بالشيخ أبي الحسن الشاذليّ في تونس ، فاحتضنهما وحنا عليهما . وظل المرسيّ ملازما للشاذليّ زاهدا متعبدا حتى جعله شيخه وارث طريقته من بعده ، (انظر د . علي صافي حسين ، الأدب الصوفي ، ص 78 - 79 .

(5) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشاذليّ نسبة إلى شاذلة بالقرب من تونس ، انظر ابن الصباغ ، درة الأسرار ، ص 155 . ود . علي صافي حسين ، الأدب الصوفي ، ص 60 - 61 .

(6) هذه الطريقة اشتهرت في المشرق والمغرب ، وهي تقوم على مبدإ أساسيّ يتمثل في أن للشريعة ظاهرا وباطنا ، فالظاهر جسمها والباطن روحها وكلاهما يكمل الآخر ، وبهما يتحقق الدين كاملا (انظر د . علي صافي حسين ، الأدب الصوفي ، ص 72)

(7) مقدمة ديوان البوصيري ، ص 7 . وانتهى إلى النتيجة نفسها الأستاذ المشرف .

ورحلات البوصيري متنوّعة ، فقد ذهب إلى بيت المقدس ، وقضى بها عشر سنوات ، ثم الى المدينة ، فمكة ، فبلبيس [1] ، وبها اشتغل مباشرا [2] .

وكان صاحب البردة من الخطّاطين الماهرين ، والمحدثين ، والقراء المشهورين ، وقد كان محل اعجاب الشعراء والعلماء ، فأحمد شوقي يقول فيه [3] (بسيط) :

" الماد جون وأرباب الهوى تبع ∴ لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
الله يشهد أني لا أعارضه ∴ من ذا يعارض صوب العارض العرم "

ودوزي (Dozy) يقول فيه أيضا [4] : إنه عجيب رهيب ، كما ذكر ابن حجر الهيتمي بأنه من عجائب الله في النثر والشعر [5] . غير أن نثره ضاع ، وكلّ ما نعرف عن آثاره أن له ديوانا طبع مرّتين وعليه اعتمدنا في دراسة البردة .

2 ـ البردة (*)

لقد نسجت حول البردة قصص كثيرة منها قصة مرض البوصيري بالفالج وشفائه بنظمها ، وقصة رؤيا الشاعر للرسول (ص) في منامه ، وإعجابه

---

(1) مدينة بمصر على طريق الشام بالقرب من القاهرة .
(2) هو من اصطلاح المحاكم في العصر الأخير .
(3) الشوقيات ، ج 1 ، ص 199 ـ 200
(4) أوحى لنا بها الأستاذ المشرف .
(5) مقدمة ديوان البوصيري ، ص 7 .
(*) استفاد البحث في تقديم البردة من جهود محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج 3 ، ص 362 ـ 369 ، ومقدمة ديوان البوصيري ، ص 27 وما بعدها ، وزكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص 151 ـ 161 ، وعلي أبو زيد ، البديعيات في الأدب العربيّ ، ص 20 وما بعدها .

بالبردة وتصة شفاء أحد الرجال من العمى بوضعها على عينيه .
وليس هذا أدنى ما دار حول البردة ، بل اشترط لقراءتها ما اشترط في تلاوة القرآن منها : التوضؤ واستقبال القبلة ، والدّقة في تصحيح الفاظها ، واعرابها ، ومعرفة معانيها . كما أسند إليها من المناقب الفضائل ما لا يقع تحت حصر ، فهي تشفي من عدة أمراض ، وتفرّج الشدائد ، وتسهّل العسير . واتخذوا منها تمائم وتعاويذ[1] . ولا شك أن هذا كلّه من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها ، فيروى أن لهم فئة اشتهرت بقراءتها ، وكانت تستدعى في الجنائز والأفراح نظير أجر معين .

وتعد البردة القصيدة العربية التي حظيت ـ دون غيرها ـ بمكانة وشهرة بين الناس[2] ، فذاع صيتها في الآفاق شرقا وغربا[3] ، وحفظها العام والخاص ، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار ، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات حتى قال فيها ابن حجر الهيتميّ : لقد ازدادت شهرة البردة الى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد[4]

---

(1) زكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص 162 .
(2) د . علي أبوزيد ، البديعيات في الأدب العربيّ ، ص 21 .
(3) يقول زكي مبارك : " ومن أدلة الذيوع ما نراه من تعدد الطبعات ، فقد طبعت في (فيينا) و (الآستانة) ، ومكة ، و (بمباتي) ، وطبعت في القاهرة نحو خمسين مرة " انظر كتابه ، المدائح النبوية ، ص 162 .
(4) مقدمة ديوان البوصيري ، ص 30 . وفيما يتعلق بهذا الجانب يقول زكي مبارك : ان الأزهر في سنوات مضت كان يسد دروس التاريخ الاسلامي باعتماد البردة وشروحها ، كما كان يتخير يومي الخميس والجمعة لدراسة حاشية الباجوري على متن البردة . انظر كتابه ، المدائح النبوية ، ص 164 .

والجامعات[1] . فأقبل عليها الشعراء والعلماء ونهجوا نهجها وأوسعوها شرحا وتعليقا[2]، كما ترجموها إلى لغات عالمية كثيرة[3] .

سميت البردة بأسماء كثيرة : (الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة) لاشتمالها على مناقب الرسول (ص) ، و (البرءة) ، لأن الناظم برئ بسببها من علته ، و (الشدائد) ، لأنها تقرأ لتيسير العسير ، و (البردة) ، لأن الشاعر أراد التبرك بقصيدة كعب بن زهير .

تبدو البردة لأوّل وهلة أنها في مدح النبيّ (ص) ، غير أن تركيبتها قد جاءت في شكل محشر فيه عشر مجموعات دلالية مترابطة بتسعة مفاصل . وهذا تصميمها .

1ـ (1 ـ 12) النسيب "النبويّ"
2ـ (13ـ23) التحذير من هوى النفس
3ـ (24ـ58) مدح الرسول (ص)
4ـ (59ـ71) مولده
5ـ (72ـ83) معجزاته
6ـ (83 ـ 105) معجزة القرآن
7ـ (106ـ 117) معجزة الاسراء والمعراج
8ـ (113ـ 139) الجهاد
9ـ (140ـ 151) التوسل والتشفع
10ـ (152ـ160) الاستئناس والدعاء

---

(1) فيما يتعلق بتدريس البردة في الجامعات يقول عمر موسى باشا : "كنت قد اتخذتها عمدة الدراسة خلال قيامي بالتدريس في كلية الآداب بجامعة دمشق . . . ورأيت من الفائدة أن أتابع العناية بتدريس هذا النص في كلية الآداب بجامعة الجزائر" انظر مقدمة الزبدة في شرح البردة ، لبدر الدين محمد الغزي ، تح عمر موسى باشا ، ص 5 .

(2) شرحت أكثر من تسعين شرحا بالعربية والفارسية ، ولغة المغرب الأصلية ، وأول شرح نعرفه لها شرح أبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت 665 هـ / 1266م) ، وهذا دليل على اهتمام الناس بالبردة في حياة ناظمها .

(3) ترجمت إلى اللاتينية ، والألمانية ، والفرنسية ، والأنجليزية ، والايطالية ، والفارسية والتركية وغيرها كثير .

فمن أهمية البردة ، ومكانتها الأدبية الخالدة ، تولّدت رغبة الباحث في اختيار هذا النص الرائع الذي يعد بحق رسالة لغوية وأدبية . ولكن بالرغم من هذا كلّه فان البردة لم تحظ بدراسة علمية شاملة ومن أجل ذلك أراد الباحث تخصيصها ببحث يقدمها تقديما عصريا يليق بمقامها .

وقد تنوّعت مراجع هذه الرسالة بتنوع فصولها ، فركّز الباحث على الأمهات من كتب النحووالصرف والبلاغة ، والشروح . كما استفاد من الكتب الحديثة ، لأنه أراد أن يجمع بين القديم والحديث . بيد أن هناك صعابا جابهته ، تتمثل في ندرة المراجع التطبيقية ، وفي مشقة الحصول على الأمهات . وربما كانت أشدّها عسرا غزارة المادة التي تتطلب إحاطة واعية بعلوم اللغة قديمها وحديثها ، واتصال بجهود اللسانيين ووسائلهم العلمية ، ومناهجهم .

وقد اصطنع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، واستفاد من الوصفي الوظيفي . كما كان يتجه الى التفسير والتحليل في بعض الأحيان ، ويستعين بالإحصاء والجداول من أجل الموازنة وتوضيح بعض الحقائق . وكان ينزع إلى التطبيق متخليا عن المقدمات النظرية الطويلة المعروفة لدى جمهور الباحثين .

واقتضى ـ منا ـ البحث أن تكون الدراسة ثلاثة أقسام . ولم نرد تقديم البردة في صورتها المركبة : لأننا تأمّلنا في بنيتها اللغوية ، فألفيناها ذات عناصر ثلاثة : الصوت ، والكلمة ، والجملة ، فكان محتوى الرسالة ثلاثة فصول ، تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة .

الفصل الأوّل : البنية الصوتية

وفيه قسمان :

أ ـ موسيقى الأصوات : يعنى الباحث فيه بالوزن (البحر ، وأعاريضه وأضربه ، والزحافات الطارئة عليه) ، والمقاطع الصوتية ، والترصيع (المتوازي والمطرّف ، المتوازن).

ب ـ الأصوات المكرّرة وعلاقتها بالمعنى : يعنى فيه بتكرار الأصوات بعينها ، وتكرار الأصوات مجتمعة ، فيهتم بالتصدير ، والتذييل ، والتجنيس (الجناس التام ، والتام المستوفي ، واللاحق ، والمضارع ، والمصحّف ، والمقلوب).

الفصل الثاني : البنية الصرفية

وفيه قسمان :

أ ـ بنية الأفعال : يعنى فيه بالصيغ البسيطة (فعِل ، والصيغ المزيدة) والصيغ المركبة (قد فعل ، ولقد فعل ، وكان يفعل ، ولم يفعل . . .) فيبرز خصائصها التركيبية والدّلالية باعتماد السياق .

ب ـ بنية الأسماء : يعنى فيه بوظائف الأسماء ومعانيها بالاعتماد على علم الأصوات ، فيصنفها بحسب المقاطع إلى أربع أصناف : كلمات ذات مقطع واحد ، وكلمات ذات مقطعين ، وكلمات ذات مقاطع ثلاثة ، وكلمات ذات مقاطع أربعة فيوزعها حسب أنماط وصور .

الفصل الثالث : البنية النحوية

وفيه ثلاثة أقسام :

أ ـ الجملة الطلبية ، وفيها ستة أنواع الأمر ، والاستفهام ، والنهي ، والدعاء ، والترجي ، والنداء . فيحدد الباحث أنماطها ، وصورها ، ويحلل بعض النماذج منها بإبراز نظامها التركيبي ، وخصائصها الأسلوبية والدلالية ، ويسلك مسلكا يخالف القدامى إلى حد ما في تحديد النداء ، فيعتبر جملة مركّبة يحدد أركانه أداة النداء والمنادي ، والمنادى ، ومضمون النداء .

ب ـ الجملة الشرطية : تقسمها إلى أنماط وصور ونحلل بعض نماذجها ونفسرها ، ونبرز سماتها التركيبية والأسلوبية .

ج ـ الجمل ذات الوظائف

نهتم فيه بجملة الفاعل ، والخبر ، والمفعول به ، والنعت ، والحال والتعليل ، والغاية ، فنبرز نظامها وخصائصها التركيبية . ويزعم الباحث أن هذا القسم مهمّ ، لأنه يفتح آفاقا واسعة لدراسة وظائف الجملة العربية من خلال النصوص الأدبية ، وهو يرجو الاهتمام بهذا الجانب لتحديد خصائصه التركيبية والأسلوبية . وقد اقتصر الباحث في هذه الرسالة على ما يغني ، لأن اتجاهه في البحث اتجاه لغوي أسلوبيّ .

هذا ونشكر الأستاذ المشرف مختار نويوات ، وكل الأساتذة والزملاء الذين ساعدونا على إنجاز هذه الرسالة .

الفصل الأوّل

البنية الصّوتية

1 - موسيقى الأصوات

2 - الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى

أما حدّ اللغة فأصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.

ابن جني

تمهيد :

أصوات الكلام تحيط بنا من كل جهة ، فالإنسان حينما يتصل بغيره ، وحينما يغني أو ينظم شعرا يستعين بالأصوات . فالصوت إذن ضروريّ في الحياة كالهواء والماء والطعام . وضرورته تأتي من كونه يمثّل الجانب العملي للغة ، ويقدّم طريق الأتّصال المشترك بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما قل حظه من التعليم والثقافة[1] .

وقد أدرك اللغويون العرب[2] قيمة الصوت ، فاستعانوا به على قضاء حاجاتهم ، ذلك أن آراءهم الكثيرة في إصلاح المنطق وفي وضع العروض والنحو والصرف والمعاجم ، وفي تدوين القراءات القرآنية قد بنوها على الدراسة الصوتية[3]* .

---

(1) د . أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، الصفحة الأولى من مقدمة الكتاب .

(2) للغويين اليونان والرومان والهنود جهود معتبرة في دراسة الأصوات اللغوية . لا مجال لتقويمها ، هنا انظر ، محمود السعران ، علم اللغة ، ص 92 وما بعدها . والحاج صالح " مدخل إلى علم اللسان الحديث " ـ مجلة اللسانيات ـ المجلد الأول (2) ، ص 36 وما بعدها .

(3) د . محمود السعران ، علم اللغة ، ص 132

(*) فيما يخص جهود اللغويين العرب في دراسة الصوت اللغوي ، انظر . رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ص 16 ـ 13 . أشار المؤلف في هذا الكتاب إلى أعمال الخليل ، وكتاب سيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ، والرسالة الصغيرة " أسباب حدوث الحروف " لابن سينا ، والمفصل في النحو للزمخشري ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، وكتب القراءات ، وهي بحق محاولات جادة ، لأن الكثير من جوانبها قد وقف عندها علم الأصوات الحديث وأثبت صحتها .

وفي أوروبا بدأ الاعتناء بالأصوات في القرن الثامن عشر حينما استفاد اللغويون من التقدم العلمي الذي أحرزه علم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء . أضف إلى ذلك اتصالهم بلغات مختلفة واشتغالهم بفن المقارنة بين الأنظمة اللغوية والصوتية[1] ، ومن ذلك الحين ما فتئ علم الأصوات يتطور شيئا فشيئا حتى غدا علما يطبقون عليه الدراسة العلمية ، ويستفيد من الوسائل الآلية [2] . هذا التطور الذي حصل لعلم الأصوات وهذه النتائج التي حققها باعتماد المناهج العلمية ، والوسائل التجريبية ، خففت من حدّة الاختلاف بين رجاله ، فأجمعوا على أن الأصوات تنقسم إلى قسمين رئيسيين :

---

(1) السعران ، علم اللغة ، ص 101 ، وهوفان ، تاريخ علم اللغة ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ص 145 ـ 147 .

(2) السعران ، علم اللغة ، ص 102

الصوامت (consonnes) ، والصوائت (vo elles)[1] . وكان المنطق في هذا ،

---

(1) اختلف اللغويون العرب في تحديد هذين المصطلحين وتسميتهما ، عكس ما هي الحال عند اللغويين الغربيين . فهما عند إبراهيم أنيس (أصوات ساكنة ، وأصوات لين) ، وعند محمود السعران (صوامت وصوائت) ، وعند تمام حسان (أصوات صحيحة ، وأصوات علّة) ، وعند كمال بشر (أصوات صامتة ، وحركات) ، وعند صالح القرمادي (حروف وحركات) ، وعند أحمد مختار عمر (سواكن ، وعلل) ، وعند أحمد نحلة (صوامت ، وصوائت) ، وعند رمضان عبد التواب (أصوات صامتة ، وأصوات متحركة) وعند عبد الرحمن الحاج صالح ، (حروف جوامد ، وحروف مصوتة) .

أما القدامى فقد جروا على استعمال المصطلحين (صائت ، ومصوت) ، فالمولى شمس الدين (المعروف بديكنقور) في كتابه : " شرح مراح الأرواح " استعمل المصطلح " صامت " ليعني به ما سمّاه المعاصرون بالصامت (consonne) . وقد وفق في هذه التسمية إلى حدّ بعيد . وابن جني يسمي في كتابه : " الخصائص الصوائت الطويلة أو الصوامت (بالمصوتة) . و" هو في هذه الحالة يراعي خاصة مهمة من خواص الحركات بعامة ، وهو قوّة الوضوح السمعي . . . ولا فرق في هذا المعنى بين " مصوّت " و " صائت " ، وهو المصطلح الثاني الذي استعمله آخرون إلّا أن هذا الأخير من الفعل الثلاثي " صات " أما الأول [فمن] الرباعي المضعّف " صوّت " .

ومما لا شك فيه أن كثرة الاختلافات تبعد عن روح العلم ، وعن غاياته السامية ، ذلك أنه مهما تكن مبررات كل باحث في الأصوات اللغوية وجب أن يبحث عن مصطلح موّحد لتكون قضايا علم الأصوات موّحدة يعرفها الدارس مهما كان البلد الذي ينتمي إليه . أما المصطلح الذي نؤثره وندعو إليه فهو الصامت ، والصائت) لدلالته على المقصود ، ولبعده عن اللبس .

الطبيعة الصوتية لكل قسم ، ذلك أن الصفة المميزة للصوامت هي " إما [أن] ينحبس معها الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري(*)، وإما أن يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الدفير الحفيف(1)". وأما الصوائت فيندفع الهواء من الرئتين عند النطق بها ، مارًّا بالحنجرة ، ثم يتخذ في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه(2) . وهذه الصوائت تمتاز ـ أيضا ـ عن الصوامت بخاصية الوضوح السمعي ، وهو الفارق الأساسيّ بينهما(3) .

وقد جرت عادة علماء الأصوات على تقسيم الصوامت والصوائت إلى أصناف ومجموعات لمعرفة طبيعتها وخواصها ، ولتبسيط الدراسة وتسهيلها(4) . وتختلف أسس التقسيم بحسب اختلاف وجهات النظر . والقاعدة العامة هي تقسيم الصوامت إلى اعتبارات ثلاثة:(5)

1 ـ بحسب وضع الأوتار الصوتية من حيث ذبذبتها ، وعدمها .
2 ـ بحسب مواضع النطق أو مخارج الأصوات .
3 ـ بحسب حالة مرور الهواء والحوائل التي تعترضه عند النطق .

وهم يقسمون الصوائت إلى اعتبارات عديدة مختلفة أهمها(6) .

أ ـ بالنظر إلى ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره .
ب ـ بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان .
جـ ـ بالنظر إلى وضع الشفتين من حيث انضمامهما وانفراجهما .

---

(1) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 26
(2) المرجع نفسه ، ص 26
(3) د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 87
(4) د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 87
(5) المرجع نفسه ، ص 87 ـ 88
(6) المرجع نفسه ، ص 139 وما بعدها .

صفات الصوامت والصوائت

نهتم في هذا القسم بصفات الصوامت والصوائت لما لها من علاقة بالبحث وقد اعتمدنا — بشيء من التحفظ — كتاب : علم اللغة العام / قسم الأصوات للدكتور كمال بشر . وذلك لما اتسم به هذا الكتاب من تجديد وتبسيط للعلم .

أولا — الصوامت

الصوامت أنواع :

أ — الصوامت الانفجارية .

وتتكون بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع ، ثم يضغط الهواء ، ويطلق سراح مجراه فجأة ، فيندفع محدثا صوتا انفجاريا . والصوامت الانفجارية هي : الباء ، والتاء ، والدال ، والطاء ، والضاد ، والكاف ، والقاف ، والهمزة .

ب — الصوامت الاحتكاكية(*)

وتتكون بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء أثناء خروجه احتكاكا مسموعا . والصوامت الاحتكاكية هي : الفاء ، والثاء ، والسين ، والصاد ، والشين ، والخاء ، والحاء ، والهاء ، وهذه صوامت مهموسة ، والذال ، والظاء ، والزاي ، والغين ، والعين ، وهي صوامت مجهورة .

ج — الصوامت الانفجارية — الاحتكاكية : أو المركبة

وتتكون بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به ، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين ، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الانفجارية ، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء ، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة (ج) . ومثل الصوامت الانفجارية — الاحتكاكية الجيم في اللغة العربية .

(*) يقابل " ʃ " ، وهو الصوت الرخو عند القدامى

د ـ الصوامت المكررة(*)

يمثلها في العربية صوت الراء ، ويتكون بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا ، بحيث يكون اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين . وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به .

هـ ـ الصوامت المنحرفة أو الجانبية(**)

يمثلها في العربية صوت اللام ، ويتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما .

وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به .

و ـ الصوامت الأنفية : أو الغنة

وتتكون بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم ، ولكن بخفض الحنك اللين يتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف . وهما : الميم والنون[1] هذه بعض الصفات، وهناك صفات أخرى لم نأت على ذكرها[2] .

ثانيا ـ الصوائت

الصوائت هي القسم الرئيسي الثاني من الأصوات بعد الصوامت . وهي مقسمة إلى اعتبارات عدّة[3] . أما صوائت العربية من حيث التعريف فيصدق عليها ما سمّاه نحاة العربية بالحركات " الفتحة ، والضمة ، والكسرة وبحروف المد أو اللين (مقصودا به الألف في مثل عدا ، والواو في مثل قالوا ، والياء في مثل القاضي[4] " . غير أن هناك أنواعا أخرى تبدو من الصوامت وهي من الصوائت والعكس ، وهذه الأنواع : أشباه الصوائت ، وأنصاف الصوائت .

(*) يقابل " v r l " ، والتسمية قديمة تعود إلى سيبويه وابن جني .
(**) يقابل " l l r l " ، والتسمية قديمة تعود إلى سيبويه وابن جني .
(1) السعران ،علم اللغة ، ص 184 .
(2) لقد فصل القول فيها علماء الأصوات المتأخرون أمثال :السعران، وابراهيم أنيس، وبشر ... وغيرهم .
(3) انظر الصفحة 3 من هذا الفصل .
(4) السعران ، علم اللغة العام ، ص 161 .

1 ـ أشباه الصوائت(*)

لقد عدّ علماء الأصوات المحدثون اللام ، والنون ، والميم ، والراء ، من الأصوات التي تشبه الصوائت ، وذلك لقرب المخرج تشترك معها في صفة الوضوح السمعي . وتعدّ من أوضح الصوامت في السمع . وهي أيضا إلى جانب ذلك ليست انفجارية ولا احتكاكية (1) .

2 ـ أنصاف الصوائت(**)

هذا النوع من الأصوات تبدأ أعضاء النطق به في منطقة حركة من الحركات ، ولكنها تنتقل من ذلك بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى ، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الاترلاقية ، ولقصر قلة الوضوح السمعي إذا قيست بالصوائت عُدّة صوامت لا صوائت، بالرغم مما فيها من شبه واضح بالصوائت . وفي العربية من هذا صوتان (2) : الواو في مثل " ولد " ، و"حوض" ، والياء في مثل " يترك ، و" بيت " .

وعلى ضوء هذا التحليل يمكننا أن نرتّب الصوامت والصوائت بحسب قوة الوضوح السمعي بادئين بأضعفها من حيث السمع . وإليك البيان الآتي :

الصوامت والصوائت

الصوامت (كلّ الصوامت أ ـ ب ـ . . .)		
	أشباه الصوائت (م ، ن ، ل ، ر)	
		أنصاف الصوائت (و ، ي)
		الصوائت (الحركات القصيرة + الحركات الطويلة)

(*) يسمى هذا النوع أيضا ، الأصوات المائعة ([illegible])

(1) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 63 ـ 64 .

(**) تقابل ([illegible])

(2) د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 132 ـ 133

بعد هذا العرض السريع للأصوات أحاول أن أتبيّن أثرها في البردة . غير أني ألفت الانتباه إلى أن هذه الظاهرة تخضع لرؤية الناقد ، ودربته على تذوق النصوص الأدبية ، لأن الأصوات المستخدمة ، منها ما هو تلقائيّ (غير مقصود) ، ومنها ما هو نتيجة للصنعة الأدبية ، أو لضرورة الوزن .

وأمام هذه القضية المعقّدة الشاقة أقول متمثلا قول الخليل بن أحمد الفراهيدي حينما سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال :

" إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها . وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي إنه علّة علّلته منه . فإن أكن أصبت العلّة فهو الذي التمست . وإن تكن هناك علّة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء ، عجيبة النظم والأتسام ، وقد صحّت عنده حكمة بانيها ، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلّما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا . سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة ، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك . فإن سنح لغيري علّة لما علّلته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها[1] "

---

(1) أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، ص 65 ـ 66

أولا ـ موسيقى الأصوات

1 ـ الوزن (*)

تخصص هذا القسم للظواهر الصوتية التي لها علاقة بالوزن وهي : البحر ، وأعاريضه وأضربه ، والتحويلات الطارئة عليه (من زحافات وعلل)، ومظاهر الائتلاف والاختلاف بين المقاييس العروضية ، والمقاطع اللغوية .

أ ـ البحر

اختار صاحب البردة من بحور الشعر العربي البسيط . وهو بحر مزدوج التفعيلة ، حظي باهتمام بالغ عند الشعراء . فشكري عياد يشير في كتابه : موسيقى الشعر العربي إلى أن أربعة أوزان قيل فيها أكثر من أربعة أخماس ما أحصي من الشعر وهي : الطويل ، والكامل ، والوافر، والبسيط[1] . وهذا البحر من أكثر الأوزان شيوعا ، ونسبة استعماله عند بعض الشعراء كالآتي :

النابغة : 26٪ ، عنترة : 7٪ ، امرؤ القيس : 5ر7٪ ، زهير : 25٪ ، الأعشى : 11٪، الفرزدق : 8ر10٪ ، بشار : 35ر15٪ ، أبونواس : 21ر14٪[2]، الأصمعي والمفضل الضبي : 17٪ ، جرير : 16 ، أبو العتاهية : 19٪ ، المتنبي : 16٪ البارودي : 15٪، حافظ إبراهيم : 14٪[3]، شوقي : 64ر8٪[4] .

تبيّن هذه النسب أن البسيط من البحور الكثيرة الرواج عند الشعراء قديما وحديثا .

(*) يشير الدكتور مصطفى الجوزو إلى أن العرب بالرغم من عنايتهم بالعروض ،لم يشغلوا أنفسهم بتعريف الوزن تعريفا دقيقا . غير أن المؤلف نفسه لم يستخلص من خلال عرض آراء بعض الذين أهتموا بالوزن . كالفارابي ، والباقلاني ، وابن سينا ، وحازم القرطاجني . . .وغيرهم تعريفا للوزن يعتمد عليه ، ويطمئن إليه . انظر كتابه : نظريات الشعر عند العرب ، ص 21 ـ 36 .

(1) ص 13 .

(2) د . مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 35 .

(3) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 191 ـ 200 .

(4) د . محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في "الشوقيات" ، ص 23 .

ففي هذا الوزن يقول حازم القرطاجني : " من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب مجاريها من الأوزان ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض . فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط[1]" ثم يقول : "وتجد للبسيط سباطة وطلاوة[2]" . وهو الذوق نفسه عند الناقد المعاصر عبد الله الطيب الذي يقول : " إن الطويل والبسيط أطول بحور الشعر العربي ، وأعظمها أبهة وجلالة[3]" .

معاني البسيط

يبدو أن الاهتمام بمعاني البحور لم يتبلور عند الدارسين القدامى بصفة دقيقة ، لأن العروضيين وقفوا عند حدود التسميات دون التوسع في ربط الدوال بالمدلولات فقالوا : هذا طويل وذاك بسيط ، وذلك خفيف[4] . غير أن هناك من المتأخرين من حاول عقد الصلة بين الوزن والغرض . فإبراهيم أنيس يشير إلى ذلك قائلا : " أما المدح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس ، وتضطرب لها القلوب ، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة ، وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط[5] .

والواضح من هذا القول أن البسيط أليق بالمدح لخصائصه الفنية والمقطعية ، ولذلك اختاره صاحب البردة . والبسيط يقرب من الطويل ، ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني . غير أنه من جهة أخرى يفوقه رقة وجزالة[6] . فهو من البحور التي لها سباطة وطلاوة .

---

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، 263 .
(2) المصدر نفسه ، ص 269 .
(3) شكري عياد ، موسيقى الشعر ، ص 151 .
(4) البستاني ، مقدمة الإلياذة ، ص
(5) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 178 .
(6) المرجع السابق ، ص

ب — أعاريضه وأضربه(*) .

للبسيط ثمانية أجزاء ، أربعة سباعية ، وأربعة خماسية ، والسباعية مقدمة على الخماسية ، وكلاهما فروع عن (فعولن) و(مفاعيلن) وهي :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وله ثلاث أعاريض ، وستة أضرب موزعة على أعاريضه .

1) مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن ∴ مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلَن (1)

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن ∴ مستفعلن فاعلن مستفعلن فِعْلُن (2)

2) مستفعلن فاعلن مستفعلن ∴ مستفعلن فاعلن مستفعلان (3)

مستفعلن فاعلن مستفعلن ∴ مستفعلن فاعلن مستفعلن (4)

مستفعلن فاعلن مستفعلن ∴ مستفعلن فاعلن مفعولن (5)

3) مستفعلن فاعلن مفعولن ∴ مستفعلن فاعلن مفعولن (6)

ج — الزحافات(**)

يطرأ على الوزن النموذجي للبيت تغيير قد يكون لازما ، وقد يكون اختياريا ، وقد يخص السبب(1) دون الوتد(2) ، وقد يحتويهما معا .

(*) أفاد البحث من جهود موسى الأحمدي نويوات ، المتوسط الكافي ، ص 31 — 33 . ود . مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 51 — 52 .

(**) انظر ، موسى الأحمدي نويوات ، المتوسط الكافي ، ص 24 — 36 . ود . حركات ، كتاب العروض ، ص 36 — 37 .

(1) يتكون السبب من حرفين ، وهو نوعان : خفيف وثقيل .

أ — السبب الخفيف : متحرك يتلوه ساكن مثل : في . لن ، ذا . نشير إليه بالرمز س ، ونكتب س = /0 .

ب — السبب الثقيل : متحركان متجاوران مثل : رك من الفعل ركب . نشير إليه بالرمز س ونكتب تس = // .

(2) يتكون الوتد من ثلاثة أحرف ، وهو نوعان : مجموع ، ومفروق .

أ — الوتد المجموع : متحركان يتلوهما ساكن مثل : رمى : ، لقد . ونشير إليه بالرمز (و) ، ونكتب و = //0

ب — الوتد المفروق : متحركان يتوسطهما ساكن ، مثل : قال ، عند ، ونشير إليه بالرمز (وَ) ، ونكتب وَ = /0/ .

وعلماء العروض يسمون هذا التغيير زحافا أو علة .

الزحاف : هو تحويل[1] :

1 ـ اختياري

2 ـ يقتصر على الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل ، فيسكنه (//ـــ/ـ)

أو يحذفه (/ ـ ـــ /) ، (// ـــــ /)

3 ـ لا يخص الزحاف موضعا معينا من البيت .

والزحاف نوعان[2] : مفرد أو مزدوج

أ ـ المفرد : وهو الذي يدخل على سبب واحد في التفعيلة الواحدة ، وهو ثمانية أقسام .

1 ـ الخبن : وهو حذف الثاني الساكن من التفعيلة

2 ـ الوقص : وهو حذف الثاني المتحرك من التفعيلة

3 ـ الإضمار : وهو تسكين الثاني من التفعيلة

4 ـ الطي : وهو حذف الرابع الساكن من التفعيلة

5 ـ القبض : وهو حذف الساكن الخامس من التفعيلة

6 ـ العقل : وهو حذف الخامس المتحرك من التفعيلة

7 ـ العصب : وهو تسكين الخامس من التفعيلة

8 ـ الكف : وهو حذف السابع الساكن من التفعيلة

ب ـ **المزدوج**

وهو الذي يدخل على سببين في تفعيلة واحدة ، وأنواعه أربعة :

1 ـ الخبل : وهو اجتماع الخبن والطي .

2 ـ الخزل : وهو اجتماع الإضمار والطي .

3 ـ الشكل : وهو اجتماع الخبن والكف .

4 ـ النقص : وهو اجتماع العصب والكف .

---

(1) انظر ، د . حركات ، كتاب العروض ، ص 36 .

(2) انظر الأحمدي نويوات ، المتوسط الكافي ، ص 25 ـ 32 . ود . حركات كتاب العروض ، ص 36 ـ 37 .

العلـــة : وهي "تغيير لا يلحق ثواني الأسباب فقط ، بل يلحق الأوتاد أو الأسباب أو كليهما [1]" ؛ أو هي بتعبير حديث تحويل [2] :

1 — يلحق الأسبـــاب والأوتـــاد

2 — يدخل على العـــروض والضرب .

3 — لازم في غـالب الأحيـــان .

الزحافات في البردة

أسفر إحصاء الزحافات في البردة عن النسب المئوية [3] التالية :

(51 00)	(39 0)	(000)	(100 0)	
(50 00)	(46 0)	(000)	(100 0)	
(س س و)*	(س و)	(س س و)	(س و)	

يبيّن هذا الجدول أن بيت البسيط يحتوي على مواضع ثابتة هي : الأوتـــاد ، ومواقع متغيّرة هي : الأسبـــاب . غير أن التحويل يجري بحسب نسب متفاوتـــة .

أ — سبب مستفعلن الأول (الشطر الأول) زوحف بنسبة 51٪

ب — سبب فاعلن (الشطر الأول) زوحف بنسبة 39٪

ج — سبب العروض زوحف بنسبة 100٪

د — سبب مستفعلن الأول (الشطر الثاني) زوحف بنسبة 50٪

هـ — سبب فاعلن الثاني (الشطر الثاني) زوحف بنسبة 46٪

و — سبب الضرب زوحف بنسبة 100٪

---

(1) الأحمدي نويوات، المتوسط الكافي ، ص 33 .

(2) د . حركات ، كتاب العروض ، ص 37 .

(3) لم نعتمد الأرقام بعد الفواصل .

(*) السين : (س) رمز للسبب ، والواو (و) رمز للوتد .

يتضح من خلال هذا الوصف أن المقياس الثالث (مستفعلن) الذي في حشو البيت خالٍ من الزحافات. وهذا حسن ،و"لا يستعملها المطبعون إلا كذلك[1]".

أما المقياس (مستفعلن) الواقع في أول الصدر والعجز فقد تغيّر بنسب متفاوتة. وخبنه مستحسن[2]. وأما المقياس (فاعلن) الذي في حشو البيت فمتغير وخبنه مستحسن[3]. أيضا وأما مقياس العروض والضرب فمتغيّر بنسب ثابتة ويفسر سبب ثبوت الزحاف في المقياسين المذكورين بأنه علامة على نهاية الشطر[4].

وقد تتضح بعض الحقائق الأخرى بالاعتماد على مقابلة زحافات بعض القصائد وهي[5]:

1 — يا دارمية بالعليا فالسند (النابغة).
2 — ودع هريرة إن الركب مرتحل (الأعشى).
3 — عيد بأي حال عدت ياعيد (المتنبي).
4 — ياساهر البرق أيقظ راقد السمر (المصري).
5 — أمن تذكر جيران بذي سلم (البوصيري).

النابغة : (40 0 0) (0 51) (0 0 0) (100 0)
(40 0 0) (0 63) (1 0 0) (100 0)

الأعشى : (37 0 5) (0 50) (3 0 0) (100 0)
(41 0 5) (0 63) (5 0 0) (100 0)

المتنبي : (27 0 0) (0 53) (0 0 0) (100 0)
(50 0 0) (0 67) (0 0 0) (100 0)

المصري : (44 0 0) (0 52) (0 0 0) (100 0)
(52 0 0) (0 64) (0 0 0) (100 0)

البوصيري : (51 0 0) (0 39) (0 0 0) (100 0)
(50 0 0) (0 46) (0 0 0) (100 0)

(س و و) (س و) (س س و) (س و)

يبيّن هذا الجدول ما يلي :

1 — المقياس الثالث (مستفعلن) الواقع في حشو البيت ، لم يرد سالما من الزحافات مع شاعرين : النابغة والأعشى .

2 — لزوم الزحاف في سبب العروض والضرب في القصائد ، يقوى الفكرة القائلة بأنه علامة على نهاية الشطر[1] .

3 — دخول الزحاف على سببي المقياسين : (مستفعلن ، فاعلن) بنسب متفاوته في القصائد كلّها ، يؤكد فكرة الاختيار عند الشعراء . وقد التمس له أحد الدارسين المعاصرين تفسيرا ، إذ عدّه علامة لتفعيلتي نصف الشطر الأوّل[2] .

4 — سلامة المقياس (مستفعلن) الواقع في الحشو من الزحافات في القصائد كلّها ما عدا النسب الضئيلة عند كل من النابغة ، والأعشى ، تبرز نوعا من التضاد بين نصفي الشطر[3] .

5 — يستخلص من هذه الدراسة التقابلية بحسب الرؤية الزمنية التطورية ([illegible]) ، أن الأسباب التي تغيّرت بصفة ملحوظة أسباب المقياسين الموجودين في النصف الأوّل من كل شطر . أما الأسباب الأخرى فمتغيرة بنسب ضعيفة عند شعراء الجاهلية ، ثابتة عند من تلاهم .

د — الوزن والواقع الشعري .

1 يرتبط الوزن في الدراسات اللسانية العربية بميداني الصرف والعروض . غير أن الوزن الصرفي يختلف عن الوزن العروضي . فالوزن الصرفي الذي مقياسه (فاعل) يحتوي على كلمات مثل : لائم ، وساطع ، وساجد . ويقتضي وجود المقطع الطويل المفتوح (م ص ص) *، وكسر الصامت الذي يليه في جميع حالات الاستعمال .

---

(1) د . حركات ، كتاب العروض ، ص 36 .
(2) المرجع نفسه ، ص 36 .
(3) المرجع نفسه ، ص 36 .
(*) انظر أنواع المقاطع ورموزها ص 28 — 29 من هذا الفصل .

أما الوزن العروضي الذي مقياسه " فاعلن " فيحتوي على كلمات مثل : مترف ، نارها مقلة ، جوهر . ولا يقتضي أيّ قيد أو شرط .

وفي الوزن الصرفي يحتوي المقياس (مستفعل) على كلمات مثل : مستمسك ، ومستأصل ، ومستخفر ، ومستعصم ، ويقتضي وجود الوحدة الصوفية[1] (مست) وتسكين فاء الفعل وكسر ما قبل آخره .

أمّا الوزن العروضي الذي مقياسه " مستفعلن " فيحتوي على كلمات مثل : منقضّة ، موصولة ، أمّارة ، مثقالة ، مستأصل ، ولا يرتبط بأيّ قيد أو شرط كما هو الشأن بالنسبة إلى الوزن الصرفي . لكن الوزن الصرفي لا يرتبط إلا بكلمات تامة ، عكس الوزن العروضي الذي يرتبط بكلمات تامة ، كما يرتبط بأجزاء من الكلمات .

الوزن وعلم الأصوات

ما تقدم يلفت الانتباه إلى أن كلا الوزنين : الصرفي والعروضي لا يولي اهتماما للجانب الصوتيّ فمثلا وزن كلمة " مستلقى " عند الصرفيين " مستفعل " ، وعند العروضيين " مفعولن " . الأولى وزنها المقطعي " م ص م + م ص م + م ص م " . والثانية وزنها : " م ص م + م ص ص + م ص م " أما وزنها المقطعي عند علماء الأصوات فهو : " م ص م + م ص م + م ص ص " فالاختلاف إذن بين علم الأصوات ، والوزنين : الصرفي والعروضي اختلاف مقطعي ، ذلك أن الرؤية الصوتية تفرق بين أنواع المقاطع من حيث الطولُ والقصرُ ، ومن حيث الإغلاقُ والفتحُ . والوزنان : الصرفي والعروضي لا يوليان ذلك اهتماما .

---

(1) يقابل (morpheme) . وهي أصغر وحدة دلالية في الخطاب ، غير قابلة للتقسيم انظر :

وقد حاولنا أن نتبيّن أثر مظاهر الموسيقى في البردة فوجدناها شيئا طريفا . إليك الجدول الذي يبرز مواطن الاتفاق والاختلاف بين الوزن العروضي والمقاطع اللغوية . والأعداد نسب مائوية[1] .

مستفعلن[2]	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن
+ 45	+ 23	+ 22	+ 53	+ 43	+ 36	+ 37	
— 51	— 71	— 77	— 40	— 56	— 63	— 62	— 100

يبيّن هذا الجدول الاختلاف الواضح بين الوزن العروضي (البحر الذي اختاره الشاعر لنظم البردة) ، والمقاطع اللغوية (الجانب الموسيقي كما يعكسه المقطع الصوتي في البردة) ، ذلك أن المقياس (مستفعلن) شكّلت نسب اختلافه حالات تتراوح بين 51٪ و 77٪ . ونسب الاتفاق 22٪ ، و 45٪ .

أمّا المقياس (فاعلن) فقد شكّلت نسب اختلافه حالات تتراوح بين 40٪ و 100٪ . ونسب الاتفاق 23٪ و 53٪ .

بناء من هذا يتضح بعد الوزن العروضي عن الواقع الصوتي ، لأن نسب الاختلاف بينهما أعلى بكثير من نسب الاتفاق . وعلّة ذلك أن المقطع الطويل المفتوح والمغلق هما على حد سواء عند علماء العروض . وهما غير ذلك عند علماء الأصوات ، لأن المقطع المغلق يستغرق في نطقه زمنا أقل مما يستغرقه نطق المقطع المفتوح .

2 — القافيـــة

لقد حاول اللغويون القدامى تحديد عناصر القافية ، فاختلفوا في ذلك ، وذهبوا مذاهب شتى ، قد يقتضي الاهتمام بها بحوثا موسّعة وفي عمل تطبيقي كهذا لا يعنينا

(1) لا تعتمد الأرقام بعد الفواصل .
(2) تعني العلامة (+) مواطن الاتفاق ، والعلامة (—) مواطن الاختلاف .

التبسط في مختلف أوجه النظريات والآراء ، وتتبع مواطن الوفاق والخلاف بقدر ما يعنينا تحديد الخطوات المنهجية التي نتمكن بمقتضاها اكتشاف خصائص استعمالها في البردة .

فقد كان منطلقنا الأول — في دراستها — جهود القدامى . والمنطلق الثاني جهود المحدثين . فما هي القافية إذن في ضوء الرؤيتين ؟ قال الخليل : " القافية من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن علّق ابن رشيق على التعريف فقال : ، والقافية — على هذا المذهب وهو الصحيح — تكون مرة بعض كلمة ، ومرة كلمة ، ومرة كلمتين[1] " .

وليس ابن رشيق وحده الذي أقرّ سلامة مذهب الخليل ، بل هناك من المعاصرين من انتابته الدهشة من فطنة الخليل فقال : " ولنا أن ندهش ، لأنّ الخليل حين صاغ هذا التعريف المعقد لم يلتفت إلى فكرة المقطع . فلو التفت إليها لأصبح تعريف القافية عنده أنها المقطع الشديد الطول في آخر البيت أو المقطعان الطويلان في آخره مع ما قد يكون بينهما من مقاطع قصيرة[2] " .

وما دام الأمر كذلك فما القافية إلّا عدة أصوات تكرّرت في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة[3] . فما خصائص هذه الأصوات ؟ وكيف استخدمت في البردة ؟ .

الخصائص الصوتية

نهتم في هذا القسم بالصوت الذي قبل الروي[4] ، كما نهتم بشيوعه وانتشاره وخصائص استعمالاته من حيث الانفجار والاحتكاك ، والهمس ، والجهر ، والتفخيم والترقيق ، والتنويع في الصوائت .

---

(1) ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 / 151 .
(2) د . شكري عياد ، موسيقى الشعر العربي ، ص 99 .
(3) د . إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 246 .
(4) هو المقطع الذي تبنى عليه الأبيات ، ويراعى تكراره ، ويجب أن يكون مشتركا في كل قوافي القصيدة . انظر إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 247 .

أ ـ الانفجار :

ورد المقطع الذي قبل الرّوي صامتا انفجاريا . والجدول يوضح أنواعه واستعمالاته :

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
الدال (د)	14 مرة[1]	12 م	1 م	1 م
القاف (ق)	10 م	4 م	3 م	3 م
الكاف (ك)	6 م	5 م	—	1 م
التاء (ت)	4 م	2 م	1 م	1 م
الطاء (ط)	3 م	—	1 م	2 م
الضاد (ض)	3 م	3 م	—	—
الهمزة (ء)	3 م	1 م	—	2 م
الباء (ب)	1 م	—	—	1 م

(1) نرمز لكلمة " مرة " بحرف الميم "م" .

ب — الاحتكاك

ورد المقطع الذي قبل الرّوي صامتا احتكاكيا . والجدول يوضح أنواعه ، واستعمالاته :

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
الهاء (هـ)	11م	4 م	1 م	6 م
السين (س)	11م	5 م	2 م	4 م
الصاد (ص)	7 م	2 م	1 م	4 م
الحاء (ح)	6 م	3 م	1 م	2 م
العين (ع)	4 م	4 م	—	—
الزاي (ز)	4 م	—	1 م	3 م
الشين (ش)	3 م	2 م	—	1 م
الخاء (خ)	3 م	3 م	—	—
الظاء (ظ)	3 م	2 م	—	1 م
الثاء (ث)	1 م	—	—	1 م
الفاء (ف)	1 م	1 م	—	—
الغين (غ)	1 م	1 م	—	—

جـ — المهموس(*)

ورد المقطع الذي قبل الرّوي صامتا مهموسا . والجدول يوضح أنوعه ، واستعمالاته .

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
هـ	11 م	4 م	1 م	6 م
س	11 م	5 م	2 م	4 م
ق	10 م	4 م	3 م	3 م
ص	7 م	2 م	1 م	4 م
ح	6 م	3 م	1 م	2 م
ك	6 م	5 م	—	1 م
ت	4 م	2 م	1 م	1 م
خ	3 م	3 م	—	—
ش	3 م	2 م	—	1 م
ء	3 م	1 م	—	2 م
ط	3 م	—	1 م	2 م
ف	1 م	1 م	—	—
ث	1 م	—	—	1 م

(*) اعتمدنا على كتاب الألسنية العربية لريمون طحّان جـ 1 / 51 .

د — الجهـــر

ورد المقطع الذي قبل الـرّوي صوتا مجهورا والجدول يوضح أنواعه ، واستعمالاته .

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
ر	17 م	9 م	2 م	6 م
ل	17 م	11م	3 م	3 م
د	14 م	12م	1 م	1 م
م	12 م	11م	—	1 م
ج	6 م	2 م	1 م	3 م
ن	6 م	4 م	—	2 م
ع	4 م	4 م	—	—
ز	4 م	—	1 م	3 م
ض	3 م	3 م	—	—
ظ	3 م	2 م	—	1 م
ب	1 م	—	—	1 م
غ	1 م	—	—	1 م

هـ — التفخيم والترقيق (*)

ورد المقطع الذي قبل الرّوي صوتا مفخما أو صوتا مرققا . والجدول يوضح أنواعه واستعمالاته .

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالتفخيم	عدد الاستعمال بالترقيق
ل	17 م	13 م	4 م
ر	17 م	1 م	16م
ص	7 م	7 م	—
خ	3 م	3 م	—
ض	3 م	3 م	—
ظ	3 م	3 م	—
ط	3 م	3 م	—
ق	10 م	10 م	—

(*) استفاد البحث من كتاب الأصوات اللغوية ، لإبراهيم أنيس ، ص 64، وكتاب دروس في علم أصوات العربية ، لجان كانتينو ، ص 37 ، وكتاب الألسنية العربية لريمون طحّان ، ج 1/ 51 — 52 . وقد اكتفينا بعرض النوع المفخم، والنوع الذي يكون مفخما ويأتي أحيانا مرققا .

من هذه الجداول يتبيّن لنا أن المقاطع الصوتية الواردة قبل الرّوي متنوعة ، فهي انفجارية واحتكاكية ، ومهموسة ومجهورة ، ومفخمة ومرقّقة .

ومن ينعم النظر فيها يستنتج أنها في شكل ثنائيات متصارعة متقابلة متكاملة ، ذلك أن الصوت الانفجاري يقابل الصوت الاحتكاكي ، والصورة نفسها واردة مع الصوت المهموس والمجهور ، والصوت المفخّم والمرقّق . وأمام هذه الثنائيات السّلبية العناصر الصوتية متناقضة ، مولدة القيمة الخلافية . غير أن هذا التناقض يتلاشى بالتقابل بين الثنائيات ، لأن بعض الأصوات تتداخل من حيث الصفات . فالقيمة الخلافية إذن ناشئة من تصارع وحدات الثنائيات وتقابلها في المحور العمودي . وهذه العملية عنصر حركيّ يقابل ظاهرة الانسجام في محور السلسلة الأفقية . ومن هنا فتصارع المحورين : وتقاطعهما كان مولدا من مولدات عنصر التوازي في البردة .

هذه بعض ملامح القافية ، وقد تزداد الرؤية وضوحا بالنظر إلى عيوبها ـ إن وجدت ـ وبالنظر إلى الصوائت المتنوعة قبل الروي .

أما من حيث العيوب فقد تبيّن لنا أن قافية البردة خالية من ذلك .

وأما من حيث الصوائت (الحركات) فهي ـ في البردة ـ ظاهرة في صورة ثنائيات متقابلة دلاليا وصوتيا ، ذلك أن الفتحة تقابل الكسرة ، والضمة تقابل الفتحة والكسرة تقابل الضمة .

ونهدف من وراء هذا العمل الى غايتين :

1 ـ إبراز تنوع الصوائت قبل الرّوي ، وحظها من الاستعمال في البردة

2 ـ تحديد عناصر القافية .

وقد أسفر الاستقراء على ضوء هذا عن ثلاث مجموعات متباينة من حيث التقابل .

أ ـ التقابل بين الفتحة والضمة

(اضم ، يهم) ، (مصطدم ، العلم) ، (منسجم ، صمم) ، الهرم ، محتشم) ،
(قسم ، الدسم) ، الندم ، اتهم) ، (مقتحم ، منفصم) ، (النسم ، منقسم) ،
(احتكم ، عظم) ، (الرمم ، نهم) ، (منفحم ، أمم) ، (بهم ، المظلم) ،
(متسم ، همم) ، (مبتسم ، ملتثم) ، (النقم ، ملتم) ، (ضرم ، كلم) ،
(صنم ، منهزم) ، (عمى ، أرم) ، (محتلم ، متهم) ، (الحرم ، علم) ،
(منتظم ، الشيم) ، (السأم ، اعتصم) ، (الفهم ، سقم) ، (مستلم ، العلم) ،
(مكتتم ، مزدحم) ، (نعم ، منهدم) ، (تئم ، مصطدم) ، (الحمم ، منحجم) ،
(منقصم ، أجم) ، (سلم ، منصرم) ، محترم ، ملتزم) ، (الأكم ، هرم) ،
(منتقم ، القلم) ، (القسم ، محترم) ، (منسجم ، النغم) ، :

المقاطع الصوتية الأخيرة التي تتكون منها القافية جلّها أصوات من بنية الكلمات ما عدا كلمة الثنائية (بهم ، الظلم) ، حيث " هم " وحدة صرفية الحقت بحرف الجر " ب " ، تدل على الجمع الغائب المذكر .

أما الصوت الذي قبل الرّوي فهو مقطع قصير (م ص) مكرر مع كل كلمات القافية . وأما الصوائت التي صاحبته فمختلفة من حيث التقابل .

ب ـ التقابل بين الضمة والفتحة

(الألم ، تلم) ، (الكتم ، اللجم) ، (الحكم ، العقم) ، (تشم ، يقم) ،
(اللمم ، الدّهم) ، (تدم ، حكم) ، (حمم ، يقم) ، (الرّخم ، الحرم) ،
(كمس ، الحزم) ، (الندم ، تسم) .

المقاطع الصوتية التي تكونت منها كلمات القافية كلّها أصوات من بنية الكلمات . والصوت الذي قبل الرّوي مقطع قصير (م ص) مكرر مع جميع كلمات القافية . أما الصوائت التي صاحبته فمختلفة من حيث التقابل .

ج — التقابل بين الكسرة والضمة

(استقم ، أصم) ، (الحلم ، كلّهم) ، (رومى ، ملتقم ، (الرسم ، مختتم)، (البهم ، تجم) ، (خصم ، اليتم) .

المقاطع الصوتية التي تكونت منها كلمات القافية جلّها أصوات من بنية الكلمات ما عدا كلمة الثانية : (الحلم ، كلهم) ، حيث " هم " لاحقة ألحقت بلفظة " كل " تدل على الجمع الغائب المذكر ، ومن ثمة فهي وحدة صرفية ذات دلالة . أما الصوت الذي قبل الرّوي فهو مقطع قصير (م ص) مكرّر مع كل الكلمات وأما الصوائت التي صاحبته فقد شكلت صورة من صور التخالف ، وهي التقابل بين الكسرة والضمة

نستنتج مما تقدم أن ظاهرة التقابل والتناوب بين صوائت الثنائيات هي — إلى جانب خصائص الصوامت — مولّد من مولدات القيمة الخلافية في البردة .

أما القافية من حيث عناصرها فهي صوتية وصرفية أحيانا . وأما الميمية (*) . فقد اشتملت على ما يقرب من 160 بيتا ، فيها حوالي 95 بيتا رويّها مسبوق بالفتح ، وحوالي 45 بيتا رويّها مسبوق بالكسر ، وحوالي 16 بيتا رويّها مسبوق بالضم . فهذا الإحصاء إذن يبيّن بوضوح أن الشعراء لم يعنوا بالتزام الصائت القصير قبل الرّوي . على أنهم فرقوا فيما يظهر بين القافية المقيدة[1] ، والقافية المطلقة[2] ، وفرّق منهم أيضا أهل العروض والقوافي فرأوا أن مراعاة ما يجب أن يراعى من صوامت وصوائت قبل الرّوي في القافية المقيدة حسن جميل ، وعابوا على من لم يراع هذا من الشعراء وسموه " سناد التوجيه[3] " .

(*) أعني بها "البردة"

(1) "وهي الساكنة الرّوي" انظر ، الأحمدي ، المتوسط الكافي ، ص 376 .

(2) "وهي المتحركة الرّوي" ، انظر المرجع نفسه ، ص 376 .

(3) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 267 .

3 — المقاطع الصوتية(*)

لقد اختلف اللغويون المحدثون في تعريف المقطع[1]. ولعلّ السبب في ذلك تعدّد المذاهب، وتباعد وجهات النظر. وأيّا ما كان الاختلاف، فالمقطع أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم[2]، وهذه الكتلة تطول وتقصر بحسب طبيعة المقطع نفسه، وبحسب النظام المقطعيّ للغة أيضا، لأن لكل لغة نظامها المقطعيّ المتميز. فالعربية مثلا لها خمسة أنواع[3] (**).

1 — المقطع الأول : وهو مقطع قصير يتكون من صامت + صائت قصير نحو : واو العطف والكاف " ك " من الفعل كتب.

2 — المقطع الثاني : وهو مقطع طويل يتكون من صامت + صائت طويل نحو : "لا "، و "ما" النافتين.

3 — المقطع الثالث : وهو مقطع طويل يتكون من صامت + صائت قصير + صامت نحو: " لن "، و " لم ".

4 — المقطع الرابع: وهو مقطع مغرق في الطول، يتكون من صامت + صائت طويل + صامت نحو : " قال "، و باع بالوقف.

(*) أفاد البحث في هذا القسم من جهود علماء الأصوات المحدثين : ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، وكمال بشر، علم اللغة العام، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، وجان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، وماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار، وعبد الصابور شاهين، في علم اللغة العام، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي . . . وغيرهم.

(1) يقابل المصطلح الفرنسيّ " [illegible] "

(2) د. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، ص 21.

(3) لقد أضاف تمام حسان مقطعا سادسا مكوّنا من صائت قصير + صامت، وهو مقطع قرين همزة الوصل. لكن في الواقع هذا المقطع افتراضيّ لا وجود له في العربية الفصحى، انظر كتابه، مناهج البحث في اللغة، ص 145.

(**) نرمز للصامت ([illegible])، بحرف الميم (م) مقابل الرمز الفرنسي " [illegible] ". وللصائت " [illegible] " بحرف الصاد (ص)، مقابل الرمز الفرنسيّ " [illegible] ". وللصائت الطويل بحرفين (ص ، ص) مقابل الرمز الفرنسيّ " [illegible] ". وبناء على هذا يكون رمز المقطع الأول، (م ، ص) مقابل " [illegible] ". والمقطع الثاني (م ص ص) مقابل " [illegible] ". والمقطع الثالث (م ص م) مقابل " [illegible] ". والمقطع الرابع (م ص ص م) مقابل " [illegible] "، والمقطع الخامس (م ص م م) مقابل " [illegible] ".

5 — المقطع الخامس : وهو مقطع مغرق في الطول ، يتكون من صامت + صائت قصير + صامت + صامت ، نحو : بحر وفقر بتسكين الراء .

أكثر هذه المقاطع شيوعا في العربية النوع الأوّل ، والثاني ، والثالث . أما النوعان الأخيران فقليلا الشيوع ، ولا يكونان — في الغالب — إلّا في أواخر الكلمات وعند الوقف .

والمقاطع في اللغة العربية إما قصيرة ، وإما طويلة ، وإما مغرقة في الطول ، وتجمل في نوعين :

أ — المقاطع المفتوحة ([illegible]) وهي التي تنتهي بصائت .

ب — المقاطع المغلقة ([illegible]) وهي التي تنتهي بصامت .

ولما كانت الكلمات في اللغة العربية تتكون من مقاطع مفتوحة ، أو مغلقة ، وكان المقطع المغلق يستغرق في نطقه زمنا أقل مما يستغرقه نطق المقطع المفتوح ، فإن توفيق الأديب يكون في كيفية استغلال هذه الوسيلة الصوتية ، واختيار المقطع المناسب للمقام الملائم . وانظر قول الناظم :

" أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم " (236)

" مثل الحمامة أنى سار سائرة ∴ تقيه حرّ وطين للهجير حمي " (243)

" كأنهم هربا أبطال أبرهة ∴ أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي " (243)

ففي صدر البيت الأول صوّرت المقاطع الطويلة المفتوحة : " ري ، وقا ، وكا " صوت الريح . وما ساعدها على إبراز ذلك وجود الصوامت : " الهمزة ، والميم ، والهاء ، والباء المشدّدة ، والتاء ، والراء المشدّدة ، والحاء " .

أما في عجزه فاضطراب الصوائت القصيرة ، وانتقالها من الفتحة إلى الكسرة إلى الفتحة (ـَ ـِ ، ـَ) ، ووجود المقاطع الطويلة المغلقة " أو ، ضل ، بر ، قط ، ظل ، من " . كل هذا قد صوّر تصويرا حسيًّا وميض البرق ، واضطراب الحركة .

وفي البيت الثاني المقاطع الطويلة المفتوحة (ما ، ني ، سا ، سا ، قي ، طي ، جي ، مي) ارتبطت بالمسافة البعيدة ، وطول السير ، والأناة ، فانسجمت مع الدّلالة ، وتحققت الصلة الطبيعية بين المد الصوتي وطول المسافة والسير .

أما مقاطع عجز البيت الثالث (صى ، را ، مي) فصورت المعني أحسن تصوير . والمقطع في البردة متنوع المعاني ، ومما دلّ عليه أيضا قوله :

" وقاية الله أغنت عن مضاعفة ∴ من الدروع وعن عال من الأطم "(243)

" أيحسب الصب أن الحب منكتم ∴ ما بين منسجم منه ومضطرم "(238)

" محمد سيد الكونين والثقلي ∴ ن والفريقين من عرب ومن عجم "(240)

ففي البيت الأول المقاطع الطويلة المفتوحة (قا ، لا ، ضا ، رو ، عا) تصوّر الكثرة وشدة الارتفاع .

وفي البيت الثاني المقاطع الطويلة المغلقة (يح ، بص ، صب ، أن ، نل ، حب ، هن ، من ، بي ، مـن ، مـن ، صن ، مض ،) تحكي صوت احتدام النار . ومما ساعد على إبراز هذا الصوت وجود الصيغ : منكتم ، منسجم ، مضطرم . أما وفرة مقاطع البيت الأخير (حم ، دن ، سي ، دل ، كو ، ني ، وث ، لي ، ول ، قي ، من ، عر ، بن ، من) وتكرار المثنى بالياء (الكونين ، الثقلين ، الفريقين) فقد جعلت البيت ثقيلا على السمع حتى ليخيل للقارئ انه غير موزون .

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله :

" قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ∴ وينكر الفم طعم الماء من سقم "(245)

" كالشمس تظهر للعينين من بعد ∴ صغيرة وتكل الطرف من أمم "(241)

" أقسمت بالقمر المنشق إن لـه ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم "(243)

" فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم "(244)

فوفرة المقاطع الطويلة المغلقة في هذه الأبيات مرتبطة بالمحسوسات وهي سمة من سمات النظم في البردة ، لأن الناظم في الأمثلة كلّها استخدم المحسوس لوصف شخصية الرسول (ص) . فقد اختار من عناصر الطبيعة والإنسان ما يلائم رسالته ، لتنزيلها منزلة المدركات والمحسوسات ، ذلك أن الرسول (ص) في البيت الأول حقيقة كطعم الماء وضوء الشمس ، وهو في البيت الثاني كالشمس . وفي البيت الثالث انشقاق قلبه كانشقاق القمر ، وفي البيت الرابع جماله المطلق كحسن اللؤلؤ .

الكلام عن المقطع الصوتي يطول ، ولو شئنا أن نتتبع الاستخدام الفني له لأتينا بأمثلة كثيرة تدل على ما بيّناه . غير أننا نجتزئ بهذا القليل ، ولعله يكفي في البرهنة على أنها سرّ من أسرار النظم في البردة .

4 ـ الترصيع (*)

الترصيع هو " أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف "(1) . أو " هو أن يكون حشو البيت مسجوعا . . وأصله من قولهم ـ رصعت العقد ـ إذا فصلته "(2) . والترصيع في الشعر كالسجع في النثر ، وهو من حيث الوزن والرّوي ثلاثة أقسام(3) : المتوازي ، المطرف ، المتوازن . وقد تقلّبت هذه التسميات تقلّبات كثيرة من حيث الحدّ ، ومن حيث الزيادة والنقصان في بعض أقسامها حتى استقر بها الحال على هذه الصورة . وقد أدرك القدامى قيمة السجع الفنية وأثره في النفوس . فالجاحظ في كتابه ، " البيان والتبيّين " ، يروي أنه " قيل لعبد الصمد بن الفضل ابن عيسى الرقاشي لم تؤثر السجع على المنثور ، وتلزم نفسك القوافي وإقامة : الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت لا آمل فيه الاسماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد(4) .

(*) قدامة ، نقد الشعر ، ص 30 . وأبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 416 .

(1) انظر قدامة ، نقد الشعر ، ص 30 . وابن رشيق ، العمدة ، ج 2/ 26 .

(2) أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 416 .

(3) انظر الزركشي ، البرهان ، ج 1/ 75 . ويحي بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ج 3/ 18 ـ 19 . وعبد الفتاح لاشين ، الفاصلة في القرآن ، ص 19 .

(4) ج 1 / 237 .

وصاحب البردة من الشعراء الذين أحسّوا بفعّالية هذه الوسيلة الصوتية البلاغية، وما لها من تأثير قوي في نفوس السامعين سواء أكانوا حاضرين أم كانوا غائبين، فاستخدمها استخدام العارف بأسرارها ، فشملت تجربته الشعرية الرائعة الأقسام الثلاثة[1] : المتواني ، المطرف ، المتوازن .

أ ـ المتواني (*)

التواني بمفهومه البلاغي سمة واضحة من سمات أسلوب البردة فهو بما يحمله من خصائص صوتية وبلاغية قد أثرى التعبير بنغمات نفسية أخاذة ، وإيقاع ، يعطي النفس متعة فنيّة مؤثرة تبعث في الفؤاد السكينة والطمأنينة . ومن أحسن الأبيات التي عبّرت عن ذلك :

: " وكلّهم من رسول الله ملتمس ∴ غرفا من البحر أو رشفا من الديم " (241)

: " كالزهر في ترف والبدر في شرف ∴ والبحر في كرم والدّهر في همم " (242)

: " أبان مولده عن طيب عنصره ∴ ياطيب مبتدأ منه ومختتم " (242)

: " من كلّ منتدب لله محتسب ∴ يسطو بمستأصل للكفر مصطلم " (246)

: " ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ∴ ومن هو النعمة العظمى لمغتنم " (245)

: " دامت لدينا ففاقت كل معجزة ∴ من النبيين إذ جاءت ولم تدم " (244)

: " أيحسب الصّب أن الحب منكم ∴ ما بين منسجم منه ومضطرم " (238)

: " عدتك حالي لا سرّي بمستتر ∴ عن الوشاة ولا داي بمنحسم " (239)

: " يارب واجعل رجائي غير منعكس ∴ لديك واجعل حسابي غير منخرم " (248)

: " إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض ∴ من النبيّ ولا حبلي بمنصرم " (248)

---

(1) عند الوصف تلغي علامات الإعراب ، ويعتمد الوقف .

(*) المتواني من أشرف الأنواع ، وهو أن تتفق فيه الكلمات في الوزن والروي . انظر الزركشي ، البرهان ، جـ 1/ 75 . ويحي العلوي ، الطراز، جـ 3/ 13 .

المطابقة بين كلمات القرائن :

غرف / رشف : م ص م م // م ص م م

زهر / بدر : م ص م م // م ص م م

تعرف / شرف : م ص م م // م ص م م

مولده / عنصره : م ص م + م ص + م ص م // م ص م + م ص + م ص م .

منتدب / محتسب : م ص م + م ص + م ص م // م ص م + م ص + م ص م .

كبرى / عظمى : م ص م + م ص ص // م ص م + م ص ص .

دامت / فاتت / جاءت : م ص ص + م ص م // م ص ص + م ص م // م ص ص + م ص م .

صب / حب : م ص م // م ص م

منكتم / منسجم : م ص م + م ص + م ص م // م ص م + م ص + م ص م .

حالي / دائي : م ص ص + م ص ص // م ص ص + م ص ص .

رجائي / حسابي : م ص + م ص ص + م ص ص // م ص + م ص ص + م ص ص .

عهدي / حبلي : م ص م + م ص ص // م ص م + م ص ص .

ما يميز فن التوازي في هذا الاستعمال هو تعادل كلمات القرائن في الوزن ، وتوافق نهاياتها في المقطع الأخير . فالمقاطع متنوعة من حيث الاستخدام بين الطويلة المفتوحة ، والطويلة المغلقة ، والمفرقة ، في الطول . وأما من حيث صفاتها فمنها : الاحتكاكي والانفجاري ، ومنها ما هو لا احتكاكي ولا انفجاري .

ولئن كانت المقاطع ذات الصفة الاحتكاكية قد شكلت النسبة العالية فذلك راجع إلى طبيعة الموضوع — وهو التنويه بأصل الرسول (ص) وعظمة شخصيته — الذي اقتضى هذا الصوت الجذب السلس ليتماشى مع المعاني وسياق المقام .

ومن الظواهر الأسلوبية الطريفة في هذه الأمثلة وجود الازدواج في البيتين : الثاني ، والخامس .

— " زهر / بدر "

— " تعرف / شرف "

— " كبرى / عظمى "

— " آية / نعمة "

هذه الظاهرة تسمّى عند القدامى : " سجع في لفظين لفظين[1] " أو " سجع في سجع[2] " وهي إن سلمت من الاستكراه — ويبدو أن صاحب البردة قد أحسن استخدامها — تعد أحسن وجوه السجع[3] ومن أقسامه الأخرى التي تفنن فيها الناظم المطرف .

ب — المطرف (*)

من طرائف الاستعمال ، وبراعة النظم والافتنان ، استخدام أسلوب التطريف ، وهو وسيلة من الوسائل البلاغية ، تنشط المتلقي ، وتبعث فيه المتعة الفنية . ذلك أن تكسير رتابة الإيقاع ، ونقل السامع من حالة إلى أخرى دون الشعور بالسأم والضجر هي سمة من سمات النظم في البردة . فإذا كانت كلمات القرائن متفقة في الوزن والرّوي في أسلوب التوازي ، فإن الوضع يختلف مع التطريف ، لأن الناظم يعدل عن الوزن ويكتفي بالرّوي فقط . وفي هذا شدّ للانتباه ، وربط للقارئ — أو المتلقي — بالرسالة . فالتطريف له من الحسن والأهمية ما لفن التوازي ، فهو — إلى جانب ما ذكرنا — يضفي على الموسيقى لحنا عذبا ، ونغما موحيا مؤثرا . فأدبيه[4] . البردة مدينة له بقط وافر ، ومن استعمالاته وسرّ نظامه هذه الأمثلة :

: " نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ∴ والحب يعترض اللذات بالألم " .[239]

: " واخشر الدسأس من جوع ومن شبع ∴ فرب مخمصة شر من التخم " .[240]

: " محمد سيد الكونين والثقلـ ∴ ـن والفريقين من عرب و من عجم " .[420]

(*) هو أن تتفق فيه كلمتا القرينتين في الرّوي ، لا في الوزن ، انظر الزركشي ، البرهن ، ج 1/ 76 .

(1) نقد الشعر ، ص 80 .

(2) أبو هلال العسكري ، الصناعين ، ص 288 .

(3) المصدر نفسه ، ص 288 .

(4) يقابل (noétique) ، وهي عند ياكبسون إحدى الوظائف اللغوية التي تحدد من خلالها قيمة الرسالة (Message) كإبداع فني . انظر :

Dubois et autres
Dictionnaire de linguistique (noétique)

:" فهو الذي تم معناه وصورته ∴ ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم(241)".

:" لو ناسبت قدره آياته عظما ∴ أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم(241)".

:" فمبلغ العلم فيه انه بشر ∴ وانه خير خلق الله كلهم(242)".

:" لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم(244)".

:" ومن تكن برسول الله نصرته ∴ إن تلقه الأسد في آجامها تجم(247)".

:" فإن من جودك الدنيا وضرتها ∴ ومن علومك علم اللوح والقلم(243)".

اتفاق كلمات القرائن في الروي دون الوزن

سرى / أهدى : م ص + م ص ص // م ص م + م ص ص .

جوع / شبع : م ص ص م // م ص + م ص م .

كونين / ثقلين / فريقين : م ص م + م ص م م // م ص + م ص + م ص م م // م ص + م ص ص + م ص م م

معناه / اصطفاه(*) : م ص م + م ص ص م // م ص + م ص ص + م ص م م

قدره / اسمه : م ص م + م ص م // م ص + م ص م

بشر / خير : م ص + م ص م // م ص م م .

معاد / عاد : م ص + م ص ص م // م ص ص م .

نصرته / تلقه : م ص م + م ص + م ص م // م ص ص م .

جودك / علومك : م ص ص + م ص م // م ص + م ص ص + م ص م .

كلمات القرائن متفقة في الروي ، مختلفة في الوزن . والموازن متسع أنواع المقاطع كلها : (م ص ، و م ص ص ، و م ص م ، و م ص ص م ، و م ص م م) . وهذا لم يحصل مع جنس التواني .

أما الروي فمتنوع الاستخدام من حيث الصوت ، ذلك أنه ورد صامتا (ع ، ن ، ه ، د ، ك) ، وشبه صائت (ن ، ر) . وصائتا طويلا (الياء) . وأما من حيث صفاته

(*) لا تعتمد همزة الوصل ، وإنما الصوت الذي تبلها .

فمنه الانفجاري : (ك ، د ،) ، ومنه الاحتكاكي : (هـ ، ع) ، ومنه المهموس : (هـ ، ك) ، ومنه المجهور : (ع ، ر ، د) .

هذا السّر في استخدام الوزن والرّوي — هو لا شك — الخصوصية الصوتية والدلالية التي ميّزت ظاهرة التطريف في البردة .

وإذا كان التطريف عدولا عن الوزن فإن هناك جنسا آخر يعدل عن الرّوي دون الوزن ، وهو في اصطلاح البلاغيين " المتوازن " .

ج — المتوازن (*)

التوازن بمفهومه البلاغي قسم من أقسام الترصيع . ضبط صاحب البردة استخدامه ، فحقّق به التنوّع الإيقاعي . ذلك أنه إذا كان التوازي توافق أعجاز القرائن في الوزن والرّوي ، وإذا كان التطريف اتفاقا في الرّوي دون الوزن ، فإن التوازن اتفاق في الوزن دون الرّوي .

فالمراجعة إذن بين هذه الضروب — إذا سلمت من الاستكراه — تنشئ عنصر المفاجأة ، وتوقظ النفس ، وتحرك المشاعر ، لأن الانتقال من التوازي إلى التطريف إلى التوازن — أو العكس — أقرب إلى النفس والذوق من الرتابة الإيقاعية لترديد الصوت الواحد . ومن روائع استعمالاته هذه الأبيات :

: " بعارض جاد أو خلت البطاح بها ∴ سيب من اليم أو سيل من العرم " (244)

: " قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ∴ وينكر الفمّ طعم الماء من سقم " (245)

: " فحزت كل فخار غير مشترك ∴ وجزت كل مقام غير مزدحم " (246)

: " وجل مقدار ما وليت من رتب ∴ وعز إدراك ما أوليت من نعم " (246)

: " أكرم بخلق نبيّ زانه خلق ∴ بالحسن مشتمل بالبشر متسم " (242)

: " أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ∴ في القرب والبعد فيه غير منفحم " (241)

(*) هو " أن يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط " . انظر الزركشي ، البرهان ، ج 1/76 . ويحي العلوي ، الطراز ، ج 3/ 19 .

سيب // سيل : م ص م م // م ص م م .

ضوء // طعم : م ص م م // م ص م م .

فخار // مقام : م ص + م ص ص م // م ص + م ص ص م .

مقدار // إدراك : م ص م + م ص ص م // م ص م + م ص ص م .

جل // عز : م ص م // م ص م .

حسن // بشر : م ص م م // م ص م م .

بعد // قرب : م ص م م // م ص م م .

ورى // يرى : م ص + م ص ص // م ص + م ص ص .

الأجناس البلاغية في هذه الأمثلة متداخلة ، فالتوازن والتوازي في : (حزت ، وجزت) ، و (ورى ، يرى) . والتطريف في : (خلف ، وخلق) . وكلمات : (حزت ، جزت) ، (يرى ، ورى) ، خلق ، خلق) ثنائيات مرتبطة بدلالات مهمة[1] .

هذا التداخل بين أجناس الترصيع ، وبين الجناس والترصيع مسخّر في الغالب لوصف شخصية الرسول (ص) ، وصفاته المطلقة ، ذلك أن الرسول نال كل فخار وتعظيم غير مشترك ، وولّاه الله الدرجات العالية . وهو الذي زانه الحسن والبشاشة . وأعجز الخلق فهم معناه .

ومن الظواهر الصوتية الأخرى تباعد مخارج أعجاز القرائن ، ووفرة المقاطع : الخامس والثالث : (م ص م م ، و م ص م) .

ولئن كان الصوت في هذا القسم مرتبطا بالموسيقى ، ومؤديا دوره في التبليغ ، والتأثير ، فإن الناظم يلجأ أحيانا إلى تكرار أصوات مفردة أو مجتمعة ليحدث نوعا من الانسجام الطبيعي بين الدوال والمدلولات .

---

(1) انظر الجناس ، ص 50 وما بعدها ، من هذا الفصل .

ثانيا : الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى

قضية العلاقة بين الصوت والمعنى قضية قديمة آثارها الخليل بن أحمد وتبعه سيبويه ، وأقرّ لطفها والاعتراف بصحتها أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص بقوله :" اعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحته[1]" . أما فيما يتعلق بقضيّة العلاقة بين الألفاظ والمعاني فقال :" فأما باب مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها ، فيعدّلونها بها ، ويحتذونها عليها . وذلك أكثر مما نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره[2] . وأما فيما يتعلق بقضية العلاقة بين الصوت والمعنى في اللفظة المفردة فقال :" ومن ذلك قولهم خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب . والقضم للصلب اليابس ، نحو قضمت الدابة شعيرها . ونحو ذلك[3]" . فصوت الخاء لرخاوته ناسب المأكول الرطب ، والقاف لصلابته ناسب اليابس . والأمثلة المشابهة لهذه الظاهرة الصوتية كثيرة نحو :" النضخ والنضح) ، و (القد والقط) ، و (الوسيلة والوصيلة) ، و (السد والصد) ، و (القسم والقصم) .

من الواضح أن هذه الآراء تبحث قضية الانسجام بين الدوال والمدلولات ، بحيث تنسجم الأصوات القوية مع المعاني القوية ، والأصوات اللينة مع المعاني اللينة[4] .

ولقيت هذه القضية من آمن بها — بعد ابن جني — إيمانا قويا . فقد ذكر السيوطي — وهو من المتأخرين — في المسألة العاشرة في كتابه : المزهر في علوم اللغة أن عباد بن سليمان الصميري — وهو من المعتزلة — ذهب إلى أن بين الدال والمدلول مناسبة طبيعية[5] . وهي القضية نفسها التي ذهب إليها علماء العربية

---

(1) ج 2 / 152

(2) المصدر نفسه ، ص 157

(3) المصدر نفسه ، ص 157

(4) انظر محمد المبارك ، فقه اللغة ، ص 102 — 103 ، وصبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 150 — 151 ، وابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 43 .

(5) ج 1 / 47 .

التدامى وأكدها السيوطي فقال :" وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني[1]" . غير أن هناك من أنكر الصلة بين الدوال والمدلولات، وهو عبد القاهر الجرجاني الذي نفى أن تكون لنظم الأصوات وتواليها أمر عقلي ذلك أن " نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال " ربض " مكان ضرب لما كان ذلك ما يؤدي إلى فساد[2]" .

والقضية هذه كما شغلت أذهان علماء اللغة العربية شغلت أيضا أذهان بعض اللغويين المحدثين وبالأخص أولئك الذين استهوتهم بنية الصوت ودلالته ، فكانوا لها بين متحمس ورافض . أما الذين تحمسوا — وهم من الأوروبيين — فإنهم ظلوا يتصورون لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والمدلولات . فاللغوي المشهور همبلت Humbolt (ت 1835) يقول في هذا الصدد : " اتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التي توحي إلى الآذان بنفسها أو بمقارنتها بغيرها أثرا مماثلا لذلك الذي توحيه تلك الأشياء إلى العقول[3]" . ومن العرب من ناصر هذه القضية، ودعا إلى متابعة التحري والبحث فيها . اللغوي محمد المبارك الذي يقول:" لا شك أن في اللغة العربية خصيصة تبهر الناظرين وتلفت نظر الباحثين ، وهي تقابل الأصوات والمعاني في تركيب الألفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أو إضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التي تركّبت منها الألفاظ ودلالاتها[4]" . فعلاقة الصوت بالمعنى إذن طريق ينبغي أن يشق ، لأن ذلك سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي[5] .

---

(1) المزهر في علوم اللغة ، ج 1/ 47

(2) دلائل الإعجاز ، ص 40 .

(3) إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص 143 .

(4) فقه اللغة ، ص 105

(5) المرجع نفسه ، ص 105 .

وهي عند صبحي الصالح فتح مبين في فقه اللغات عامة[1]. وقد اختصت اللغة العربية بهذا الموضع الشريف اللطيف دون اللغات الكبرى، لأننا " لا نعرف بين هذه اللغات أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسة اللغوية[2]" .

هذا الفن من الدراسة اللغوية لم يعد كلاما فلسفيا نظريا — كما يظن البعض — وإنما أصبح شيئا تطبيقيا، يستنتج من خلال النصوص الأدبية بعدّها عناصر حيّة تتفاعل فيها الظواهر الصوتية، والصرفية والنحوية، ذلك أن الصوت حينما يتردد في نص أدبيّ — إن لم يكن مبالغا فيه — يكون مرتبطا في الغالب بعاطفة الأديب من حيث قوتها وضعفها . واستمع مثلا لقول المتنبي :

" ومن عرف الأيام معرفتي بها ∴ وبالناس روي رمحه غير راحم"

فترديد الراء ثلاث مرات في قوله :" روي رمحه غير راحم " قد جاء عاكسا لصفات الحقد والانتقام والقسوة، فقوي الانطباق على وخزة الرمح الذي أراد الناظم أن يغرسه بقسوة في جسم عدوه[3].

أو قول الشاعر :

وتسخن ليلة لا يستطيع نباحا ∴ بها الكلب إلا هريرا

وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبيرا

فترديد الراء والدال في هذا المثل اتصل اتصالا وثيقا بمعنى " البرد " فصارت العلاقة بين الدال والمدلول أمتن وأوضح[4]. وشبيه بهذا قوله تعالى :" يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة" . فترديد الأصوات في هذه الآية يصور " الرجفة " أحسن تصوير[5].

---

(1) دراسات في فقه اللغة، ص 151

(2) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 49.

(3) د. محمد النويهي، الشعر الجاهلي : منهج في دراسته ونقده، ج 1/ص 65—66

(4) محمد عجينة، الألسنية والنص الشعري (تقرير مقدم للملتقى الدولي حول التحليل اللساني للنصوص)، ص 13 .

(5) محمود أحمد نحلة، لغة القرآن، ص 348.

ومن هذا تتضح أهمية الأصوات في دراسة النص الأدبي، وهو نهج اتبعه الكثير من اللغويين الذين استفادوا من اللسانيات عموما ، ونتائج علم الأصوات خصوصا .

وأما من اللغويين المحدثين الذين أعرضوا عن مناسبة الدوال للمدلولات واحتجوا على فساد هاهاللغوي " مدفيج (ت 1342) الذي أورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الأوروبية ، تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت وهو من المدافعين وتخالفها في الأصوات[1] .

واللغوي فرديند دي سوسير — رائد اللسانيات في أوائل القرن العشرين — الذي أوضح أن العلاقة الطبيعية بين الدوال والمدلولات اعتباطية (arbitraire) . غير أنه استثنى قضية الأسماء الطبيعية (onomatopées) التي بدت له بأنها ليست دائما اعتباطية[2] .

وكادت الدراسات اللغوية بعد نظرية سوسير تسير في خط مستقيم . فلو استثنينا بعض المحاولات التي استفادت من التراث اللغوي القديم ، واللسانيات — وهي في الواقع قليلة لا تطفئ ظمأ — لقلنا : كأن أبواب الاجتهاد في قضية العلاقة بين الدال والمدلول قد توقفت عند سوسير ومع سوسير ، ذلك أن أغلب المحاولات التي جاءت بعده ، إما شرح وترديد لما قاله ، وإما إضافات وتنقيحات ، تدعم الفكرة وتثبت صحتها .

وقضية الصوت والمعنى هي القضية التي سنحاول تلمّس أثرها من خلال " البردة"، وهي قضية صعبة ، لأن " العلاقة بين المعنى والصوت ليست علاقة مباشرة ، بل تخضع لقواعد اللغة وقواعد اللغة من التعقيد بحيث لا تجعل أمر استخلاص المعنى من الصوت أمرا سهلا[3]" . فدراسة معنى الصوت — إذن — شاقة[4] . لذلك يتوجب على الباحث في هذا الباب ، وغيره من الدراسة اللغوية أن يكون حذرا ملما بقضايا علم

---

(1) د . ابراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ص 144 .
(2) انظر . 100 — 102 . cours linguistique générale
(3) د . نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة (سلسلة عالم المعرفة)، ص 79
(4) تامر سلومة ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، ص 45 .

الأصوات ، لأن ما يتكرر من الأصوات في بعض النصوص الأدبية غالبا ما يكون ذا قيمة فنية وإبداعية ، سواء أقصد الناظم ذلك أم لم يقصد . فربط الصوت المكرر بالمعنى من خلال بيت شعري أو جملة أو عبارة ، هو أمر جدير بالاهتمام والدراسة ، لأن ذلك له علاقة وطيدة بالصناعة الأدبية وموسيقى الشعر . غير أنه يوصى الدارس بالتزام البعد عن الإفراط في التوهم ومحاولة إيجاد علاقات مبتسرة ، لا تمت بصلة إلى الموضوعية، وروح العلم الذي هو غاية كلّ باحث .

1 ـ تكرار الصوت بعينه

أ ـ الصوت الانفجاري

بدت الصوامت الانفجارية ـ في البردة ـ من حيث الشيوعُ ، والتكرار من الأصوات التي تحقّق في جلّها عنصر الانطباق الدّلالي . ومن أحسن الصوامت المعبرة عن هذه الظاهرة اللغوية الأبيات الآتية :

:" وبعدما عاينوا في الأفق من شهب ∴ منقضة وفق ما في الأرض من ضرم". (243)

:" أقسمت بالقمر المنشق إن لـه ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم". (243)

تردد في البيت الأول كل من القاف والفاء ثلاث مرات ، وهما صامتان انفجاريان قد صورا السرعة والسقوط بقوة ، وساعدهما على نسج هذه الدلالة الطبيعية الصيغة " منقضة " ، والهمزة ، والباء ، والتاء ، وكلها صوامت انفجارية .

أما في البيت الثاني فتكرير القاف خمس مرات في:" أقسمت ، القمر ، المنشق ، قلب، القسم ،" ووجود الصوامت الانفجارية :" الباء ، والتاء ، والهمزة " . كل هذا قد صور تصويرا حسّيا صوت الشق فانسجمت الأصوات مع المعاني، علما بأن القاف هنا قد ولّد موسيقى قوية وعنيفة .

ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يلحظ في قوله :

" وأنت تخترق السبع الطباق بهم ∴ في موكب كنت فيه صاحب العلم". (245)

" ردت بلاغتها دعوى معارضها ∴ رد الخيوريد الجاني عن الحرم". (244)

ففي البيت الأول اتصلت الصوامت الانفجارية : " التاء ، والباء ، والطاء ، والقاف ، والهمزة " اتصالا وثيقا بمعنى الخرق . وساعد على إبراز هذه الدلاله صيغة "تخترق" وفي البيت الثاني صور الصامت الانفجاري " الدال " قوة التصدي للمعارضين .

وبعد نكتفي بهذه الأمثلة الدالة على أثر الصوت في المعنى ، وهي قليل من كثير .

ب — الصوامت الاحتكاكية

تستخدم الصوامت الاحتكاكية — في البردة — استخداما رائعا ، فهي بصفاتها الصوتية الخاصة تصور المعاني تصويرا حسيا وتضفي عليه جرسا موسيقيا موحيا مؤثرا . ومن الأبيات الدالة على ذلك .

: " ما رنحت عذبات البان ريح صبا ∴ وأطرب العيس حادي العيس بالنغم ".(249)

: " واخشر الدسا س من جوع ومن شبع ∴ قرب مخمصة شر من التخم ".(240)

نشأ في البيت الأول من تكرار العين والحاء ، ووجود الذال ، والصاد والسين — وهي صوامت احتكاكية — نوع من الحركة والطرب ، ذلك أن هذه الأصوات بما تمتاز به من صفات كأن : " يضيق مجري الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا [1] أو نوعا من الصفيف [2] ، قد ارتبطت ارتباطا حسيا بمعنى الحركة والطرب ، والألحان العذبة والنغم ، وأضفت على السياق طعما متميزا يستعذ به الذوق ، ويتوق إليه الإحساس المرهف .

أما البيت الثاني فقد تكرر فيه كل من الخاء والشين ثلاث مرات في : " واخشر ، شبع ، مخمصة ، شر ، تخم " . والخاء صامت احتكاكي مهموس يرتفع أقصى اللسان حال النطق به ، ويكاد يلتصق بأقصى الحنك ، بحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاذ [3] . قد صور فساد الطعام في المعدة — بإحداث نوعا من الخشخشة —

---

(1) د . كمال بشر ، علم اللغة العام / الأصوات ، ص 113 .

(2) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 24 .

(3) المرجع السابق ، ص 121 .

فالجيم ـ هو صامت احتكاكي انفجاري ـ مرتبط بمعنى الخضوع والطاعة . وقد أبرز هذا الارتباط وجود الصيغة " ساجدة " .

د ـ الصوامت المكررة " الراء "

يكثر في البردة استخدام المكرر ـ الراء ـ ولا شك أن ما يمتاز به هذا الصامت من خصائص صوتية كأن " تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا[1] . قد انسجمت انسجاما وثيقا بالمعنى ، وانظر قوله :

" وكلهم من رسول الله ملتمس ∴ غرفا من البحر أو رشفا من الديم "[241]

" يجري بحر خميس فوق سابحة ∴ يرمي بموج من الأبطال ملتطم "[246]

فتكرار الراء في عجز البيت الأول ثلاث مرات في : " غرفا ، وبحر ، ورشفا " مرتبط بصوت الماء .

وتكرار الراء في البيت الثاني ثلاث مرات في : " يجري ، وبحر ، ويرمي " متصل اتصالا وثيقا بمعنى الجذب والسحب بشدة وقوة . فانسجمت الأصوات مع المعاني .

وقد يدل الراء بصفته الجوهرية ـ وهي التكرير ـ على معنى التتابع والتوالي .

: " سريت من حرم ليلا إلى حرم ∴ كما سرى البدر في داج من الظلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ∴ من قاب قوسين لم تدرك ولم تـرم "[245]

فترديد " الراء " في هذا المثل ثماني مرات في : " سريت ، (حرم + حرم) ، سرى ، يدري ، ترقى ، تدرك ، ترم " متصل بالحركة والتتابع ، من ذلك الانتقال من مكة إلى المسجد الأقصى ، إلى السموات العلى .

هـ ـ الصوامت المنحرفة

يؤدي الصامت المنحرف ـ اللام ـ دورا بارزا ، فيتحد بالدّلالة ويضفي على البيت الشعري إيقاعا متميزا . ومن أحسن الاستعمالات التي تجسد ذلك .

: " كم حسنت لذة للمرء قاتلة ∴ من حيث لم يدر أن السم في الدسم "[240]

: " إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ∴ فضلا وإلا فقل يازلة القدم "[248]

---

(1) د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 129 .

فتكرير الصامت المنحرف ـ اللام ـ في البيت الأول ، وهو " يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو أحدهما (1)" متصل بمعنى الانحراف الذي يبدو حسيا . غير أنه معنوي ، لأن النفس تقتل المرء من حيث لا يدري . ومما قوّى هذا الزعم وجود الصوامت المدغمة : " السين ، والذال ، والنون ، والدال ، والميم " ، فهي بأقصى ما وصلت إليه من تأثر بما جاورها حتى الفناء ، وإلى عدّها أصواتا دالة على صوت واحد ، قد جسّدت تجسيدا رائعا ظاهرة اختفاء السم عند امتزاجه بالدسم على طريقة اختفاء الأصوات المدغمة عند الادغام . فانسجم الصامت المنحرف مع معنى الانحراف ، وغدا التكرار ضربا من التفنن العجيب ، لأنه في هذا البيت " كمثل الموسيقى حين تتردد فيها أنغام بعينها في مواضع خاصة من اللحن ، فيزيدها هذا التردد جمالا وحسنا (2)" .

أما ترديد اللام بوفرة في عجز البيت الثاني في : " فضلا ، وإلا فقل يازلة القدم " فقد اتّصل اتصالا وثيقا بالانحراف من حيث زلّة القدم هي انحراف عن الصواب أو عن الحق . فانسجمت الأصوات مع المعنى ، وتحقق الرابط الطبيعي بينهما . وقد يأتي الصوت لمجرد التكرار ، فينتج عنه ثقل . وانظر قوله :

-" كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه وكم خصم البرهان من خصم (244)"

فالثقل ناتج عن تكرار اللام في صدر البيت .

و ـ أشباه الصوائت (*)

من الظواهر الصوتية الطريفة المستخدمة في البردة كثرة أشباه الصوائت وهي : اللام ، والميم ، والنون ، والراء . فقد أوضح البحث الصوتي بأن هذا النوع كثير الشيوع ، وذلك من خلال استقراء بعض معاجم اللغة العربية ، والقرآن . أما فيما يتعلق

---

(1) د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص 129 .

(2) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 41 .

(*) قد فصّلنا القول في هذا الجانب ، انظر ص 5

بالمعاجم ، وهي : الصحاح ، واللسان والتاج فقد تبيّن أن الراء ـ ر ـ وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثلاثة ، ثم النون في اللسان والتاج ، ثم الميم في اللسان ، والتاج . أما النون فقد وردت بأعلى نسبة في الصحاح وكان اللام آخرها . وأما فيما يتعلق بالقرآن فقد تبيّن أن اللام وردت " 33022 مرة " ، والنون " 26525 مرة " ، والميم " 26135 مرة " ، والراء " 11793 مرة[1] " .

أما استقراؤنا ـ للبردة ـ فقد أسفر عن النتائج الآتية : اللام 709 مرة ، ثم الميم 685 م(*) ، ثم النون 433 م ، ثم الراء 326 م . فما علّة هذه الظاهرة نشير أولا إلى أن علم الأصوات الحديث قد ميّز أشباه الصوائت عن غيرها من الأصوات بما يلي :

أ ـ مجرى النفس مع هذه الأصوات تعترضه بعض الحوائل ، وهي صفة من صفات الصوامت[2] .

ب ـ لا يكاد يسمع لهذه الأصوات أي نوع من الحفيف[3] .

ج ـ هذه الأصوات تعدّ من أكثر الصوامت وضوحا في السمع[4] .

د ـ وهي كثيرة الشيوع سهلة من حيث النطق[5] .

إذا علمنا أن هذه السمات هي صفات أشباه الصوائت التمسنا لوجودها في البردة تعليلا ، ذلك أنها مولّدة ـ كما يبدو ـ الوظيفة

---

(1) انظر د . عبد العزيز مطر ، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ص 260 .

(*) الميم " م " اختصار كلمة مرة .

(2) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 27 .

(3) المرجع نفسه ، ص 27 .

(4) المرجع نفسه ، ص 27 .

(5) د . عبد العزيز مطر ، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ص 260 .

الانتباهية[1] . التي ساهمت في الحرص على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز[2] . والناظم كباث[3] . قد نجح في استخدام هذه الوسيلة الصوتية الفعّالة ، لأن لتكرار أشباه الصوائت ووفرتها لفتا لانتباه السامعين أو القراء . كما أنها أدت دور القادح للفتيل حيث نجحت بصفاتها المتميزة كالسهولة والوضوح ، السمعي ، والتأثير في تبليغ الرسالة ، وتوطيد الرابط الوجدا ني المشترك بين الباث — الناظم — وبين القراء — المتقبلين — وللتأكيد انظر سحر هذه الأصوات وعذوبتها وقوة تأثيرها على السمع — وهذا مثل قليل من كثير .

:" أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم "[238]

فبهذا النسج الصوتيّ — وهو عنصر من عناصر كثيرة — أقبل المتلقون على قراءة البردة وحفظها ، بل حوّلوها إلى مديح يتغنون به في المواسم الدينية ، فصارت البردة مجدا من الأمجاد الأدبية الخادة . هذا المجد اختلف بعض الدارسين في تحديد علّته ، فمنهم من أرجعه إلى الإخلاص[4] . غير أن الإخلاص وحده لا يمكّن الشاعر من ناحية المجد الأدبي ، ولا يرفعه إلى منزلة الخلود[5] . ومنهم من أرجعه إلى السمات الملحمية في البردة[6] . وهذه — أيضا — حجة ضعيفة تحتاج إلى سبر علميّ .

---

(1) تقابل في الفرنسية " Mélodie phatique " . و"يمكن أن يدرج في هذه الوظيفة كل ما به يلفت الباث انتباه سامعه — أو قارئه — من تأكيد أو تكرار أو إطناب ..." انظر د . عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 156 .

(2) د . عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 156 .

(3) يقابل (Destinateur) .

(4) د . زكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص 170 .

(5) عمر باشا ، الزبدة في شرح البردة ، ص 38 .

(6) المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

الانتباهية[1] . التي ساهمت في الحرص على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز[2] . والناظم كباث[3] . قد نجح في استخدام هذه الوسيلة الصوتية الفعّالة ، لأن لتكرار أشباه الصوائت ووفرتها لفتا لانتباه السامعين أو القراء . كما أنها أدت دور القادح للفتيل حيث نجحت بصفاتها المتميزة كالسهولة والوضوح ، السمعي ، والتأثير في تبليغ الرسالة ، وتوطيد الرابط الوجدا ني المشترك بين الباث — الناظم — وبين القراء — المتقبلين — وللتأكيد انظر سحر هذه الأصوات وعذوبتها وقوة تأثيرها على السمع — وهذا مثل قليل من كثير .

:" أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم[238] "

فبهذا النسج الصوتيّ — وهو عنصر من عناصر كثيرة — أقبل المتلقون على قراءة البردة وحفظها ، بل حوّلوها إلى مديح يتغنون به في المواسم الدينية ، فصارت البردة مجدا من الأمجاد الأدبية الخادة . هذا المجد اختلف بعض الدارسين في تحديد علّته ، فمنهم من أرجعه إلى الإخلاص[4] . غير أن الإخلاص وحده لا يمكّن الشاعر من ناحية المجد الأدبي ، ولا يرفعه إلى منزلة الخلود[5] . ومنهم من أرجعه إلى السمات الملحمية في البردة[6] . وهذه — أيضا — حجة ضعيفة تحتاج إلى سبر علميّ .

---

(1) تقابل في الفرنسية " Malfonction phatique " . و"يمكن أن يدرج في هذه الوظيفة كل ما به يلفت الباث انتباه سامعه — أو قارئه — من تأكيد أو تكرار أو إطناب ..." انظر د . عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 156 .

(2) د . عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 156 .

(3) يقابل (Destinateur) .

(4) د . زكي مبارك ، المدائح النبوية ، ص 170 .

(5) عمر باشا ، الزبدة في شرح البردة ، ص 38 .

(6) المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

والواضح أن هؤلاء قد غاب عن أعينهم سر الصوت اللغوي ، ودوره في البناء الشعري ، وفي التبليغ والتأثير على المتقبلين — أو القراء — فهو كالملح بالنسبة للطعام ، لا نحس بدونه طعم الأكل مهما تنوّعت أصنافه وألوانه .

فالصوت اللغوي بصفة عامة — إلى جانب التركيب والدّلالة — هو الذي أعطى البردة هذا الطعم اللذيذ ، وهذا السحر الجميل ، وهذه الموسيقى الموحية المؤثرة ، لذلك يمكن القول — وهو رأي بدا لنا — إن إقبال القراء والباحثين على البردة قديما وحديثا ، لا يعود إلى الإخلاص والخصائص الملحمية فحسب ، بل إلى نسيجها المحكم الذي تمثّل في شبكة العلاقات الصوتية ، والصرفية ، واللغوية ، وستزيد الأقسام ، والفصول الآتية هذه الفكرة وضوحا .

2 — تكرار أصوات مجتمعة

أ — التجنيس(*)

توسع العرب كثيرا في دراسة الجناس ، وأولوه من العناية والاهتمام حتى صار " موضة " العصر عند بعض الشعراء . فابن المعتز ألّف كتابا سمّاه " البديع" أفرد فيه بابا كاملا للجناس خصّه بأمثلة كثيرة . غير أن هذا النوع من البلاغة شهد خلافات كثيرة دارت حول مصطلحه وحدّه وأنواعه التي يندرج في صلبها .

ونحن أمام هذه الخلافات لا يعنينا التبسط في مختلف أوجهها ، والبحث عن مواطن الوفاق والخلاف، وبالأخص في عمل تطبيقي كهذا ، لا يسمح بالتوسع وبسط الآراء ، لا يسعنا إلّا اختيار ما غلب من الآراء عند العرب فيه ، واطّرد في العمل به .

(*) انظر ابن المعتز ، البديع ، ص 25 — 35 . وقدامة ، نقد الشعر ، ص 163 وما بعدها . وأبا هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 353 . وابن رشيق ، العمدة ، من ص 321 . والسكاكي ، مفتاح العلوم ، من ص 202 .

لكننا — في هذا القسم — نحاول أن نربط بين مبادئ علم الأصوات الوظيفي[1]، وبالأخص نظرية الوحدة الصوتية[2]، وبين فن الجناس . فالمنطلق إذن وصف نظام الجناس في ضوء نظرية الوحدة الصوتية التي تنطلق من فرضيّة وهي " أنه يوجد في كل لغة من لغات العالم عدد محدود من الوحدات الصوتية الأساسية . . . التي تستخدمها تلك اللغة للتفرقة في المعنى بين الكلمات[3]" . وتهدف هذه النظرية إلى إبراز الوحدات الصوتية التي تستخدمها تلك اللغة للتفرقة بين المعاني، وذلك بمقارنة ثنائيات من الكلمات إذا استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى تغيّر معنى الكلمة[4] . وتعرف هذه الثنائيات بالأزواج الدنيا[5] . ومن أنواع الجناس التي يمكن أن يطبّق عليها مبدأ الثنائيات في العربية : المختلف أو الناقص، والمضارع، واللاحق ، والمصحف[6] . . . وغيرها على أن عملنا هذا يتنزّل في إطارين[7] :

---

(1) أعلن عن نشأة هذا العلم " بلا هاي " ، في ملتقى دولي ، عقد بها سنة 1923 . وهو فرع من فروع اللسانيات يهتم بوظائف الأصوات في اللغة . انظر: Inhonolgie) George mounin Dictionnaire redel linguistique والحاج صالح ، " مدخل إلى علم اللسان الحديث " ، مجلة اللسانيات ، المجلد الثاني (1) ص 54 — 55 .

(2) ما يقابل في الفرنسية " phonéme " . وهي الوحدة المميّزة في صلب الأزواج الدنيا . المرجع السابق (Phonéme) .

(3) د . فاطمة محجوب ، دراسات في علم اللغة ، ص 29 .

(4) المرجع نفسه ، ص 29 .

(5) ما يقابل في الفرنسية " paires minimales " .

(6) المرجع السابق ، ص 29 .

(7) صنّفنا أنواع الجناس في إطارين كبيرين : أفردنا الإطار الأول للجناس التام ، وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في الشروط الأربعة المذكورة أعلاه ، وأفردنا الإطار الثاني للجناس غير التام وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في شرط من الشروط الأربعة .

1 — تكرار أصول الدال وأصول المدلول :

نهتم — في هذا القسم — بالجناس التام منطلقين من تجانس أصول الدال ، وأصول المدلول في أمور أربعة : (الأصوات ، وشكلها ، وعددها ، وترتيبها) . وقد أستخدم هذا النوع استخداما هادئا راعي فيه صاحب البردة الانسام بينه وبين الدّلالة ، فجاءت المعاني — في الغالب — على سجيتها دون تكلف ومما دلّ عليه الجناس التام

الربط بين المحسوس وغير المحسوس :

— " فما لعينيك إن قلت اكففا همتا ∴ وما لقلبك إن قلت استفق يهم " . (233)

الكلمتان : " همتا ، ويهم " متفقتان في نوع الوحدات الصوتية ، وفي النطق والهجاء ، مختلفتان في المعنى ، لأن الأولى دالة على السيلان — وهو مظهر حسّي — والثانية دالة على التحير ، وهو للمعنويات .

الربط بين المحسوسات :

— " سريت من حرم ليلا إلى حرم ∴ كما سرى البدر في داج من الظلم " . (245)

اتفاق الوحدات الصوتية المكوّنة لأصول الدال ، وأصول المدلول أحدثت اختلافا دلاليا متميّزا ، لأن كلمة " حرم " الأولى دالة على حرم مكّة وهو المسجد الحرام ، والكلمة الثانية دالّة على حرم بيت المقدس وهو المسجد الأقصى .

الربط بين العام والخاص :

— " تمضي الليالي ولا يدرون عدّتها ∴ ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم " . (246)

الكلمتان : " الليالي ، وليالي " متّفقتان في أنواع الوحدات الصوتية مختلفتان في المعنى ، لأن الأولى دالّة على الليالي والأيّام . وخصّ الناظم الليل بالذكر ، لأن مقاساة الهموم فيه أشد . والثانية دالّة على ليالي الأشهر الحرم : وهي أربعة : " رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم " .

وقد يرد التجنيس تكراراً لمجرد جمال الصوت :

ـ " شاكي السلاح لهم سيمى تميّزهم ∴ والورد يمتاز بالسيمى عن السلم "(247)

فالكلمتان : " سيمى ، وسيمى " متفقتان في الوحدات الصوتية من حيث النطقُ والعددُ والترتيبُ وفي الدّلالة . وبناء على هذا يكون هذا النوع إلى التكرار أقرب منه إلى التجنيس .

ومما دلّ عليه الجناس التام المستوفي(*)

المبالغة :

ـ " كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه وكم خصم البرهان من خصم "(247)

الكلمتان : " جدّلت وجدل " متفقتان في نوع الوحدات الصوتية ، مختلفتان في المعنى ؛ لأن الأولى دالة على الغلبة والقطع ، والثانية دالة على الجدال .

التكرار لمجرد جمال الصوت :

ـ " لو كنت أعلم أنّي ما أوقّره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم "(239)

ـ " ومن تكن برسول الله نصرته ∴ إن تلقه الأسد في آجامها تجم "(247)

ـ " وراعها وهي في الأعمال سائمة ∴ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم "(240)

ـ " يوم تفرس فيه الفرس أنهم ∴ قد أنذروا بحلول البؤس والنقم "(242)

ـ " ظلمت ستّة من أحيا الظلام إلى ∴ أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم "(240)

ـ " ما حوربت قط إلا عاد من حرب ∴ أعدى الأعادي إليها ملقي السلم "(244)

ـ " قرّت بها عين قاريها فقلت له ∴ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم "(245)

ـ " خدمته بمديح استقيل به ∴ ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم "(247)

(*) نعني بالتام المستوفي ما كان من نوعين مختلفين كفعل واسم ، أو اسم وحرف ، أو فعل وحرف . وقد التزمنا بهذا في النوعين : التام ، والمستوفي .

وعليه فالجناس اللاحق مولّد من مولّدات الطاقة الدّلالية الخلاقة ، وذلك بمقتضى تفاعل نظام وحداته الصوتية في نطاق نظام الأصوات التي خضعت له لغة البردة . والجدول الآتي يوضح هذا النظام الصوتي .

المتجانسان		و ، ص ، م (1)		نوع التباين في المخرج (2)		نوع التباين في الدّلالة	
صب	حب	ص	ح	أسناني	وسط حلقي	العاشق	صفاء الحال بين الحب والمحبوب
شب	حب	ش	ح	أدنى حنكي	وسط حلقي	كبر	الألفة
ورى	يرى	و	ر	بين الشفتين	أدنى حنكي	الخلق	يبصر
ترف	شرف	ت	ش	أسناني	أدنى حنكي	اللطافة والنعومة	الرفعة وعلو المنزلة
عموا	صموا	ع	ص	وسط حلقي	أسناني	ذهاب البصر	ذهاب السمع
أنت	كنت	أ	ك	أقصى حلقي	أقصى حنكي	للمخاطبة	الزّمن الماضي
جفل	ثقل	ج	غ	أدنى حنكي	لهوي	الفزع	الغفلة

ب — الاختلاف بين الوحدتين الصوتيتين في الوسط :

— "تهدي اليك رياح النصر نشرهم . فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي" (247)

---

(1) هذه الرموز اختصار لكلمات : " وحدة صوتية متميزة "

(2) اعتمدنا في تصنيف مخارج الوحدات الصوتية على : جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادي ، ص 30 وما بعدها .

نجد في الثنائية :" نصر ، ونشر " وجود الوحدتين الصوتيتين في الوسط .والوحدتان الصوتيتان :"الصاد ، والشين " بما امتازتا به من تباين في المخرج (لأن الصاد أسناني ، والشين أدنى حنكي) قد أدتا إلى تغيير دلالة المتجانسين : فكلمة النصر دالّة على التأييد وقهر الأعداء ، وكلمة النشر دالّة على الخبر السار .

ج ـ الاختلاف بين الوحدتين الصوتيتين في الآخر .

ـ" استغفر الله من قول بلا عمل ∴ لقد نسبت به نسلا لذي عقم" (240) .

ـ" ولا تزوّدت قبل الموت نافلة ∴ ولم أصل سوى فرض ولم أصم" (240) .

ـ" ومن يبيع آجلا منه بعاجله ∴ يبن له الغبن في بيع وفي سلم" (243) .

ـ" بعارض جاد أو خلت البطاح بها ∴ سيب من اليم أو سيل من العرم" (244) .

تنتشر في هذه الأبيات سلسلة من الثنائيات :" نسب ، نسل "، " أصل ، أصم " ، "يبع ، يبن " ، "سيب ، سيل " .

هذه الثنائيات بتنزّلها في هذا النظام الصوتيّ صارت ضربا من الأزواج الدنيا ، حيث تتباين في الوحدات الصوتية ، وفي الدّلالة ، فالباء واللام في " نسب ، نسل " مختلفان في المخرج بعدّ الباء من بين الشفتين ، واللام أدنى حنكي ، مؤديان إلى اختلاف في المعنى ، لأن الأولى دالّة على الإضافة ، والثانية دالّة على الولد . واللام والميم في " أصل ، أصم " مختلفان في المخرج مؤديان إلى اختلاف المعنى ؛ لأن الأولى دالّة على صلاة الفرض ، والثانية دالّة على صيام الفرض . والعين والنون في " يبع ، يبن " مختلفان في المخرج (بعدّ العين وسطا حلقيا ، والنون أسنانيا) . مؤديان إلى اختلاف في المعنى ؛ لأن الأولى دالّة على الطعام ، والثانية دالّة على الظهور . والباء والميم في " سيب ، سيل " مختلفان في المخرج (بعدّ الباء من بين الشفتين ، واللام أدنى حنكي) ، مؤديان إلى اختلاف في المعنى ، لأن الأولى دالّة على العطاء ، والثانية دالّة على الجري .

الوحدات الصوتية في نظام الأزواج الدنيا متنوّعة ، فهي مختلفة في المخارج والدّلالة وقد تكون متفقة أو متقاربة في المخرج ، ومختلفة في الدّلالة .

2 ـ الجناس المضارع(*)

يقوم هذا النوع على ثنائيات من الكلمات ، لا تختلف إلا في وحدة صوتية واحدة هي التي تغيّر المعنى . غير أن الوحدة الصوتية في الجناس المضارع تشهد قيودا صوتية ـ عكس ما هو الحال عليه في الجناس اللاّحق ـ إذ يشترط أن تكون متّحدة في المخرج أو متقاربة .

ومن صوره لدوان :

أ ـ التقابل بين الوحدات الصوتية في الأوّل :

ـ " كالزهر في ترف والبدر في شرف .·. والبحر في كرم والدّهر في همم " .(242)

ـ " ومن يبع أجلا منه بعاجله .·. يبن له الغبن في بيع وفي سلم " .(243)

ـ " ردّت بلاغتها دعوى معارضها .·. ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم " .(244)

في هذه الأبيات ثنائيات من الكلمات : " زهر ، دهر " ، " آجل ، عاجل " ، " رد ، يد " فالوحدتان الصوتيتان : " الزاي ، والدال " متقاربتان في المخرج ، إذ كل منهما أسناني ، مؤديتان إلى تغيير المعنى ، لأن الأولى دالّة على نور الشجر ، والثانية دالّة على الزمان .

أما الثنائية الثانية : " آجل ، عاجل " فالوحدتان الصوتيتان فيهما متقاربتان في المخرج ، إذ الهمزة أقصى حلقي ، والعين وسط حلقي ، مؤديتان إلى تغيير في المعنى ؛ لأن الأولى دالّة على ثواب الآخرة ، والثانية دالّة ثواب الدنيا .

وأما الثنائية الثالثة : " رد ، يد " فالوحدتان الصوتيتان فيهما متقاربتان في المخرج إذ كل منهما أدنى حنكي ، مؤديتان إلى تغيير المعنى ؛ لأن الأولى دالّة على الصرف والبطلان ، والثانية دالّة على يد الجاني .

ب ـ التقابل بين الوحدات الصوتية في الوسط :

ـ " محكمات فما تبقين من شبه .·. لذي شقاق وما تبغين من حكم " .(244)

(*) هو ما اتحدت أو تقاربت فيه الوحدات الصوتية في المخرج ، واختلف أزواجها الدنيا في الدلالة .

نجد في هذا البيت الوحدتين الصوتيتين : " القاف ، والغين " في وسط الكلمتين " تبقين ، تبغين " . وهما متحدتان في المخرج ، إذ كل منهما لهوي ، مؤديتان إلى تغيير في المعنى ؛ لأن الأولى دالّة على الترك ، والثانية دالّة على الطلب .

الوحدات الصوتية في هذه الأمثلة — وفيما سبق — تشكّلت من الصوامت . غير أنّنا وجدنا في البردة نوعا آخر ، وحداته الصوتية صوائت .

3 — الجناس المحرّف(*)

إن حالات هذا النوع التي استخدمت في البردة قد تفرّعت وشكّلت صورا اعتمدنا في توزيعها على فكرة الفواصل(1) بين ركني الجناس . وهذا تصنيفها بحسب البسيط فالمركب .

أ — ما كان الفاصل بين ركنيه حرفا :

— " فاصرف هواها وحاذر أن توليه ∴ إن الهوى ما تولّى يصم أو يصم " (239)

— " فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق ∴ ولم يدانوه في علم ولا كرم " (241)

— " طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا ∴ فما تفرق بين البَهْم والبُهْم " (247)

نجد في هذه الأبيات ثنائيات من الكلمات : " يصم ، يصم " ، " خلق ، خلق " ، " بهم ، بهم " . ففي الثنائية الأولى المتجانسان متساويان في عدد الأصوات ، متفقان في أنواعها وترتيبها . لكنهما مختلفان في نوع الصوائت ، حيث الضمة على مقطع الكلمة الأولى ، والفتحة على مقطع الكلمة الثانية . والضمة والفتحة وحدتان صوتيتان قد غيّرتا المعنى على عدّ كلمة يصم دالّة على القتل ، وكلمة يصم دالّة على العيب .

وفي الثنائيات الأخرى : " خلق ، خلق " ، و" بهم ، بهم " الدّلالة متغيرة بالصوائت التي هي وحدات صوتية .

(*) هو ما اتفقت كلماته في نوع الأصوات وترتيبها ، وعددها ، واختلفت في نوع الصوائت والدّلالة .

(1) نعني بها الحروف ، والأسماء ، والجمل التي فصلت بين ركني المتجانسين ، والغرض لتوزيع المادة والتحكم فيها لا غير .

ب — ما كان الفاصل بين ركنيه لفظتين أو أكثر:

— "كأنهم في ظهور الخيل سبت ربا ∴ من شدّة الحزم لا من شدة الحزم".(247)

— "كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه ركم خصم البرهان من خصم".(247)

شكّلت الثنائيات: "حزم، حزم"، "خصم، خصم" — في هذه الأمثلة — إيقاعا متميّزا، وولّدت طاقات دلالية خلاّقة. وهذا بتنوّع الوحدات الصوتية وما نجم عنها من تغيير في الدلالة.

ج — ما كان الفاصل بين ركنيه جملة:

— "أكرم نجلة نبيّ زانه خلق ∴ بالحسن مشتمل بالبشر متّسم".(240)

— "وراودته الجبال الشم من ذهب ∴ عن نفسه فأراها أيّما شمم".(240)

الثنائية في البيت الأول: "خلق، خلق" ركناها متفقان في الصوامت والترتيب، والعدد، مختلفان في الصوائت. فالفتحة القصيرة في الكلمة الأولى تقابل الضمة القصيرة في الكلمة الثانية. والفتحة والضمة وحدتان صوتيتان مؤديتان إلى تغيير الدّلالة. وشبيه بهذا ثنائية البيت الثاني "شم، شمم".

4 — الجناس المصحف(*)

هذا النوع تناولته اللسانيات في معالجتها للنظم الخطّية للغات، حيث تجعل للخط وحدة أساسية، تقابل الوحدة الصوتية في علم الأصوات(1). وقد اصطلح اللسانيون على تسميتها بـ" graphème"، وهي الوحدة الخطية الدنيا التي تدخل في تكوين نظام الكتابة(2)". غير أن هذه الوحدة لها ارتباط وثيق بالوحدة الصوتية، إذ هي التعبير الرمزي لها. كما أن للوحدة الخطية من الدّلالة ما للوحدة الصوتية حيث عند استبدال الوحدات يحدث تغيير في المعنى(3).

(*) هو ما اتفقت كلماته في شكل الحروف، واختلفت في النقط والدّلالة.

(1) د. فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، ص 32.

(2) mounin, Dictionnaire de la linguistique (Graphème)

(3) المرجع السابق، ص 106.

ومن أمثلته :

— " فهو الذي تم معناه وصورته ∴ ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم " (241)

— " فحزت كل فخار غير مشترك ∴ وجزت كل مقام غير مزدحم " (246)

الوحدتان الخطيتان في الثانية (ثم ، تم) الثاء ، والتاء ، فالأولى فوقها ثلاث نقاط، والثانية فوقها نقطتان . وقد ترتب عن هذه السمات تغيير في المعنى ، لأن الأولى دالة على الكمال ، والثانية دالة على الترتيب . وفي هذا المثل تداخل بين الوحدات الخطية والوحدات الصوتية ، لأن الفتحة والضمة وحدتان صوتيتان . وشبيه بهذا ما جاء في الثنائية "حزت ، جزت " حيث الحاء والجيم وحدتان خطيتان .

وتغيير الدّلالة لا يتوقف على استبدال الوحدات الصوتية أو الخطية فحسب بل للترتيب أيضا دور في تغيير المعنى ، فإن اختلف ترتيب الوحدات في الثنائيات نجم عنه اختلاف في المعنى .

5 — الجناس المقلوب

تهتم نظرية الوحدة الصوتية بقضية الترتيب في المتجانسات ، لأنه — غالبا — ما يفضي إلى تغيير في الدّلالة . ومن أمثلته نوعان :

أ — جناس قلب الكل (*)

— " ولا التمست غنى الدارين من يده ∴ إلا استلمت الندى من خير مستلم " (243)

في الثنائية (التمست ، استلمت) وجود الوحدات الصوتية نفسها في الكلمتين . لكن ثمة اختلاف في الترتيب . وهو الذي أدّى إلى تغيير المعنى بين الكلمتين على عدّ كلمة التمست دالة على الطلب ، وكلمة استلمت دالة على الأخذ .

ب — جناس قلب البعض (**)

— " ماسامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا ونلت جوارا منه لم يضم " (243)

(*) تكون فيه جميع الوحدات الصوتية متخالفة في الترتيب . ويعتمد الجذر .

(**) تكون فيه بعض الوحدات الصوتية متخالفة في الترتيب ، كأن يتقدم البعض منها أو يتأخر .

—" فيا خسارة نفس في تجارتها ∴ لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم(247)".

—" حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ∴ أو يرجع الجار منه غير محترم(248)".

في هذا السياق المشحون بالحسرة والندم استعمل الناظم ثنائيات ذات دوال ومدلولات : (ضيما ، يضم) ، (الدين ، الدنيا) ، (الراجي ، الجار) . والذي أدّى إلى تغيير الدّلالة في هذه السلسلة الصوتية اختلاف ترتيب الوحدات الصوتية من حيث التقديم والتأخير . فالزوج الأول دالّ على الظلم والاحتقار ، والزوج الثاني دالّ على العقيدة والأمور الخسيسة ، والأخير دالّ على الطمع والجوار .

وبنظرة مركزة إلى ما تمّ تقديمه يتسنى لنا استنتاج النظام الصوتي الدّلالي لظاهرة التجنيس في البردة كالآتي :

1 — الوحدات الصوتية

الوحدات الصوتية نوعان : صوامت وصوائت

— الصوامت

أ — من حيث الاتّفاق

اتّفاق الوحدات + اختلاف في المعنى ⟸ الجناس ← التام / المستوفي

اتّفاق الوحدات الصوتية في المخرج + اختلاف في المعنى ⟸ الجناس المضارع .

اتّفاق في الدوال + اتّفاق في المدلولات ⟸ تكرار

ب — من حيث الاختلاف .

اختلاف الوحدات الصوتية في المخرج + اختلاف في المعنى ⟸ الجناس اللاحق

اختلاف في ترتيب الوحدات + اختلاف في المعنى ⟸ الجناس ← قلب الكل / قلب البعض

اختلاف الدوال + اتفاق في المدلولات ⟸ ترادف

— الصوائت : الصوائت القصيرة (الفتحة ، والضمة ، والكسرة) .

اختلاف الوحدات الصوتية + اختلاف في المعنى ⟸ الجناس المحرّف

أبرز مظاهر نظام الثنائيات ظاهرة تكرار الأصوات مجتمعة مبنًى ومعنًى ، وهي الظاهرة التي " سمّاها القدماء التجنيس حيث يعاد اللفظ فيه مرة ثانية مع فارق مميز في الدّلالة ينبع من طبيعة السياق[1] " .

واللفظ المكرر — بوجه عام — مصدره الثوره وهدفه الإثارة حبا أو بغضا في أي غرض من أغراض الكلام[2] ، لأن المتكلم حينما يكرر شيئا إنما يريد تمييزه عن غيره . فصور الأشخاص التي تتكرر كثيرا على النظر تكون أكثر وضوحا في الإدراك وأشد التصاقا بالذهن . والدقات الكثيرة على المسمار الواحد تكون أكثر أثرا من الدّقة الواحدة ، والرشفات الكثيرة على القلب الصادي تكون أيضا أكثر أثرا من الرشفة الواحدة[3] .

التكرار الصوتي إذن أسلوب يصور الانفعالات النفسية ، ويسلط الأضواء عليها وذلك لارتباطه الوثيق بالوجدان ، لأن المتكلم لا يكرر الا ما يثير اهتمامه ، ولا يكرر الا ما يهدف نقله إلى نفوس مخاطبيه على القرب كانوا أم على البعد[4]

وعليه فالتكرار الصوتي الذي ولّده الجناس — في البردة — هو إحدى الفعّاليات المؤثرة في الأداء الشعري على المستوى الصوتي والدّلالي تكثيفا وتعميقا . وهو أحد مصادر الثورة والإثارة المتجلية في صراع الناظم النفسي الذي انفجر وفاض على السطح من خلال المدّ والجزر الناتجين عن عاملي الائتلاف والاختلاف في صلب بنية الثنائيات .

وهذا الصراع في الواقع ، صراع نابع من طبيعة الدوافع المتضاربة المتناقضة في نفسية صاحب البردة . فمنها المطالب بالحاجات المادية الزائلة ، ومنها المطالب بالغذاء الروحي . والشاعر أمام هذا المدّ والجزر يقوى أحيانا ، ويلين أخرى .

— " يارب واجعل رجائي غير منعكس ∴ لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين إن له ∴ صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم[243] " .

---

(1) محمد عبد المطلب ، التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ ، فصول مجلة النقد الأدبي ، ص 43 .

(2) د . عز الدين علي السيد ، التكرير بين المثير والتأثير ، ص 37 — 38 .

(3) المرجع نفسه ، ص 138 .

(4) المرجع نفسه ، ص 137 .

لذلك لا نعجب إن رأينا الناظم يوجه الرسالة مشحونة بمعاني السخط الشديد على النفس الأمّارة بالسوء إلى المتقبلين — وكل من تهمه الرسالة — مبرزا فضائل الرسول (ص) ، محذرا في الوقت نفسه من مكايد النفس و ما تحوكه للإنسان من دسائس قاتلة ، عبر قنوات توصيلية تمتاز بقوة التأثير وسرعة النفاذ إلى الأذن. والقنوات هذه هي في الواقع أنواع الجناس المختلفة التي تفنن فيها صاحب البردة تفنّن الصائغ الماهر والمهندس الخبير . فعلى هذا الضرب من الاستخدام كانت " شعرية" البردة مدينة له بقسط وافر .

ب — أصوات المقاطع والمطالع(*)

نعني بالمقطع العنصر المتخير لختام البيت الذي يضم كل عناصر القافية ، والمطلع العنصر المتخير لصدارة البيت . وكل من المقطع والمطلع وطيد الصلة بالموسيقى والمعنى

أ — أصوات المقاطع: التصدير(**)

التصدير جنس من الأجناس الصوتية الخاصة بالمقطع ، ويتمثل في رد أعجاز الكلام على صدوره ، وهو ترديد اللفظ من الألفاظ في البيت الشعري . وإذا كان اللفظ الثاني مضبوط المرتبة ، لأنه يقع في آخر البيت ويكون إطارا لقافيته ، فإن اللفظ الأوّل تختلف مرتبته وتتنوّع . ولذلك نعتمد في تصنيف أشكال التصدير في البردة على مرتبة اللفظ الأول .

— أشكال التصدير:

اللفظ الأول في أوّل الصدر

وشكله :

(——) ———————— ———————— (——)

ومن أمثلته الناقص . وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة :

(+) استفاد البحث في هذا القسم من جهود د . الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في "الشوقيات " ، ص 87 — 94 .

(**) انظر أبا هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 429 — 433 ، وابن رشيق العمدة ، ج 2/ 3 — 4

لذلك لا نعجب إن رأينا الناظم يوجه الرسالة مشحونة بمعاني السخط الشديد على النفس الأمّارة بالسوء إلى المتقبلين — وكل من تهمه الرسالة — مبرزا فضائل الرسول (ص) ، محذرا في الوقت نفسه من مكايد النفس و ما تحوكه للإنسان من دسائس قاتلة ، عبر قنوات توصيلية تمتاز بقوة التأثير وسرعة النفاذ إلى الأذن. والقنوات هذه هي في الواقع أنواع الجناس المختلفة التي تفنن فيها صاحب البردة تفنّن الصائغ الماهر والمهندس الخبير . فعلى هذا الضرب من الاستخدام كانت " شعرية" البردة مدينة له بقسط وافر .

ب — أصوات المقاطع والمطالع(*)

نعني بالمقطع العنصر المتخير لختام البيت الذي يضم كل عناصر القافية ، والمطلع العنصر المتخير لصدارة البيت . وكل من المقطع والمطلع وطيد الصلة بالموسيقى والمعنى

أ — أصوات المقاطع: التصدير(**)

التصدير جنس من الأجناس الصوتية الخاصة بالمقطع ، ويتمثل في رد أعجاز الكلام على صدوره ، وهو ترديد اللفظ من الألفاظ في البيت الشعري . وإذا كان اللفظ الثاني مضبوط المرتبة ، لأنه يقع في آخر البيت ويكون إطارا لقافيته ، فإن اللفظ الأوّل تختلف مرتبته وتتنوّع . ولذلك نعتمد في تصنيف أشكال التصدير في البردة على مرتبة اللفظ الأول .

— أشكال التصدير:

اللفظ الأول في أوّل الصدر

وشكله :

(——) ———————— ———————— (——)

ومن أمثلته الناقص . وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة :

(+) استفاد البحث في هذا القسم من جهود د . الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في "الشوقيات " ، ص 87 — 94 .

(**) انظر أبا هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 429 — 433 ، وابن رشيق العمدة ، ج 2/ 3 — 4

" أقسمت بالقمر المنشق إن لـه ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم "(243)

" دامت لدينا ففاتت كلّ معجزة ∴ من النبيين إذ جاءت ولم تدم "(244)

" محكّمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم "(244)

" خدمته بمديح استقيل به ∴ ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم "(247)

ويتطلع النظر عن بعض أدوات الصدارة .

" يالائمي في الهوى العذري معذرة ∴ منّي إليك ولو أنصفت لم تلم "(239)

" إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم "(239)

" ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه ∴ وجدته لخلاصي خير ملتزم "(248)

يمثّل البيت الشعري في هذه الأمثلة وحدة منغلقة ، نقطة النهاية فيه هي نقطة البداية . وهذا النوع أكثر شيوعا في البردة ، لأنه يجمع بين التصدير والتذييل[1] . ومن بعض دلالته التأكيد المرتبط بالقسم ، والمبالغة المرتبطة بالآيات القرآنية . وقد يرد المجرد الترديد الصوتي لضرورة اقتضاها النظم .

اللفظ الأوّل في آخر الصدر(*)

وشكله :

(ـــــ) ـــــــــــ (ـــــ) ـــــــــــ

يتنزل هذا الشكل في إطارين صوتيين متجانسين أو متقاربين ، يختم اللفظ الأوّل الصدر ، والثاني العجز ، فيولّدان إيقاعا متميزا .

ومنه التام ، وهو ما تردد فيه اللفظ نفسه .

" ولا تطلع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم "(240)

" حتى غدا عن طريق الوحي منهزم ∴ من الشياطين يقفوا اثر منهزم "(243)

" فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم "(244)

---

(1) انظر تعريفه ، ص 64 من هذا الفصل .

(*) إن تناسب عناصر قافية الصدر ، وعناصر قافية العجز كان البيت مصوعا .

"أقسمت بالقمر المنشق إن لـــه ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم"(243)

"دامت لدينا ففاتت كلّ معجزة ∴ من النبيين إذ جاءت ولم تدم"(244)

"محكّمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم"(244)

"خدمته بمديح استقيل به ∴ ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم"(247)

ويقطع النظر عن بعض أدوات الصدارة .

"يالائمي في الهوى العذري معذرة ∴ منّي إليك ولو أنصفت لم تلم"(239)

"إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم"(239)

"ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه ∴ وجدته لخلاصي خير ملتزم"(248)

يمثّل البيت الشعري في هذه الأمثلة وحدة منغلقة ، نقطة النهاية فيه هي نقطة البداية . وهذا النوع أكثر شيوعا في البردة ، لأنه يجمع بين التصدير والتذييل[1] . ومن بعض دلالته التأكيد المرتبط بالقسم ، والمبالغة المرتبطة بالآيات القرآنية . وقد يرد المجرد الترديد الصوتي لضرورة اقتضاها النظم .

اللفظ الأوّل في آخر الصدر(*)

وشكله :

(———) ——— (———) ———

يتنزل هذا الشكل في إطارين صوتيين متجانسين أو متقاربين ، يختم اللفظ الأوّل الصدر ، والثاني العجز ، فيولّدان إيقاعا متميزا .

ومنه التام ، وهو ما تردد فيه اللفظ نفسه .

"ولا تطلع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم"(240)

"حتى غاعن طريق الوحي منهزم ∴ من الشياطين يقفوا اثر منهزم"(243)

"فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم"(244)

---

(1) انظر تعريفه ، ص 64 من هذا الفصل .

(*) إن تناسب عناصر قافية الصدر ، وعناصر قافية العجز كان البيت مصوعا .

والناقص ، وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة .

ـ" وراعها وهي في الأعمال سائمة ∴ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم "(240).

ـ" فالصدق في الغار والصديق لم يرما ∴ وهم يقولون ما بالغار من أرم "(243).

ـ" لعلّ رحمة ربي حين يقسمها ∴ تأتي على حسب العصيان في القسم "(243).

في هذه الأمثلة يكوّن البيت الشعري وحدة شعرية منفتحة في بدايتها منغلقة في موطنين ، آخر الصدر نهايتها الأولى ، وآخر العجز نهايتها الثانية .

تكاد معاني التصدير في هذه الأبيات تدور حول النصيحة والترجي أو بعض الظواهر الأخرى كالتكرار الذي اقتضته الضرورة اللغوية .

اللفظ الأوّل في أوّل العجز .

وشكله

(ـــــ) ـــــــــــــــ (ـــــ) ـــــــــــــــ

ومنه التام ، وهو ما اتّفق فيه اللفظان في الصيغة . وبقطع النظر عن بعض أدوات الصدارة .

ـ" أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم "(240).

والناقص ، وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة .

ـ" لو كنت أعلم أني ما أوقره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم "(239).

ـ" دع ما ادعته النصارى في نبيهم ∴ واحكم بما شئت فيه مدحا واحتكم "(241).

ـ" آيات حق من الرحمن محدثة ∴ قديمة صفة الموصوف بالقدم "(244).

وبقطع النظر عن بعض . أدوات الصدارة .

ـ" كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه وكم خصم البرهان من خصم "(247).

ـ" ولا التمست غنى الدارين من يده ∴ الا استلمت الندى من خير مستلم "(243).

اختص التصدير في هذه الأمثلة بالعجز الذي مثّل وحدة شعرية منغلقة ، بدايتها أوّل العجز ، ونهايتها آخره . لكن التصدير في التام مصحوب بتذييل ، دالّ على الانكار المرتبط بالاستفهام ، وفي الناقص دالّ على الامتناع المرتبط بالشرط في البيت

الأوّل ، وعلى المبالغة والقصر في البيتين الآخرين . وما عدا ذلك فيبدو أن التصدير ورد لضرورة اقتضاها النظم .

بقية أنواع التصدير .

قد يرد التصدير غير خاضع لشكل معين .

— "ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا ونلت جوارا منه لم يضم" (243).

— "لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم" (243).

لئن اختلفت مرتبة اللفظ الأوّل في هذه الأمثلة وتنوّعت دون التقيد بشكل معين من الأشكال التي رتّبنا ، فإن شيوعه في البردة يكاد يكون له ما للأنواع الأخرى من فضل في تعزيز موسيقى البيت .

ويتضح مما تقدم أن التصدير وسيلة أسلوبية تساهم في تركيز الاهتمام في البيت ، فيدل بعضه على بعض ويسهّل استخراج قوافي الشعر . وهو يكسب البيت أبهة ويكسوه رونقا ورياجة . فاللفظ المعتمد فيه هو بمثابة اللفظ الجامع للمعنى ، إذ فيه تتولد الدّلالة وفيه تتبلور إذا كان اللفظ يحتل صدارة البيت أو صدارة العجز . وتنتهي إليه مجمل الدّلالة إذا كان اللفظ الأوّل منه في آخر الصدر أو في منزلة معينة .

فالتصدير إذن عملية رصد ينطلق فيها الناظم من المقطع لتحقيق غرضه والتأثير على المتلقي .

2 — **أصوات المطالع: التذييل** (*)

نعني بالتذييل ضربا من الترديد الصوتي يتمثل في استعمال اللفظ الأوّل في صدر البيت وتكراره في أي موضع من البيت الشعري ما عدا المقطع . وإذا كان اللفظ الثاني مضبوط المرتبة في التصدير ، فإن اللفظ الأوّل في التذييل هو الذي لا تتغير مرتبته وله الصدارة دائما .

(*) انظر أبا هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 413 — 415 .

والتذييل يلفت الانتباه من عدة نواح ، إذ غالبا ما يؤدي دورا دلاليا متميزا .

ـ المبالغة :

ـ " كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ وكم خصم البرهان من خصم " (247).

يصوّر التكرار الصوتي عدد المرّات التي كانت فيها الغلبة مع شد القطع للقرآن .

ـ التقابل والتقارب :

ـ " كأن بالنار ما بالماء من بلل ∴ حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم " (242)

ولّد ترديد كلمتي : " النار والماء " في صدر البيت وفي عجزه ضربا من التقابل والتقارب . أما التقابل فناتج عن حرارة النار وبرودة الماء . وأما التقارب فحاصل في سلب كل منهما خصائصه الطبيعية ، وانتقالها من عنصر إلى آخر . فطبع الماء استحال إلى النار ، وطبع النار استحال إلى الماء ، فصارت النار باردة ، وصار الماء حارّا .

ـ التأكيد :

ـ " وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ∴ وانسب إلى قدره ما شئت من عظم " (241).

ـ " وقد متك جميع الأنبياء بها ∴ والرّسل تقديم مخدوم على خدم " (245).

ـ " أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم " (240).

ارتبط الترديد الصوتي في هذه الأمثلة بالتأكيد . غير أن معنى الأمر بالخير وعدم الائتمار به في الوقت نفسه ، في البيت الأخير قد تبلور تدريجيا مع التصدير حتى انتهى إلى الانكار المستفاد من الاستفهام .

وقد يرتبط التذييل باحدى ضروب الحكمة :

ـ " ومن يبع آجلا منه بعاجله ∴ يبن له الغبن في بيع وفي سلم " (243).

التذييل أسلوب استخدمه البوصيري ليعزز موسيقى البيت ، وليوازي بين الدّلالات ويحدث أثرا موسيقيا متميّزا .

الخاتمة

أولا — موسيقى الأصوات

1 — البسيط من البحور الكثير المقاطع والرواج عند الشعراء قديما وحديثا ، وهو متميز بجزالته وطلاوته .

2 — سلامة المقياس (مستفعلن) الواقع في حشو البيت من الزحاف أنزل صاحب البردة منزلة الفحول ، إذ " لا يستحطها المطبعون إلا كذلك "[1]

3 — بعدُ الوزن العروضي عن الواقع الصوتيّ ، قد يكون حافزا لتعان علم العروض ، وعلم الأصوات للتغلب على ذلك .

4 — التقابل بين المقاطع الصوتية قبل الرّوي ظاهرة مولّدة القيمة الخلافية التي تقابل ظاهرة الانسجام في الحشو .

5 — التقابل والتناوب بين الصوائت القصيرة قبل الروي يؤكدان عدم عناية الشاعر بالتزام الصائت القصير قبل الرّوي .

6 — القافية من حيث مكوناتها ، صوتية وأحيانا صرفية .

7 — اختيار الرّوي المكسور وهو الميم أضفى على البردة طابع القدم والأصالة ، لأنه إذا علمنا أن الميم يقرب من الشفتين قلنا : " إن الصوت بقدر ما يكون مخرجه أقرب إلى الشفتين يكبر حظه من الاستعمال رويّا[2] . فقافية البردة عموما " عذبه الحرف سلسة المخرج[3] ، خالية من العيوب متماشيّة مع سنن العرب وذوقهم .

8 — المقطع الصوتي — في البردة — عملية حركية نفسية ، ينبع من الوجدان ، ويضفي على المتلقي نشاطا نفسيا . وهو — في الغالب — مرتبط بدلالات حسّية هادفة الى اثارة العواطف والأحاسيس .

---

(1) الأحمدي نويوات ، المتوسط الكافي ، ص 96 .

(2) د . الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في " الشوقيات " ، ص 45 .

(3) قدامة ، نقد الشعر ، ص 36 .

10 — الترصيع بأقسامه الثلاثة أسلوب أخّاذ أثرى التعبير بنغمات موسيقية عذبة ، وإيقاع يعطي النفس متعة فنية مؤثرة تبعث في الفؤاد السكينة والطمأنينة . وهو — إلى جانب كل هذا — وسيلة من الوسائل المنشّطة والمخففة من سأم الطول . وقد كان له دور بارز في شدّ المتلقي ، وجعله أكثر التصاقا بأهداف الرسالة .

ثانيا — الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى .

1 — ولّد التكرار الصوتي — في البردة — طاقة دلالية خلّاقة ، وإيقاعا متميزا .

2 — ارتباط الصوت بالمعنى في البردة أفضى إلى طرح قضية العلاقة المبررة[1] بين الدوال والمدلولات أي بين الأصوات أثناء تركيبها والمعاني .

ونحن إذ ننشّر بوجود هذه الظاهرة اللغوية في البردة لا يعني أننا ننفي قضية العلاقة غير المبررة بين الدوال والمدلولات في اللغة . بل على قدر إيماننا بفكرة الاعتباط ، بقدر ايماننا بقضية التبرير في اللغة ، وبالأخص في الأعمال الأدبية[2] والأسماء الطبيعية (onomatopées) .

3 — التجنيس نظام صوتيّ دلالي ، ووسيلة من وسائل التوصيل المتميزة بقوة التأثير والإيحاء ، وسرعة النفاذ إلى الأذن — وهو — أيضا احدى صور "شعرية" البردة .

4 — التصدير أسلوب ساهم في تركيز الاهتمام في البيت الشعري ، وسهّل استراج قوافي الشعر .

5 — التذييل أسلوب من الأساليب البلاغية المعزّزة لموسيقى البيت الشعري ، والمؤدية إلى تفجير دلالات عميقة .

البناء الصوتي في البردة عموما ليس عنصرا مباشرا ، ولا هيكلا ثابتا . فهو خط حركيّ يحمل أعباء المعنى الايقاع ، وينفذ إلى ما وراء الخصائص الواعية للتفكير والشعور ، ويعبر من خلال تنوّعه عن أهداف ومعان ، تساعده في تجسيدها عناصر صرفية ونحوية نشرع في تفصيل القول فيها في الفصول الآتية :

---

(1) يقابل في الفرنسية (motivé) انظر معناه : Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique (motivé)

(2) إلى النتيجة نفسها انتهى الدكتور الهادي الطرابلسي ، وجان كوهين ، انظر خصائص الأسلوب في " الشوقيات " ، ص 59 . ودعا إلى هذه القضية "بنفنست" انظر : Dubois et autres Dictionnaire de linguistique (motivation)

الفصل الثاني

البنية الصرفية

1 - بنية الأفعال

2 - بنية الأسماء

وعلّم آدم الأسماء كلّها، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

سورة البقرة الآية 31 و 32

نهتم في هذا الفصل بالظواهر الصرفية التي شكّلت ظاهرة ذات بال في البردة .

وقد انطلق البحث من علم اللغة العربية القديم في ضوء المورفولوجيا [1] . ولعلّ من المفيد في هذا المقام أن يشير الى أن المعاجم اللسانية في تعريف الصرف (مورفولوجيا) تميز بين المفهوم " التقليدي " والمفهوم " الحديث " ويقصد بالمفهوم التقليدي ما يرجع إلى التقاليد النحوية اليونانية . ففي هذا الاتجاه يطلق علم الصرف (مورفولوجيا) على دراسة أبنية الكلمات انطلاقا مما يطرأ على أشكالها من تغيير يرجع إلى الإعراب من جهة ، أو ما يدخل عليها من زوائد ترجع إلى الإشتقاق من جهة أخرى . فالمورفولوجيا من هذه الناحية اذن تجمع بين الدراسة الوظيفية وعلم التركيب (s ntaxe) . أما في اللسانيات العصرية فإن للفظ معنيين أساسيين : الأوّل وصف القواعد التي تحدد البنية الداخلية للكلمات أي قواعد ترتيب

---

(1) (mormholog e) ، ترجمت بعلم الصيغ ، وعلم الصرف ، وتركت على أعجميتها .

الوحدات الصرفية التي تكوّن الكلمات . وكذلك وصف مختلف أشكال هذه الكلمات حسب العدد (الإفراد ، والتثنية ، والجمع)، والجنس (التذكير والتأنيث) ، والزمن (الماضي ، والحاضر والمستقبل)، والأشخاص (متكلم ، مخاطب ، غائب) ، والإعراب (نصب ، رفع ، جر ، جزم) . والثاني هو في الوقت نفسه وصف قواعد البنية الداخلية للكلمات ، وقواعد الترتيب التركيبي للجمل[1] ، وهي في نظر تدروف (Todorov) وديكرو (Ducrot) علم يبحث في كيفية حدوث الوحدات الدلالية (monémes) فونولوجيا حسب السياق الذي تظهر فيه[2] . ويقابل هذه التحديدات مفهوم أوسع يجمع الفنين في باب واحد وهو المورفولوجيا والتركيب[3] (morpho - syntaxe) ، لأنهما يؤديان الخدمات نفسها[4]

أما علم الصرف عند اللسانيين العرب فهو علم يدرس الكلمات وأشكالها لا لذاتها وإنما لغرض دلالي أو لغرض صوفي يفيد خدمة الجمل والعبارات . ومن أهمّ قضاياه : المشتقات وأزمنة الأفعال ، والتصريف والتذكير ، والتعدّي واللزوم ، والمغايرة في الصيغ[5] . يضاف إلى هذا كلّه الأوزان ودلالاتها والجموع بأنواعها[6](*)

---

(1) أخذنا هذا التعريف — بتصرف — من Dubois et autres; Dictionnaire de linguistique (morphologie)

(2) انظر :

(3) " : Oswald et Tzvetan Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, p. 74 (morphologie)

(4) انظر لانسون ومايسيه ، منهج البحث في اللغة والأدب ، ترجمة محمد مندور، ص 75

(5) د . كمال بشر ، مفهوم علم الصرف ، عن محمود أحمد نحلة ،لغة القرآن ، ص 383 .

(6) د . عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص 147 .

(*) نشير إلى أنه لا يعنينا مواطن الوفاق والخلاف في هذه التعريفات القديمة والحديثة ، لأن البحث تطبيقي ولا يتسع لمثل هذه القضايا .

وأما أسس دراستنا هذه فتنطلق من التراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات[1] . ذلك أن الوصف يقوم على رؤيتين : أولاهما : تقسيم البنية الصرفية إلى قسمين أساسيين : بنية الأفعال وفيها ركّزنا على الصيغ التي ولّد استخدامها دلالات متميزة ، وبنية الأسماء وفيها ركّزنا على المصادر والمشتقات وأنواع الجموع ، والأسماء بصفة عامة . وثانيتها : الاستفادة من علم الأصوات والبحوث التطبيقية الجادة التي أحسنت استغلال هذا العلم .

وأملنا من هذا كلّه وصف النظام الصرفيّ في البردة لكشف أسرار اللغة وتحديد نظامها المتين في فترة من فتراتها التاريخية بالاعتماد على نص حيّ يعدّ من روائع الأدب العربي .

---

(1) من البحوث التي استفاد منها بحثنا — بحق — إبراهيم مصطفى ، " البنية اللغوية لشعر عروة بن الورد " (رسالة ماجستير غير منشورة) ، قسم الدراسة الصرفية . والطيب البكوش " علم الصرف بين النظريات العربية والألسنية الحديثة " المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، العدد 66 ، ص 7 وما بعدها . و " محاولة تطبيق منهجية الوصف الهيكلي الآني على نماذج من الأبنية الصرفية العربية " ، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، العدد 67 ، ص 133 وما بعدها .

أولا — بنية الأفعال

نهتم في هذا القسم بالتركيب الإفرادي ودلالاته في البردة . وقد حدّدناه في بناءين : البناء الأوّل ويشمل الصيغ الصرفية كفعِل ، وفعّل وفاعل . . . وغيرها . وقد أطلقنا عليه اسم الصيغ البسيطة ، وسمّينا البناء الثاني الصيغ المركبة .

أ — الصيغ البسيطة

توزّع هذا البناء على النحو التالي :

1 — فعِل (*)

ورد بناء فعِل في البردة ست مرات دلّ فيها على الأعراض من العلل وغيرها ، وذلك في ستة أفعال : أرقت ، ترتب ، ظمِئ حمي ، عمي ، ظفر ، فالأرق ، والترب ، والظمأ ، والحمي ، والعمى ، والظفر أعراض وأدواء ، فكما أن العمى داء فإن الظفر وهو الفوز من باب فرح الذي يضاد الأحزان وهي أدواء في القلب[1] . وقد جاءت هذه الأفعال في قوله :

— " لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ∴ ولا أرقت لذكر البان والعلم[239] " .

— " ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم[248] " .

(*) انظر معاني فعِل سيبويه ، الكتاب ، ج 4 / 17 — 21 ، وابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 7 / 157 . وابن مالك ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 196 . والشيخ رضي الدين ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج 1 / 72 — 73 (نشير له بشرح الشافية) . والطيب البكوش ، التصريف العربي ، ص 85 . ومما يلاحظ في هذا الكتاب أن المؤلف قد أسند الصيغ اللازمة إلى الصفات ، وأسند الصيغ المتعدية إلى الأفعال ، لأنها متضمنة معنى الحركة والمجهود الجسمي والعقلي . وقد عثرنا على صيغتين في البردة من هذا النوع : " ظفر ، وعمي " .

(1) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 7 / 157 .

ـ" وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ∴ ورد واردها بالغيظ حين ظمي "(242)(*)

ـ" مثل الغمامة أنّى سار سائرة ∴ تتقيه حر وطيس للهجير حمي "(243)

ـ" وما حوى الغار من خير ومن كرم ∴ وكلّ طرف من الكفّار عنه عمي "(243)

ـ" قرّت بها عين قاريها فقلت له ∴ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم "(245)

كل الصيغ المذكورة في هذه الأمثلة أفعال لازمة ما عدا صيغتي : " ظفر ، وعمي " فهما متعديان بحرف (ظفر به ، وعمي عنه) .

2 ـ فعّل (**)

ورد بناء فعّل بتضعيف العين عشر مرات توزّع حسب المعاني التالية :

أ ـ التعدية

والتعدية تعني أن الفعل إن كان لازما صار متعديا إلى مفعول ، وإن كان متعديا إلى مفعول صار متعديا إلى مفعولين ، وإن كان متعديا إلى مفعولين صار متعديا إلى ثلاثة .

جاء لهذا المعنى أرّقني ، يقوّي في قوله :

ـ" نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني ∴ والحب يعترض اللذات بالألم "(239)

ـ" فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة النّهم "(239)

الفعلان : أرّق ، ويقوّي لازمان في صيغة الثلاثي ، وقد تعديا إلى مفعول .

ب ـ المبالغة (***)

من الأفعال التي دلّت على هذا المعنى جدّلت ، قدّمتك تفرّق ، ولّيت .

في قوله :

(*) حذف الناظم همزة " ظمي " اضطرارا . وهذا جائز في الشعر . انظر عبد الله محمد . ابن جعفر القيرواني ، ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ص 95 ـ 96 .

(**) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 354 . ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 7/ 159 وابن عصفور ، الممتع في التصريف ، ج 1/ 189 .

(***) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 354 . وابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص 222 (نشير له بالصاحبي) . وأحمد بن محمد الميداني ، نزهة الطرف في علم الصرف ، ص 146 (نشير له بنزهة الطرف) .

ـ " كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه وكم خصم البرهان من خصم " (247)

ـ " وقدّمتك جميع الأنبياء بها ∴ والرسل تقديم مخدوم على خدم " (245)

ـ " طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا ∴ فما تفرّق بين البهم والبهم " (247)

ـ " وجلّ مقدار مولّيت من رتب ∴ وعزّ إدراك ما أوليت من نعم " (246)

الفعل " جدّلت " يدل على عدد المرات التي كانت فيها الغلبة مع شدة القطع للقرآن الكريم . والفعل " قدّمتك " يدل على المبالغة والتعظيم ، غير أن الناظم في البيت قد جانب الوصف والكياسة ، لأن صورة تقديم الرسل والأنبياء للرسول (ص) على أنفسهم تقديم الخدم لسيدهم وهذا تشبيه غير لائق ، لأن في الأنبياء جديين عظيمين للرسول (ص) هما : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[1] . والفعل "تفرّق" يدل على المبالغة في وصف قوة أبطال المسلمين وشدتهم والفعل وليت يدل على الكثرة والمبالغة في وصف الرتب والأماكن المرموقة التي تولاّها الرسول (ص)

جـ ـ جاء فعّل " بمعنى جعلته كذا (*) "

ورد لهذه الدّلالة الفعل حسّنت في قوله :

كم حسّنت لذة للمرء قاتله ∴ من حيث لم يدر أن السم في الدّسم " (240)

الفعل " حسّنت " بتضعيف العين يدل على التجميل . فحسّنت لذة للمرء أي جعلتها جميلة أو جمّلتها . وهذه صفة من صفات النفس الأمّارة بالسّوء .

د ـ فعّل بمعنى فعل (**)

ورد لهذا المعنى محّضتني ، ومحّضاك في قوله :

ـ " محّضتني النصح لكن لست أسمعه ∴ إن المحب عن العذال في صمم " (239)

ـ " وخالف النفس والشيطان واعصهما ∴ وإن هما محّضاك النصح فاتهم " (240)

---

(1) د . أحمد الحوفي ، " حول البوصيري " ، مجلة الثقافة ، العدد 49 ، ص 44 .

(*) انظر الميداني ، نزهة الطرف ، ص 146 .

(**) انظر الميداني ، نزهة الطرف ، ص 143 .

الفعلان : محّضتني ، ومحّضاك آستخدما بمعنى فعل ، فتقول محّضتني النصح ، ومحّضتني النصح . لكن الزيادة المتمثلة في تضعيف العين تفيد التأكيد ، لأن الزيادة بلا غرض لفظي أو معنوي عبث[1] .

هـ ـ فعّل بنية لا يراد بها زيادة معنى في الأفعال(*)

ورد لهذا المعنى " أكّدت " ، "أكّدت " ، " أوقّره " ، " تميّزهم " ، " رنّحت " ، في قوله :

ـ " وأكّدت زهده فيها ضرورته ∴ إن الضرورة لا تعدو على العصم "(240)

ـ " لو كنت أعلم أني ما أوقّره ∴ كتمت سرا بدا لي منه بالكتم "(239)

ـ " شاكي السلاح لهم سيمى تميزهم ∴ والورد يمتاز بالسيمي عن السلم "(247)

ـ " ما رنّحت عذبات البان ريح صبا ∴ وأطرب العيس حادي العيس بالنغم "(249)

الواضح أن الصيغ : " أكّدت " ، "أوقّره " ، " تميزهم " ، " رنّحت " ليست لها دلالات مباشرة أي محدّدة كما هو الشأن في الصيغ السابقة . لكن إذا عمّقنا النظر في استخدام هذه الأفعال نستنتج أن لها دلالات غير مباشرة ، حيث نستمد من الفعل " أكّدت " قوة عقيدة الرسول (ص) ، ومن الفعل " تميزهم " الخصوصية التي تفرق بين المسلمين والمشركين ، ومن الفعل " رنّحت " نشوة الإحساس بالجمال والفن والطرب . فالقول إذن بأنها بنيات لا يراد بها زيادة معنى . هذا من حيث الدّلالة المباشرة ، أما من حيث الاستعمال فإننا نؤمن بأن البناء الصرفي ليس صيغا متميّزة أو مستقلة مضموما بعضها إلى بعض دون تفاعل أو تداخل ، بل هي عناصر حيّة تستمد من السياق نشاطها وحيويتها ، فتؤثر فيها ، يخلقها وتخلقه ، لأن الصيغ مثلها مثل الكائن الحي يكتسب حياته بالتفاعل مع أبناء جنسه من حيث التأثر بهم والتأثير فيهم .

---

(1) الرضي ، شرح الشافية ، ج 1/ 83 و 91 .

(*) انظر الميداني ، نزهة الطرف ، ص 143 .

ـ" وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى ∴ مثل البهار على خديك والعنم" (239)

ـ" كم أبرأت وصبا باللمس راحته ∴ وأطلقت أربا من ربقة اللمم" (244)

ـ" أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ∴ في القرب والبعد فيه غير منفحم" (241)

ـ" وقاية الله أغنت عن مضاعفة ∴ من الدروع وعن عال من الأطم" (243)

ـ" راعت قلوب العدا أنباء بعثته ∴ كنبأة أجفلت قطا من الغنم" (246)

ـ" وأحيت السنة الشهباء دعوته ∴ حتى حكت غرة في الأعصر الدهم" (244)

ـ" ظلمت سنة من أحيا الظلم إلى ∴ أن اشتكت قدماه الضرب من ورم" (240)

ـ" ما رنّحت عذبات البان ريح صبا ∴ وأطرب العيس حادي العيس بالنغم" (249)

ـ" ان تتلها خيفة من حوشب لظى ∴ أطفأت نار لظى من وردها البشم" (245)

ـ" فإنه شمس فضل هم كواكبها ∴ يظهرن أنوارها للناس في الظلم" (242)

ـ" محكّمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم" (244)

ـ" ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم" (248)

ـ" أحلّ أمته من حرز ملته ∴ كالليث حلّ من الأشبال في أجم" (247)

ـ" ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه ∴ وجدته لخلاصي خير ملتزم" (248)

ـ" وراودته الجبال الشم من ذهب ∴ عن نفسه فأرها أيّما شمم" (240)

ـ" والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على ∴ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم" (239)

ـ" كالشمس تظهر للعينين من بعد ∴ صغيرة وتكل الطرف من أمم" (241)

كل هذه الصيغ لازمة وصارت بدخول همزة القطع عليها متعدية إلى مفعول ما عدا الصيغ : أحلّ ، " ألزمت ، " "أراها " فهي متعدية إلى مفعولين .

ب ـ جعل الشيء ذا أصله(*)

جاء لهذا المعنى : أعدّت ، تهدي .

ـ" ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى ∴ ضيف ألم برأسي غير محتشم(239) ".

ـ" تهدي اليك رياح النصر نشرهم ∴ فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي(247) ".

وردت الصيغتان : أعدّ ، وتهدي بمعنى جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله ذلك أن الفعلين : أعدّ جعله عدّة ، وتهدي جعله هدية ، والهدية هنا الخبر السار .

جـ ـ الإزالة والسلب(**)

ورد لهذه الدّلالة : " أبرأت "

ـ" كم أبرأت وصبا باللمس راحته ∴ وأطلقت أربا من ربقة اللمم(244) ".

الفعل " أبرأت " يفيد الإزالة والإزاحة على قراءة " وصب " بفتح الصاد . وقد يكون بمعنى جعل الشيء ذا أصله على قراءة " وصب " بكسر الصاد .

د ـ أفعل بمعنى صاحب كذا

ورد لهذه الدّلالة : " أنصفت " .

ـ" يالائمي في الهوى العذري معذرة ∴ منّي إليك ولو أنصفت لم تلم(239) ".

جاء الفعل " لو أنصفت " بمعنى لو كنت صاحب نصف أي صاحب عدل .

هـ ـ أفعل بمعنى فعل(***)

ورد لهذا المعنى : أومض ، ألمّ ، أطعت ، تطع تنكر .

(*) انظر الشيخ الرضي ، شرح شافية ابن الحاجب ، جـ1/37 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، ص 147 .

(**) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 348 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل ، ص 149

(***) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 356 . وابن يعيش ، شرح المفصل ، جـ7/159

ب ـ جعل الشيء ذا أصله(*)

جاء لهذا المعنى : أعدّت ، تهدي .

ـ" ولا أعدّت من الفعل الجميل ترى ∴ ضيف ألم برأسي غير محتشم(239) ".

ـ" تهدي اليك رياح النصر نشرهم ∴ فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي(247) ".

وردت الصيغتان : أعدّ ، وتهدي بمعنى جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله ذلك أن الفعلين : أعدّ جعله عدّة ، وتهدي جعله هدية ، والهدية هنا الخبر السار .

جـ ـ الإزالة والسلب(**)

ورد لهذه الدّلالة : " أبرأت "

ـ" كم أبرأت وصبا باللمس راحته ∴ وأطلقت أربا من ربقة اللمم(244) ".

الفعل " أبرأت " يفيد الإزالة والإزاحة على قراءة " وصب " بفتح الصاد . وقد يكون بمعنى جعل الشيء ذا أصله على قراءة " وصب " بكسر الصاد .

د ـ أفعل بمعنى صاحب كذا

ورد لهذه الدّلالة : " أنصفت " .

ـ" يالائمي في الهوى العذري معذرة ∴ منّي إليك ولو أنصفت لم تلم(239) ".

جاء الفعل " لو أنصفت " بمعنى لو كنت صاحب نصف أي صاحب عدل .

هـ ـ أفعل بمعنى فعل(***)

ورد لهذا المعنى : أومض ، ألمّ ، أطعت ، تطع تنكر .

(*) انظر الشيخ الرضي ، شرح شافية ابن الحاجب ، جـ1/37 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، ص 147 .

(**) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 348 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل ، ص 149

(***) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 356 . وابن يعيش ، شرح المفصل ، جـ7/159

—" أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة . وأومض البرق في الظلماء من إضم "(233)

—" ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى ∴ ضيف ألمّ برأسي غير محتشم "(239)

—" أطعت غيّ الصبا في الحالتين وما ∴ حصلت إلا على الآثام والندم "(247)

—" ولا تطع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم "(240)

—" لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم "(243)

جاءت هذه الصيغ بمعنى فعل . غير أن زيادة زيادة همزة القطع تفيد التأكيد ، لأن الزيادة مفيدة وإلا كانت عبثا[1] .

و — أفعل بنية لا يراد بزيادتها معنى .

ومن صيغ هذا البناء : أدرك ، أقسم .

—" وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ∴ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم "(241)

—" أقسمت بالقمر المنشق إن له ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم "(243)

5 — تفعّل

ارتبط هذا البناء بدلالات تركّزت على النحو التالي :

أ — تفعّل بمعنى استفعل(*)

من الصيغ الدالة عليه : تولّى .

—" فاصرف هواها وحاذر أن توليّه ∴ إن الهوى ما تولّى يصم أو يصم "(239)

تفعّل بمعنى استفعل على نحو ما في البيت : "تولّى أي استولى " . لاعتقاد في الشيء أنه على صفة أصله أي اعتقد فيه أنه واليّ .

ب — الاتخاذ (**)

من الصيغ الدالة على هذا المعنى : " تزوّدت " ، " تحلّى " .

---

(1) انظر الشيخ الرضي ، شرح الشافية ، ج 1 / 83 و 91 .

(*) المصدر نفسه ، ص 106 .

(**) انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج7 / 158 . وابن مالك ، تسهيل الفوائد ، ص 199 والشيخ الرضي ، شرح الشافية ، ج 1 / 104 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل ، ص 159 — 160 .

ـ": ولا تزودت قبل الموت نافلة .. ولم أصل سوى فرض ولم أصم"[240].

ـ": ولن يضيق رسول الله جاهك بي .. إذا الكريم تحلّى باسم منتقم"[248].

الفعل (تزوّد) يعني الاتخاذ ، وهو بمعنى جعل الشيء ذا أصله ، إذ تزوّد معناه اتخذ زادا . وقد تعدى إلى مفعولين . أفاد المفعول الثاني بيان أصل الفعل باعتبار أن الزاد بيان التزوّد . وقد ورد هذا البيان منفيا ، لأن الناظم لم يبادر إلى فعل الخير والأعمال الصالحة .

والفعل (تحلّى) ورد بمعنى اتخذ حليا ، والمراد به في هذا البيت هو أن الله تعالى أوقع الانتقام ، لأن التحلية تجدّد الصفة وهي في حق الله تعالى محال باعتبار أن صفاته قديمة لا تزول[1]

ج ـ صيرورة الشيء ذا أصله[*]

من الصيغ الدّالة عليها : " تفرّس " :

ـ": يوم تفرّس فيه الفرس أنهم .. قد أنذروا بحلول البؤس والنقم"[242].

صيغة " تفرّس " بمعنى صيرورة الشيء ذا أصله ذلك أن تفرّس الفرس أي صاروا ذوي فراسة . والفراسة هي قوة تدرك بها الأمور الخفية[2].

6 ـ انفعل[**]

من الأفعال المرتبطة بهذه الصيغة الفعل " ينفطم " . وقد دلّ على المطاوعة :

ـ": والنفس كالطفل إن تهمله شب على .. حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم"[239].

---

(1) انظر حاشية الباجوري على متن البردة ، ص 78 .

(*) انظر الشيخ الرضي ، شرح الشافية ، ج 1/ 107 .

(2) ابن منظور ، اللسان . (فرس) .

(**) انظر سيبويه ، الكتاب ، ج 4 / 65 . والمبرد ، المقتضب ، ج2/154 .

الفعل في هذا البيت مطاوع " فعل " ، وهذه الصفة أصل فيه ، لأنه يجوز أن يقال فطمته فانفطم . والمطاوعة — بحسب السياق — تصور طبيعة النفس اللينة وقدرة المرء على التحكم فيها .

7 — افتعل (*)

توزّعت صيغة افتعل في البردة على المعاني التالية :

أ — المطاوعة (**)

" وهي تعني قبول الأثر وعدم الامتناع عليه باعتبار المطاوع في الأساس هو المفعول به الذي يصير فاعلا " (1) .

ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى : " اتعظت " ، " امتلأت " ، "ائتمرت " ، " اتصلت " :

— " فإن أمّارتي بالسوء ما اتعظت ∴ من جهلها بنذير الشيب والهرم " (239) .

— " واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ∴ من المحارم وألزم حمية الندم " (240) .

— " امرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم " (240) .

— " وكل آي أتى الرسل الكرام بها ∴ فإنما اتصلت من نوره بهم " (242) .

الصيغ في هذه الأمثلة لازمة والمطاوعة فيها قائمة مقام " انفعل " مطاوع " فعل " نحو وعظته فاتعظ ، وملأته فامتلأ ، وأمرته فائتمر ، ووصلته فاتصل .

ب — افتعل بمعنى فعّل (*)

الصيغ الدالة عليه : " اشتكت " ، "اقتطفت " ، " التمست " ، تخترق " . وهي أفعال متعدية تحمل معنى فعلها الثلاثي المجرد :

(*) انظر معاني افتعل . ابن جني المنصف ، جـ1/ 75 . والميداني ، نزهة الطرف ، ص 150 وابن عصفور، الممتع في التصريف ، جـ1/ 193 .والشيخ الرضي ، شرح الشافية ، جـ1/ 108

(**) انظر سيبويه ، الكتاب ، جـ 4/ 65 .

(1) الشيخ الرضي ، شرح الشافية ، جـ 1/ 103 .

(*) انظر ابن جني ، المنصف ، جـ 1/ 75 . والميداني ، نزهة الطرف ، ص 150 .

ـ": ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى ∴ أن اشتكت قدماه الضر من ورم"(240).

ـ": ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت ∴ يدا زهير بما أثنى على هرم"(248).

ـ": ولا التمست غنى الدارين من يده ∴ إلا استلمت الندى من خير مستلم"(243).

ـ": وأنت تخترق السبع الطباق بهم ∴ في موكب كنت فيه صاحب العلم"(245).

ج ـ افتعل بمعنى تفعّل

الصيغ الدالة عليه : " استلمت "

ـ": ولا التمست غنى الدارين من يده ∴ الا استلمت الندى من خير مستلم"(243).

الصيغة " استلمت بمعنى تسلّمت " .

د ـ افتعل بمعنى أفعل

الصيغة الدالة عليه : " احتكم " :

ـ": دع ما ادعته النصارى في نبيهم ∴ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم"(241).

احتكم بمعنى أحكم وهي ـ في هذا البيت ـ تأكيد للفعل أحكم .

هـ ـ افتعل بمعنى استفعل(*)

الصيغة الدالة عليه : " اعتصم "

ـ": قرت بها عين قاريها فقلت له ∴ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم"(245).

الفعل اعتصم ـ في هذا البيت ـ بمعنى استعصم ، لأن اعتصم به واستعصم يرادفان امتنع وأبى .

و ـ الاتخاذ(**)

من الصيغ الدالة على هذا المعنى : " اصطفاه " :

ـ": فهو الذي تم معناه وصورته ∴ ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم"(241).

اصطفاه حبيبا " بمعنى اتخذه حبيبا ، والمراد اتخذ الله الرسول صلى الله عليه وسلم حبيبا أي جعله حبيبا له.

(*) انظر هامش نزهة الطرف للميداني ، ص 153 .

(**) انظر الشيخ الرضي ، شرح الشافية ، ج 1/ 109 .

ز ـ افتعل بمعنى صار الشيء ذا أصله .

الصيغ الدالة عليه : يعترض :

ـ " نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ∴ والحب يعترض اللذات بالألم "(239)

الفعل يعترض على زنة يفتعل ، ورد بمعنى صار الشيء ذا أصله على نحو ما في البيت اعترض اللذات بالألم أي صار عارضا لها بالألم .

ح ـ افتعل للتعريض .

من الصيغ الدالة على هذا المعنى : " يمتحنا " ، " اتّهمت " .

ـ " لم يمتحنا بما تعيا العقول به ∴ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم "(241)

ـ " إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم "(239)

في الفعل " يمتحن " معنى التعريض ، لأنه تعريض المفعول لمعنى الفعل على نحو ما في البيت " لم يمتحنا " أي لم يعرّضنا لمحنة تتعب عقولنا . كما ارتبط الفعل " اتهمت " بالدّلالة نفسها ، فاتهمه جعله عرضة للاتهام .

ط ـ التشارك (*)

من الصيغ الدّالة على هذا المعنى : " تقترن " :

ـ " لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم "(244)

ورد الفعل " تقترن " على زنة تفتعل بمعنى التشارك ، لأن الاقتران يفيد أن شيئين قد اقترنا أو تقارنا (1) . أي صار كل منهما قرينا مصاحبا . وقرين بمعنى مقرون (على المجاز) .

3 ـ استفعل

توزع هذا البناء على المعاني التالية :

أ ـ الطلب والسؤال

الصيغ الدالة على هذا المعنى : " استغفر " ، " استجرت " ، " استقيل " :

(*) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 361 .

(1) انظر ابن منظور اللسان ، مادة " قرن " .

ز ـ افتعل بمعنى صار الشيء ذا أصله .

الصيغ الدالة عليه : يعترض :

ـ " نعم سوى طيف من أهوى فأرقني ∴ والحب يعترض اللذات بالألم "(239)

الفعل يعترض على زنة يفتعل ، ورد بمعنى صار الشيء ذا أصله على نحو ما في البيت اعترض اللذات بالألم أي صار عارضا لها بالألم .

ح ـ افتعل للتحريض .

من الصيغ الدالة على هذا المعنى : " يمتحنا " ، " اتّهمت " .

ـ " لم يمتحنا بما تعيا العقول به ∴ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم "(241).

ـ " إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم "(239).

في الفعل " يمتحن " معنى التحريض ، لأنه تحريض المفعول لمعنى الفعل على نحو ما في البيت " لم يمتحنا " أي لم يعرّضنا لمحنة تتعب عقولنا . كما ارتبط الفعل " اتهمت " بالدّلالة نفسها ، فاتهمه جعله عرضة للاتهام .

ط ـ التشارك (*)

من الصيغ الدّالة على هذا المعنى : " تقترن " :

ـ " لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم "(244).

ورد الفعل " تقترن " على زنة تفتعل بمعنى التشارك ، لأن الاقتران يفيد أن شيئين قد اقترنا أو تقارنا (1) . أي صار كل منهما قرينا مصاحبا . وقرين بمعنى مقرون (على المجاز) .

3 ـ استفعل

توزع هذا البناء على المعاني التالية :

أ ـ الطلب والسؤال

الصيغ الدالة على هذا المعنى : " استغفر " ، " استجرت " ، " استقيل " :

(*) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 361 .

(1) انظر ابن منظور اللسان ، مادة " قرن " .

ـ": استغفر الله من قول بلا عمل ∴ لقد نسبت به نسلا لذي عقم"[240].

ـ": ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا ونلت جوارا منه لم يضم"[243].

ـ": خدمته بمديح استقيل به ∴ ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم"[247].

كل الصيغ في هذه الأمثلة تفيد الطلب ، فاستغفر لطلب المغفرة ، واستجار لطلب الجوار ، واستقال لطلب الإقالة ، وهي الأخذ باليد عند العثار[1] .

ب ـ المطاوعة[*] ، في مثل " استقمت " ، " استقم " :

ـ": أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم"[240].

استقام مطاوع أقام نحو أقمته فاستقام .

ج ـ استفعل بمعنى أفعل

ورد لهذه الدّلالة : استفرغ ، استفاق :

ـ": واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ∴ من المحارم وألزم حمية الندم"[240].

ـ": فما لعينيك إن قلت اكففا همتا ∴ وما لقلبك إن قلت استفق يهم"[238].

"استفرغ ، واستفق " بمعنى أفرغ ، وأفق . وقد فضّل الناظم صيغة استفعل لقوتها الدّلالية ، ولأنها تستعمل في المعنوي أكثر مما ترد للمحسوس .

د ـ استفعل بمعنى وجد الشيء ذا أصله [*]

من الصيغ الدالة على هذا المعنى : " استحلت " :

ـ": وراعها وهي في الأعمال سائمة ∴ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم"[240].

الفعل حلا في الأصل لازم ، ولما أدخلت عليه الزوائد : الهمزة ، والسين ، والتاء صار متعديا إلى مفعول على نحو ما في البيت استحلت المرعى أي وجدته حلوا .

---

(1) انظر ابن منظور ، اللسان ، مادة (قيل)

(*) انظر ابن مالك ، تسهيل الفوائد ، ص 200 ، والميداني ، هامش نزهة الطرف ، ص 153 .

(+) سيبويه ، الكتاب ، ج 4 / 70 .

ب ـ الصيغ المركبة(*)

نعني بالصيغة المركبة البنية الصرفية المتكونة من " حرف + فعل " أو من "فعل الكينونة وما ماثله + فعل " ، حيث يعد الحرف والفعل أو فعل الكينونة وما ماثله صيغة واحدة ذات دلالة واحدة .

هذه الصيغ المركبة قد شكّلت ظاهرة أسلوبية متميزة في البردة . وهذا التميز آتٍ من كون اللغة العربية قد تفرّدت عن أخواتها الساميات بهذه الميزة ، لأن هذا التركيب يعطي أبنية الفعل تخصيصا وتنويعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة من اللغات السامية(1) .

وقد صنّفنا هذه الصيغ بحسب خصائصها مراعين القرائن والسياق بحسب أنماط(2) وصور كالآتي :

النمط الأول : قد + فعل تام أو ناقص

وردت الصيغ المركبة ـ في هذا القسم ـ متنوعة ، فمنها ما هو مكون من (قد + فعل) أو (قد + أفعل) ، ومنها ما هو مكون من (كان + يفعل) و (كاد + يفعل) ، و (مازال + يفعل) . وتبدو هذه الصيغ في : " قد امتلأت " ، " قد أنذروا " ، " قد جاءوه " ، " قد تنكر " ، " كنت أعلم " ، " كادوا يخبطون " ، " ما زال يلقاهم " :

ـ " واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ∴ من المحارم والزم حمية الندم " (240)

ـ " يوم تفرس فيه الفرس أنهم ∴ قد أنذروا لحلول البؤس والنقم " (242)

ـ " كأنها الحوض تبيض الوجوه به ∴ من العصاة وقد جاءوه كالحمم " (245)

(*) افاد البحث من جهود ، مهدي المخزومي ـ في النحو العربي نقد وتوجيه ، ص 141 ـ 160 ، وتمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص 240 وما بعدها ، ومحمود أحمد نحلة ، لغة القرآن ، ص 421 وما بعدها .

(1) برجشتراسر ، التطور النحوي . ص 57 .

(2) لانعني بالنمط اتجاها معينا في اللسانيات ، وإنما هو بنية رياضيّة تضم عناصر لغوية تجمعهم علاقة واحدة . انظر Dubois et autres Dictionnaire de linguistique (modèle)

"قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ∴ وينكر الفم طعم الماء من سقم"(245).

"لو كنت أعلم أني ما أوقره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم"(233).

"ودوا الفرار فكادوا يغبطون به ∴ أشلاء شالت مع العقبان والرخم"(246).

"ما زال يلقاهم في كل معترك ∴ حتى حكوا بالقنا لحما على وضم"(246).

الناظر في هذه الظاهرة الصرفية يجد أن بعض الصيغ المركبة تعبر عن وقوع الحدث في الزمان الماضي المنتهي بالحاضر. من ذلك أن الناظم في البيت الأول يربط الماضي المنتهي بالحاضر، والدّلالة الزمنية في الصيغة نفسها تكشف عن البرهة الزمانية التي عدل الناظم فيها عن الماضي بطلب المغفرة من الله، والندم على ما وقع في ذلك الماضي. وشبيه بهذا: "قد أنذروا"، و"قد جاءوه، وقد تنكر".

أما الصيغ المركبة الأخرى فمنها ما دلّ على الزمن الماضي المتجدد(1) نحو "كنت أعلم(2)"، ومنها ما دلّ على المقاربة نحو "كادوا يغبطون".

هذا المركب(*) يصور تصويرا دقيقا فترة الزمن التي تمنّى فيها الأعداء الفرار من شدة هول الحرب، ولكنهم لم يدركوا ما تمنوا وإنما اقتربوا منه فكادوا يغبطون به. ومنها ما دلّ على معنى الماضي المتصل بالحاضر(3)، نحو "ما زال يلقاهم(4)"، وفي هذا الاستخدام الصرفي براعة وحسن بيان، لأن الوصف يدل على أن الرسول (ص) مستعد للقاء أعدائه في أي وقت، فهو لم ينفك يلقاهم في كل معترك دون فرّ ودون كلل، بل يستمر في حربهم حتى يصيّرهم أجسادا هامدة.

---

(1) تمام حسان، اللغة العربية، الجدول الأخير من الكتاب.

(2) انظر الجملة الشرطية، الفصل الثالث، ص 208 — 209.

(*) نطلق على الصيغة المركبة اسم المركب للاختصار.

(3) تمام حسان، اللغة العربية، ص 246.

(4) انظر الجملة الواقعة خبرا، الفصل الثالث، ص 225.

النمط الثاني : اللام + قد + فعل

لم يكثر في البردة استخدام هذا النوع . وما عثرنا عليه جد قليل . وقد ورد هذا البناء في الأبيات التالية :

- " استغفر الله من قول بلا عمل ∴ لقد نسبت به نسلا لذي عقم " (240)
- " قرت بها عين قاريها فقلت له ∴ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم " (245)

يدلّ المركّبان : " لقد نسبت " ، و " لقد ظفرت " على الزمن الماضي المنتهي بالحاضر (1) ففي المركّب الأوّل إحساس بالذنب بسبب التقصير في حق الله . وفي الثاني تأكيد لفوز قارئ القرآن ، لأن القرار والطمأنينة نتيجة لتلاوة القرآن .

النمط الثالث : أداة نفي + فعل

يعد هذا الشكل من أكثر الأصناف تواترا في البردة . وقد توزّع بحسب الصور التالية :

الصورة الأولى : لم + يفعل

عبّرت الصيغة المركّبة " لم يفعل " في البردة عن الزمن الماضي المستمر (2) . وقد تمثلت في هذه الأبيات :

- " لم يمتحنا بما تعيا العقول به ∴ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم " (241)
- " من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم ∴ بأن دينهم المحوّ لم يقم " (243)
- " لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم " (243)
- " لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم " (244)
- " دامت لدينا ففاقت كل معجزة ∴ من النبيين إذ جاءت ولم تدم " (244)
- " وكالصراط وكالميزان معدلة ∴ فالقسط من غيرها في الناس لم يقم " (245)

---

(1) تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 246 .

(2) انظر تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 247 . وأحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، ص 103 .

النمط الثاني : اللام + قد + فعل

لم يكثر في البردة استخدام هذا النوع . وما عثرنا عليه جد قليل . وقد ورد هذا البناء في الأبيات التالية :

ـ " استغفر الله من قول بلا عمل ∴ لقد نسبت به نسلا لذي عقم " (240)

ـ " قرت بها عين قاريها فقلت له ∴ لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم " (245)

يدلّ المركّبان : " لقد نسبت " ، و " لقد ظفرت " على الزمن الماضي المنتهي بالحاضر (1) ففي المركّب الأوّل إحساس بالذنب بسبب التقصير في حق الله . وفي الثاني تأكيد لفوز قارئ القرآن ، لأن القرار والطمأنينة نتيجة لتلاوة القرآن .

النمط الثالث : أداة نفي + فعل

يعد هذا الشكل من أكثر الأصناف تواترا في البردة . وقد توزّع بحسب الصور التالية :

الصورة الأولى : لم + يفعل

عبّرت الصيغة المركّبة " لم يفعل " في البردة عن الزمن الماضي المستمر (2) . وقد تمثلت في هذه الأبيات :

ـ " لم يمتحنا بما تعيا العقول به ∴ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم " (241)

ـ " من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم ∴ بأن دينهم المحوّ لم يقم " (243)

ـ " لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم " (243)

ـ " لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم " (244)

ـ " دامت لدينا ففاقت كل معجزة ∴ من النبيين إذ جاءت ولم تدم " (244)

ـ " وكالصراط وكالميزان معدلة ∴ فالقسط من غيرها في الناس لم يقم " (245)

---

(1) تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 246 .

(2) انظر تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 247 . وأحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، ص 103 .

الصورة الثانية : | لا + يفعل |

الصيغة المركبة " لا تفعل " ـ في هذا السياق ـ دالة على الزمن المستقبل البسيط[1]، أو على الزمن المطلق[2] .

أما دلالتها على الزمن المستقبل فتبدو في : " لا تروم " ، " لا تسم " ، " لا تطح " ، " لا تحجبن " :

ـ " فلا تروم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة الفهم " .(239)

ـ " وراعها وهي في الأعمال سائمة ∴ وإن هي استحلت المرعى فلا تسم " .(240)

ـ " ولا تطح منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم " .(240)

ـ " لا تحجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم " .(245)

وأما دلالتها على الزمن المطلق فتبدو في : " لا تحصى ، ولا تسام " :

ـ " فما تعد ولا تحصى عجائبها ∴ ولا تسام على الإكثار بالسأم " .(245)

ارتبطت الصيغ المركّبة بالزمن المستقبل أو الزمن المطلق ، فالمركبات " لا تروم ، ولا تطح ، ولا تسم ، ولا تحجبن " دالّة على النهي[3] . وهو محض للاستقبال وقد خرج هنا الى معنى النصح والإرشاد . وأما المركبان : " لا تحصى ، ولا تسام " فدالان على الزمن المطلق ، لأنهما لم يختصا بزمن معين بعد نفي حصول إحصاء عجائب الآيات القرآنية ، والسأم عند الإكثار منها في أي زمن . والصيغتان : تحصى وتسام مبنيان لما لم يسم فاعله . وقد حذف الفاعل فيهما لأهمية الحدث ولعموم الدّلالة .

---

(1) تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 248 .

(2) أحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، ص 20 .

(3) انظر جملة النهي ، الفصل الثالث ، ص

الصورة الثالثة : | ما + فعل + وما + يفعل |

عبّرت الصيغتان المركبتان : " ما فعل " ، و " ما يفعل " عن أزمنة مختلفة ، لاختلاف القرائن . فمركب " ما فعل " دلّ على الماضي المنتهي بالحاضر . ومركب " ما يفعل " دلّ على الزمن المطلق[1] .

قال الناظم :

—" أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم[240] ".

—" والكاتبين بسمر الخط ما تركت ∴ أقلامهم حرف جسم غير منعجم[247] ".

—" أطعت عني الصبا في الحالتين وما ∴ حصلت إلا على الآثام والندم[247] ".

—" ما رنّحت عذبات البان ريح صبا ∴ وأطرب العين حادي العين بالنغم[249] ".

—" فما تعد ولا تحصى عجائبها ∴ ولا تسام على الإكثار بالسأم[245] ".

المركبات : " ما ائتمرت " ، " ما استقمت " ، " ما تركت " ، " مارنّحت " ، وما حصلت " عبّرت عن الزمن الماضي المنتهي بالحاضر ، أما المركب " ما تعد " فزمنه مطلق مستمر .

الصورة الرابعة : | لن + يفعل |

الصيغ المركبة التي مثّلت هذه الصورة عبّرت عن الزمن المستقبل القريب[2] ، أو الزمن المستقبل الاستمراري[3] .

قال الناظم :

—" ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم[248] ".

—" ولن يضيق رسول الله جاهك بي ∴ إذا الكريم تحلّى باسم منتقم[248] ".

—" ولن ترى من ولي غير منتصر ∴ به ولا من عدو غير منتصم[247] ".

---

(1) أحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن ، ص 84 — 85

(2) تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 246 .

(3) المرجع السابق ، ص 73 . وانظر تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 243 .

المركبان : " لن يفوت ، ولن يضيق ". دالان على معنى الزمن المستقبل القريب ، لأن الفعل قيمة معنوية مطلقة لا تقتصر على فئة دون أخرى أما المركّب " لن ترى " فمرتبط بالزمن المستقبل الاستمراري ، لأن الانتصار بالرسول (ص) مستمر مع أولائه المؤمنين المسلمين .

الصورة الخامسة : | ليس + يفعل |

الصيغ المركّبة التي مثلت هذه الصورة عبّرت عن الزمن المطلق أو نفي الحال[1] . وتبدو في : " ليس ينقص " ، " ليس يرى " ، " ليس ينكر " :

ـ " فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم " .(244)

ـ " أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ∴ في القرب والبعد فيه غير منفحم " .(244)

ـ " وذاك حين بلوغ من نبوته ∴ فليس ينكر فيه حال محتلم " .(244)

المركّبان : " ليس ينقص ، وليس ينكر " دالان على الزمن المطلق ، لأن المركّب الأول مدرج في سياق حكمي ، والثاني مرتبط بتقرير حقيقة ، وهي نبوّة الرسول (ص) . وقد بني الفعل فيه لما لم يسم فاعله ، وحذف الفاعل لوضوحه .

أما المركّب " ليس يرى " فيصور حالة عجز الخلق عن إدراك حقيقة الرسول (ص) . وقد بني الفعل فيه لما لم يسم فاعله ، وحذف الفاعل للعلم به . وهو دالّ من حيث الزمن على نفي الحال .

الخاتمة

ارتبطت الصيغ البسيطة بالدّلالات الآتية :

1ـ فعل : دلّ على الأعراض من الأمراض والأدواء .

2ـ فعّل : من معانيه .

---

[1] انظر تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 248 . وأحمد البقري ، أساليب النفي في القرآن ، ص 73 .

أ ـ التعدية .

ب ـ المبالغة .

ج ـ جعل الشيء كذا .

د ـ بمعنى فعّل .

3 ـ فاعل : ومن معانيه : المشاركة والمبالغة .

4 ـ أفعل : ومن دلالاته :

أ ـ التعدية .

ب ـ جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله .

ج ـ بمعنى فعّل

د ـ الازالة والسّلب

هـ ـ كان صاحب كذا

5 ـ تفعّل : ومن معانيه

أ ـ الاتخاذ

ب ـ صار الشيء ذا أصله

ج ـ بمعنى استفعل

6 ـ انفعل: دلّ على المطاوعة

7 ـ افتعل: ومن معانيه

أ ـ المطاوعة

ب ـ الاتخاذ

ج ـ صار الشيء ذا أصله .

د ـ التعريض

هـ ـ التشارك

و ـ بمعنى فعّل

الموحيد الذي جاء مصحوبا بفعله .

ب ـ بناء فعل صفة[1] : فرد (242 ـ 6) ـ خصم (240 ـ 6)[*] ـ عقل (246 ـ 5) ـ عبد (248 ـ 15) .

ج ـ بناء فعل اسم تفضيل[2] : خير[**]

ـ " فمبلغ العلم فيه أنه بشر ∴ وأنه خير خلق الله كلهم "(242)

" مكفولة أبدا منهم بخير أب ∴ وخير بعل فلم تيتم ولم تئم "(246)

يصاغ ، اسم التفضيل من الثلاثي على وزن أفعل ، لكن كلمة " خير " جاءت على غير قياس . ويبدو أن الهمزة حذفت منه لكثرة الاستعمال .

د ـ بناء فعل جمع لا واحد له[3] : قوم ، خيل :

ـ " وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ∴ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم "(241)

ـ " من لى يرد جماح من غوايتها ∴ كما يرد جماح الخيل باللجم "(239)

هـ ـ بناء فعل جميع تكسير : زهر[***] (242 ـ 5) ـ بهم (247 ـ 5) . يوضح الجدول الآتي علاقة بنائها بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعْل	زهر بهم	فَعْلة	زهر بهمة

(1) ابن المبرد ، المقتضب ، 1 / 53 ، والميداني ، نزهة الطرف ، ص 84 .

(*) تكرر مرتين

(2) ابن مالك ، تسهيل الفوائد ، ص 133

(**) تكرر اسم التفضيل " خير " سبع مرات .

(3) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج 2 / 199 .

(***) تكرر مرتين .

ز ـ بمعنى أفعل

ح ـ بمعنى تفعّل

ط ـ بمعنى استفعل

8 ـ استفعل : من دلالاته .

أ ـ المطاوعة

ب ـ وجد الشيء ذا أصله

ج ـ بمعنى أفعل .

وارتبطت الصيغ المركبة بالأزمنة الآتية :

ـ الزمن الماضي المنتهي بالحاضر : (قد فعل + لقد فعل + ما فعل)

ـ الزمن المطلق : (لا تفعل + ما يفعل + ليس يفعل)

ـ الزمن المستقبل البسيط : (لا تفعل)

ـ الزمن الماضي المستمر : (لم يفعل)

ـ الزمن المستقبل القريب : (لن يفعل)

ـ الزمن المستقبل الاستمراري : (لن يفعل)

ـ الزمن الماضي المتجدد : (كان يفعل)

ـ الزمن الماضي المتصل بالحاضر : (ما زال يفعل)

ـ نفي الحال : (ليس يفعل)

هذه بعض نتائج القسم الخاص ببنية الأفعال . وقد تزداد البنية الصرفية وضوحا في القسم الثاني الخاص بالأسماء .

2 ـ بنية الأسماء

نعتمد في هذا القسم الدراسة الصوتية في وصف أبنية الأسماء ، وفي التمييز بين المشتقات والمصادر . وقد روعي في دراستها ترتيبها في أنماط ، وفق عدد المقاطع التي تكوّنها . أما من حيث العلاقة بين الأسماء فنعتمد ما تؤديه من وظائف صرفية في استعمالها . وأما من حيث بنية الأسماء المعتلة الوسط والآخر فنعتمد

بناء المفرد مختلف عن بناء الجمع من حيث المقاطع، إذ ينتمي الأوّل إلى النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد)، وينتمي الثاني إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وصورته : (م ص م + م ص م).

و ـ بناء فعل اسم(*): طيف(239 ـ 4) ـ ضيف(239 ـ 10) ـ نفس(239 ـ 14) ـ شيب(239 ـ 8) ـ قرم(246 ـ 9) ـ حتف(246 ـ 15) ـ دمع(238 ـ 1) ـ مرء(240 ـ 2) ـ حبل(245 ـ 2) ـ رأس(239 ـ 10) ـ قلب(243 ـ 10) ـ كشح(240 ـ 11) ـ عين(241 ـ 15) ـ طوف(241 ـ 15) ـ لحم(246 ـ 6) ـ طعم(245 ـ 7) ـ ذنب(248 ـ 2) ـ بحر(241 ـ 5) ـ نهر(242 ـ 12) ـ سيب(246 ـ 5) ـ سيل(244 ـ 5) ـ موج(244 ـ 15) ـ حوض(245 ـ 4) ـ ورد(247 ـ 2) ـ نبت(247 ـ 4) ـ لوح(248 ـ 11) ـ شمس(241 ـ 15) ـ بدر(242 ـ 5) ـ برق(238 ـ 2) ـ بحل(246 ـ 13) ـ ليث(247 ـ 8) ـ دهر(242 ـ 5) ـ يوم(242 ـ 10) ـ ليل(244 ـ 6) ـ عهد(248 ـ 2) ـ قدر(241 ـ 10) ـ غيظ(242 ـ 13) ـ نشر(247 ـ 3) ـ نسل(240 ـ 7) ـ كون(240 ـ 15) ـ هول(241 ـ 12) ـ غير(239 ـ 10) ـ وفق(241 ـ 3) ـ أرض(243 ـ 3) ـ بطن(243 ـ 6) ـ ضوء(245 ـ 7) ـ قوس(245 ـ 11) ـ بأس(245 ـ 5) ـ خير(243 ـ 11) ـ هدي(247 ـ 12).

(*) تكرر كل من : (ضيف، ولم، وموج، ودهر، وليل، وخير) مرتين. وكل من : (شبب، ودمع، وحبل، وشمل، وبدر، وقدر) ثلاث مرات. و (بحر) أربع مرات، و (نفس) خمس مرات. و (عين) ست مرات، و (غير) ثماني مرات.

بناء المفرد مختلف عن بناء الجمع من حيث المقاطع، إذ ينتمي الأول إلى النمط الأول (أبنية ذات مقطع واحد)، وينتمي الثاني إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وصورته : (م ص م + م ص م).

و ـ بناء فعل اسم(*): طيف(239 ـ 4) ـ ضيف(239 ـ 10) ـ نفس(239 ـ 14) ـ شيب(239 ـ 8) ـ قرم(246 ـ 9) ـ حتف(246 ـ 15) ـ دمع(238 ـ 1) ـ مرء(240 ـ 2) ـ حبل(245 ـ 2) ـ رأس(239 ـ 10) ـ قلب(243 ـ 10) ـ كشح(240 ـ 11) ـ عين(241 ـ 15) ـ طرف(241 ـ 15) ـ لحم(246 ـ 6) ـ طعم(245 ـ 7) ـ ذنب(248 ـ 2) ـ بحر(241 ـ 5) ـ نهر(242 ـ 12) ـ سيب(246 ـ 5) ـ سيل(244 ـ 5) ـ موج(244 ـ 15) ـ حوض(245 ـ 4) ـ ورد(247 ـ 2) ـ نبت(247 ـ 4) ـ لوح(248 ـ 11) ـ شمس(241 ـ 15) ـ بدر(242 ـ 5) ـ برق(238 ـ 2) ـ بحل(246 ـ 13) ـ ليث(247 ـ 8) ـ دهر(242 ـ 5) ـ يوم(242 ـ 10) ـ ليل(244 ـ 6) ـ عهد(248 ـ 2) ـ قدر(241 ـ 10) ـ غيظ(242 ـ 13) ـ نشر(247 ـ 3) ـ نسل(240 ـ 7) ـ كون(240 ـ 15) ـ هول(241 ـ 12) ـ غير(239 ـ 10) ـ وفق(241 ـ 3) ـ أرض(243 ـ 3) ـ بطن(243 ـ 6) ـ ضوء(245 ـ 7) ـ قوس(245 ـ 11) ـ بأس(245 ـ 5) ـ خير(243 ـ 11) ـ هدي(247 ـ 12).

(*) تكرر كل من : (ضيف، ولم، وموج، ودهر، وليل، وخير) مرتين. وكل من : (شيب، ودمع، وحبل، وشمل، وبدر، وقدر) ثلاث مرات. و (بحر) أربع مرات، و (نفس) خمس مرات. و (عين) ست مرات، و (غير) ثماني مرات.

ثانيا ـ فعّل (*)

ورد هذا البناء عشرين مرة ، توزّع حسب الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فعل مصدر : فعل (239 ـ 10) ـ ذكر (239 ـ 1) ـ حرض (241 ـ 13) ـ علم (242 ـ 1) ـ قسط (245 ـ 5) .

ب ـ بناء فعل اسم : طفل (239 ـ 14) ـ صدق (243 ـ 12) ـ بشر (242 ـ 13) ـ جسم (247 ـ 1) ـ شعر (247 ـ 11) ـ حرز (247 ـ 8) ـ مثل (239 ـ 3) ـ اسم (241 ـ 12) .

ثالثا ـ فعّل (**)

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فعل مصدر : نصح (239 ـ 7) ـ قرب (241 ـ 14) ـ بعد (241 ـ 14) ـ كفر (246 ـ 11) ـ زهد (240 ـ 13) ـ بؤس (242 ـ 10) ـ حزن (242 ـ 14) ـ حسن (241 ـ 8) .

ب ـ بناء فعل صفة : حمر (246 ـ 12) ـ سمر (247 ـ 1) .

ج ـ بناء فعل اسم : أفق (243 ـ 3) ـ عمر (247 ـ) ـ ركن (246 ـ 3) ـ ترب (242 ـ 8) ـ سحب (248 ـ 16) .

د ـ بناء فعل جمع لا واحد له[1] : عرب (240 ـ 15) ـ فرس (242 ـ 1) ـ

هـ ـ بناء فعل جمع تكسير : أسد (247 ـ 6) ـ رسل (248 ـ 9) .

(*) تكرر بناء " علم " خمس مرات ، وكل من " اسم ومثل " مرتين .

(**) تكررت الأسماء : " حسن " أربع مرات ، و "نصح " ثلاث مرات ، و "رسل "مرتين .

(1) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج 2/ 199 .

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعُل	أُسُد (*) رُسُل	فَعَل فَعَول	أسد رسول

نلاحظ اختلاف بناء المفرد عن بناء الجمع من الناحية المقطعية ، إذ ينتمي بناء الجمع إلى النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد) ، وينتمي بناء المفرد إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) .

الصورة الثانية : م ص ص م

تشمل هذه الصورة الأبنية الآتية : فَال ، فِيل ، فَول .

أولا ـ فال (**) : (فعل)

بناء دال على الوظائف الصرفية الآتية :

أ ـ بناء فال اسم في الأبنية : ذات (241 ـ 10) ـ دار (243 ـ 16) ـ حال (239 ـ 6) ـ داء (239 ـ 6) ـ ناس (242 ـ 3) ـ نار (242 ـ 12) ـ ماء (242 ـ 4) ـ ساق (243 ـ 7) ـ عار (243 ـ 4) ـ جار (242 ـ 5) ـ بان (239 ـ 1) .

ب ـ اسم علم : عاد :

ـ " لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المداد وعن عاد وعن إرم " (244) .

(*) يقول عباس أبو السعود هذا البناء لم تستوف شروط جمعه ، انظر كتابه : الفيصل في ألوان الجموع ، ص 46 .

(**) تكرر كل من : " حال ، ناس ، عار ، بان " مرتين ، ونار خمس مرات ، وماء ثلاث مرات .

ثانيا ـ فيل (*) : (فِعْل)

تمثل هذا البناء في الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فيل اسم : ريح (2 ـ 238) ـ دين (2 ـ 246)

ب ـ بناء فيل جمع تكسير : بيض (16 ـ 246) ـ عيس (1 ـ 249) . الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فِعْل	بيض عيس	فَعْل	أبيض أعيس

ثالثا ـ فول : (فعْل)

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فول اسم : نور (2 ـ 242) .

ب ـ بناء فول مصدر[1] : جوع (3 ـ 240) ـ جود (11 ـ 243)

النمط الثاني : أبنية ذات مقطعين

الصورة الأولى : م ص + م ص م

تشمل هذه الصورة الأبنية التالية : فَعَل ، فِعَل ، فَعِل ، فُعَل ، فَعُل .

(*) تكرر كل من : " ريح وعيس " مرتين ، ودين ثلاث مرات .

(1) اعتبر سيبويه كلمة " جوع " من المصادر التي تأتي أفعالها مضمرة ، انظر الكتاب ، ج 1 / 311 . وانظر أيضا لابن الانباري ، الانصاف في مسائل الخلاف ، ج 1 / 241 .

1 ـ فعـــل

دلّ بناء فعل على المعاني الصرفية الآتية :

أ ـ بناء فعل مصدر غير مصحوب بفعله [1] : عذل (239 ـ 3) ـ ندم (240 ـ 4) ـ عمل (240 ـ 7) ـ سغب (240 ـ 11) ـ شمم (240 ـ 12) ـ بلل (242 ـ 14) ـ تسم (243 ـ 10) ـ حرب (244 ـ 13) ـ ورم (240 ـ 10) ـ ضرم (242 ـ 14) ـ هرب (243 ـ 5) ـ هرم (239 ـ 9) ـ كرم (241 ـ 4) ـ شرف (242 ـ 5) ـ ترف (242 ـ 5) ـ سقم (239 ـ 2) ـ ألم (239 ـ 4) ـ ورم (240 ـ 10) ـ أسف (242 ـ 12) ـ وخم (246 ـ 15) ـ سأم (245 ـ 1) ـ سدم (242 ـ 12) ـ رمد (245 ـ 7) ـ عدم (240 ـ 14) ـ مدد (244 ـ 15) ـ فرق (247 ـ 5) ـ صمم (239 ـ 7) .

الملاحظ على هذه المصادر أن أغلبها دلّ على الأدواء وما شاكلها .

ب ـ بناء فعل صفة الفاعل : حكم (240 ـ 6) : مكرر مرتين ، بمعنى حاكم .

ج ـ بناء فعل جمع تكسير : نسم (241 ـ 7) ـ خدم (245 ـ 12) ـ أجم (247 ـ 8) ـ أكم (243 ـ 7) ـ أدم (240 ـ 11) ـ عنم (239 ـ 3) ـ صدف (242 ـ 7) ـ

---

(1) تكررت المصادر : " كرم " أربع مرات ، وكل من : " ندم ، يشرف ، وسقم " مرتين .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
	نسم	فعلة	نسمة
	خدم	فاعل	خادم
	أجم	فعلة	أجمة
	أكم	فعلة	أكمة
	آدم	فعيل	أديم
	عنم	فعلة	عنمة
	صدف	فعلة	صدفة

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه ، إذ ما جاء منه على زنة فعلة ينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) ، وما جاء منه على زنة : " فاعل " ، "فعيل" ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) . غير أن الصيغتين الأخيرتين متفقتان مع بناء جمعهما من حيث عدد المقاطع ، مختلفتان عنه في نوع المقطع الأول والأخير .

د ـ بناء فعل جمع لا واحد له[1] : غنم ، عجم ، حشم :

ـ " راعت قلوب العدا أبناء بعثته ∴ كنبأة أجفلت غفلا من الغنم " .(246)

ـ " محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم " .(240)

ـ " كأنه وهو فرد من جلالته ∴ في عسكر حين تلقاه وفي حشم " .(242)

---

(1) انظر المزهر في علوم اللغة ، جـ2/ 139 ، وانظر كلمة " حشم " الفيصل في ألوان الجموع ، لعباس أبو سعود ، ص 275 .

هـ ـ بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية[1] : ذهب (240 ـ 12) ـ بشر (242 ـ 1) ـ صنم (243 ـ 3) ـ حرم (245 ـ 10) ـ وضم (246 ـ 6) ـ قلم (243 ـ 11) ـ نغم (249 ـ 1) ـ قدم (243 ـ 7) ـ طلل (239+1) ـ علم (239 ـ 1) ـ لقم (243 ـ 3) ـ سلم (244 ـ 13) ـ قمر (243 ـ 10) ـ لمم (244 ـ 3) ـ نعم (247 ـ 12) ـ رخم (246 ـ 7) ـ كتم (239 ـ 11) ـ ثقل (240 ـ 15) ـ أمم (241 ـ 15) .

2 ـ فِعَـل

تـوزّع بنـاء فعـل حسـب الوظـائـف الصرفيـة التاليـة :

أ ـ بناء فعل فعل مصدر غير مصحوب بفعله[2] : عظام ، تدم ، شبح ، صفة :

ـ " وانسب إلى ذاته ماشئت من شرف ∴ وانسب إلى قدره ماشئت من عظم " (241).

ـ " آيات حق من الرحمن محدثة ∴ قديمة صفة الموصوف بالقدم " (244).

ـ " واخش الدسائس من جوع ومن شبع ∴ فرب مخمصة شر من التخم " (240).

ب ـ بناء فعل اسم علم[3] = إضم ، إرم :

ـ " أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم " (233).

ـ " لم تغترر بزمان وهي تخبرنا ∴ عن العاد وعن عاد ، وعن إرم " (244).

ج ـ بناء فعل جمع تكسير : عصم (240 ـ 13) ـ ديم (241 ـ 5) ـ حكم (241 ـ 6) ـ همم (242 ـ 5) ـ نقم (242 ـ 10) ـ شيم (244 ـ 9) ـ قيم (244 ـ 15) ـ نعم (246 ـ 2) ـ لمم (246 ـ 16) ـ خدم (247 ـ 12) ـ دمم (248 ـ 3) ـ قسم (248 ـ 13) .

---

(1) تكررت الأسماء : " علم " أربع مرات ، وكل من : " حرم ، لمم " مرتين ، وسلم ثلاث مرات .

(2) تكرر المصدر " عظم " مرتين .

(3) "قيل إرم اسم قبيلة أو اسم مدينة وهو لا ينصرف للتعريف والتأنيث " انظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج 1/ 155 .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعُل	عصم حكم رمم همم نقم لمم نعم	فُعلة	عصمة حكمة رمّة همّة نقمة لمّة نعمة
فُعَّل	خدم ذمم قسم	فُعلة	خدمة ذمّة قسمة
فُعل	ديم شيم قيم	فِيلة	ديمة شيمة قيمة

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع ، إذ ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) . غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق ، وطويل مفتوح .

3 — فَعِـــل

دلّ هـذا البنـاء علـى الوظـائف الصـوفيـة الآتيـة :

أ — بناء فعل صفة مبالغ فيها للفاعل : نـهم ، فـهـم ، قرم ، خصـم ، جـدل :

— " فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة النهم ". (239)

— " لا تعجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم ". (245)

— " كأنما الدين ضيف حلّ ساحتهم ∴ بكل قرم إلى لحم العدا قـرم ". (246)

— " كم جدّلت كلمات الله من جدل ∴ فيه وكم خصم البرهان من خصم ". (247)

بناء فعل صفة مشبهة بالفاعل تفيد الكثرة والمبالغة ، فالنّهم الشديد الشهـوة إلى الطعام ، والفهم الشديد الإدراك ، والقرم الشديد الاشتهاء إلى اللحـم ، والخصم الشديد الخصومة ، والجدل الكثير الجدال .

ب — بناء فعل صفة لازمة للفاعل : شبـم ، عـرم ، هـرم (*) ، وصـب ، أرب :

— " إن تتلها خيفة من حر نار لظى ∴ أطفأت نار لظى من ورد ها الشبم ". (245)

— " بحار جاد أو خلت البطاح بها ∴ سيب من اليم أو سيل من العرم ". (244)

— " ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت ∴ يدا زهير بما أثنى على هـرم ". (248)

— " كم أبرأت وصبا باللمس راحتـه ∴ وأطلقت أربا من ربقة اللمـم ". (244)

ج — بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية = أرم (243 — 12) — رحم (246 — 12) ، وهـو بمعنى القـرابـة . عـمـم (243 — 9) .

(*) هذا البناء اسم علم وهو في الأصل صفة من الهـرم سمي بذلـك علـى سبيـل التفـاؤل .

د ـ بناء فعل جمع تكسير : كلم (242 ـ 15) . مفرده كلمة على زنة فعلة . تختلف عن بناء الجمع ، إذ تنتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة)

4 ـ فُعَّل

لم يرد بناء فعل في البردة إلا جمع تكسير : تهم (239 ـ 3) ـ تخم (240 ـ 3) ـ شبه (244 ـ 12) ـ صمم (245 ـ 4) ـ رتب (246 ـ 4) ـ بهم (247 ـ 5) ـ أمم (246 ـ 4) ـ الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
[illegible]	تهم تخم شبه ظلم رتب أمم بهم	[illegible]	تهمة تخمة شبهة ظلمة رتبة أمة بهمة
فعل	حمم	فعلة	حممة

نلاحظ أن أبنية مفردات الجموع تنتمي إلى نمطين مقطعيين أحدهما مخالف للنمط الذي ينتمي إليه بناء الجمع ، والآخر مشابه له . أما بناء " فعلة " فينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) . غير أن بناء المفرد يختلف عن بناء الجمع في نوع المقطع الأول . وأما بناء " فعلة " فينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة .

5 ـ فعـــل

توزّع حسب الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فعل مصدر(*) : حلم (241 ـ 16) ـ يتم (247 ـ 10) .

ب ـ بناء فعل اسم علم : أحمد

ـ "وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا ∴ فصول حتف أدهى من الوخم" (246)

ج ـ بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية : عتم (240 ـ 7) ـ خلق (241 ـ 4) (**)

بعد (241 ـ 15) (***)

د ـ بناء فعل جمع تكسير :

لجم (241 ـ 16) ـ أطم (243 ـ 14) ـ دهم (243 ـ 14) ـ حرم (246 ـ 12) ـ

حزم (247 ـ 4) ـ شهب (243 ـ 3) .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعَل	أطم	فَعْلة	أَطَمة
	دهم	أفعل	أدهم
	لجم	فِعَال	لجام
	حرم	فِعَال	حرام
	حزم	فِعَال	حزام
	شهب	فِعَال	شهاب

(*) ضم عين " حلم " لغات . وضم عين " يتم " ضرورة اقتضاء الوزن ، إذ أصلها التسكين .

(**) تكرر مرتين .

(***) ضم عين " بعد " ضرورة اقتضاء الوزن ، وأصلها التسكين .

نلاحظ أن أبنية مفردات الجموع تنتمي إلى نمطين مقطعيين مختلفين ، أحدهما مخالف للنمط الذي ينتمي إليه بناء الجمع ، والآخر مشابه له . أما بناءا : أفعل وفِعال فينتميان إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) ، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع . غير أنهما يختلفان عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق ، والأخير الذي هو مفرق في الطول (م ص ص م) . وأما بناء " فعلة" فينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) .

الصورة الثانية : | م ص + م ص ص |

تشمل هذه الصورة الأبنية التالية : فعا ، فِعا ، فعي .

أ ـ فعا : (فعَل)

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية الآتية :

1 ـ بناء فعا مصدر : ضنى (239 ـ 3) ـ هوى (239 ـ 15)(*) ـ ندى (243 ـ 16) .

دلت الكلمتان : " ضنى وهوى " على الأدواء وما شاكلها ، ودلت كلمة ندى على الجود .

2 ـ بناء فعا اسم علم = لظى(1) .

" إن تتلها خيفة من حرّ نار لظى أطفأت نار لظى من ورد ها الشبم " (245 ـ 3)

3 ـ بناء فعا اسم ليس له وظيفة صرفية :

قنا (247 ـ 6) ـ حيا (243 ـ 7) ـ صبا (249 ـ 1) ـ ورى (241 ـ 14)

4 ـ بناء فعا جمع تكسير : حصى (243 ـ 5) . مفرده حصاة على زنة فعال (**) ، تنتمي إلى النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع غير أنها تختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو مفرق في الطول (م ص ص م) في بناء المفرد ، وطويل مفتوح (م ص ص) في بناء الجمع .

(*) تكرر ثلاث مرات

(1) ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث .

(**) وزنها الصرفي فَعَلة

ب ـ فِعَـا : (فِعَـل)

بناء فعا دال على الوظائف الصرفية التالية :

1 ـ بناء فعا مصدر :

غنى (243 ـ 16) ـ قوى (239 ـ 10)

2 ـ بناء فعا اسم ليس له وظيفة صرفية .

صبا (247 ـ 13) .

3 ـ بناء فعا جمع تكسير :

عدا (246 ـ 16) . مفرده عدو .

ج ـ فَعِي : (فعيل)

لم يرد هذا البناء إلا في موضع واحد . وجاء اسما ليس له وظيفة صرفية :

كمي . أصله كميّ خفف للوزن .

" تهدى إليك رياح النصر نشرهم ∴ فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي " (247 ـ 3)

الصورة الثالثة : م ص + م ص ص م

تشمل هذه الصورة الأبنية الآتية ، فَعِيل . فَعُول ، فِعَال ، فَعُول ، فَعَال ، فَعَال .

أ ـ فَعِيل

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية :

1 ـ صفة لازمة للفاعل[1] :

" كريم " ضد لئيم ، " حبيب " ضد قبيح :

" ولن يضيق رسول الله جاهك به ∴ إذا الكريم تحلّى باسم منتقم " (243)

" فهو الذي تمّ معناه وصورته ∴ ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم " (241)

---

(1) انظر حول هذا المعنى ، سيبويه ، الكتاب ، ج 1/ 194 وما بعدها .

وفخر الدين قباوة تصريف الأسماء والأفعال ، ص 167 وما بعدها .

و د . مبارك مبارك ، قواعد اللغة العربية ص 78 وما بعدها .

2 ـ صفة للفاعل

نصيح بمعنى ناصح ، مديح بمعنى مادح ، نذير بمعنى منذر ، شريك بمعنى مشارك :

ـ "إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم" (239)

ـ "فما تطاول آمال المديح إلى ∴ ما فيه من كرم الأخلاق والشيم" (244)

ـ "فإن أمّا رقي بالسوء ما اتعظت ∴ من جهلها بنذير الشيب والهرم" (239)

ـ "منزه عن شريك في محاسنه ∴ فجوهر الحسن فيه غير منقسم" (241)

3 ـ صفة للمفعول ،

حبيب بمعنى محبوب ، هجير بمعنى مهجور :

ـ "مثل الحمامة أني سار سائرة ∴ تقيه حرّ وطيس للهجير حمي" (243)

وشبيه بهذا : وطيس (243 ـ 9) ـ طريق (243 ـ 4) ـ خميس (246 ـ 11) .

ب ـ فعُول

ارتبط هذا البناء بوظائف صرفية ، توزّعت كما يلي :

1 ـ بناء فعول مصدر غير مصحوب بفعله : دنو (245 ـ 14) ـ بلوغ (241 ـ 1) ـ ظهور (244 ـ 6) .

2 ـ بناء فعول جمع تكسير : عدول (239 ـ 2) ـ عقول (241 ـ 13) ـ فروع (243 ـ 8) ـ دروع (243 ـ 14) ـ وجوه (245 ـ 4) ـ عيون (245 ـ 16) ـ قلوب (246 ـ 5) ـ فصول (246 ـ 15) (*) ذنوب (247 ـ 11) ـ علوم (248 ـ 11) ـ . الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد .

(*) مكرر مرتين .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعُول	عدول	فَعْل	عدل
	فروع		فرع
	دروع		درع
	وجوه		وجه
	عيون		عين
	قلوب		قلب
	فصول		فصل
	ذنوب		ذنب
	علوم		علم

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه ، إذ ينتمي إلى النمط الأول أبنية ذات مقطع واحد) .

ج — فِعَال

ارتبط بناء فعال بالوظائف الصرفية الآتية :

أ — بناء فعال مصدر : جماح (*) ، فرار ، جوار ، شقاق .

— " من لي برد جماح من غوايتها ∴ كما يرد جماح الخيل باللجم

— " ردوا الفرار فكادوا يغبطون به ∴ أشلاء شالت مع العقبان والرخم " . (246)

— " ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا وبلت جوارا منه لم يضم " . (243)

— " محكمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم " . (244)

(*) مكرر مرتين .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعُول	عدول	فَعْل	عدل
	فروع		فرع
	دروع		درع
	وجوه		وجه
	عيون		عين
	قلوب		قلب
	فصول		فصل
	ذنوب		ذنب
	علوم		علم

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه ، إذ ينتمي إلى النمط الأول أبنية ذات مقطع واحد).

ج — فِعَال

ارتبط بناء فعال بالوظائف الصرفية الآتية :

أ — بناء فعال مصدر : جماح (*) ، فرار ، جوار ، شقاق .

— " من لي برد جماح من غوايتها ∴ كما يرد جماح الخيل باللجم

— " ودوا الفرار فكادوا يغبطون به ∴ أشلاء شالت مع العقبان والرخم " . (246)

— " ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا ونلت جوارا منه لم يضم " . (243)

— " محكمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم " . (244)

(+) مكرر مرتين .

المصدران : جماح ، وفرار دالان على الامتناع . والمصدر جوار مرتبط بدلالة فعله : " جاور " الذي يدل على المشاركة .

ب ـ بناء فعال اسم ليس له وظيفة صوفية : صراط (245 ـ 5)(*)

د ـ بناء فعال جمع تكسير .

كرام (242 ـ 2) ـ بطاح (244 ـ 5) ـ جبال (246 ـ 14) ـ رياح (247 ـ 3) ـ طباق (245 ـ 13) . الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعال	بطاح	فَعلاء	بطحاء
	كرام	فعيل	كريم
	جبال	فَعَل	جبل
	رياح	فيل(**)	ريح
	طباق	فَعَل	طبق

نلاحظ أن مفردات الجموع المذكورة تنتمي إلى أبنية متنوعة يتشابه بعضها من حيث عدد المقاطع ، ويختلف الآخر . فمثلا بناء فيل يمثل الصورة الثانية من النمط الأول (مقطع مفرق في الطول) . وبناء فعيل يمثل الصورة الثالثة (م ص ص م) من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع المذكور فعال (م ص + م ص ص م) . أما بناء فعل فيمثل الصورة الأولى (م ص + م ص م) من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع .

(+) كلمة من أصل لاتيني : سراط ، صراط :(strata) ، انظر الأب رفائيل نخله اليسوعي ، غرائب اللغة العربية ، ص 278 .

(++) وزنه الصرفي فِعَل .

غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق . وأما بناء فعلاء فمتفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع ، ومختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق .

د ـ فَعُول .

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية الآتية :

أ ـ بناء فعول صيغة للمبالغة[1] : غيور ، حسود :

ـ " ردت بلاغتها دعوى معارضها .: ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم " . (244)

ـ " لا تعجبن لحسود راح ينكرها .: تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم " . (245)

ب ـ بناء فعول صفة لازمة للموصوف : عدو :

ـ " ولن ترى من ولي غير منتصر .: به ولا من عدو غير منتقم " . (247)

ج ـ بناء فعول صفة للمفعول : رسول(*) بمعنى مرسل :

ـ " ومن تكن برسول نصرته .: إن تلقه الأسد في آجامها تجم " . (247)

هـ ـ فَعَال .

دلّ هذا البناء على الوظائف الصرفية التالية :

أ ـ بناء فعال مصدر : رضاع (239 ـ 14) ـ فخار (246 ـ 1) .

ب ـ بناء فعال اسم يدل على الجمع : طعام (239 ـ 13) .

---

(1) حول هذه الصيغة ، انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 6 / 70 . وعبد الراجحي ، التطبيق الصرفي ، ص 77 وما بعدها . ومقال إبراهيم أنيس الذي أشار فيه إلى أن هذه الصيغة بدأ يقل استعمالها عند الأدباء في الوقت الحاضر ، مقابل كثرة دوران صيغة " فعّال " على ألسنة المتكلمين ، الظرفي القياس اللغوي ، صيغة فعيل ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء (13) ، ص 32 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1965 .

(*) مكرر مرتين .

ج — بناء فعال اسم ليس له وظيفة صوفية .

بهار (239 — 3) — ظلام (240 — 10) .

و — فَعَّال : (فَعَلَّة)

ورد بناء فعال جمع تكسير في الأبنية : وشاة (239 — 6) — عصاه (245 — 4)

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعال	وشاة عصاة	فاعي فاعي	واشي (*) عاصي

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه في عدد المقاطع : إذ ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) . غير أنه مختلف عنه في نوع المقطع الأوّل والأخير اللذين هنا طويلان مفتوحان (م ص ص) .

الصورة الرابعة : م ص ص + م ص م

تمثلت هذه الصورة في صيغة (فاعل) التي توزّعت حسب الوظائف الصرفية الآتية :

— بناء فاعل صفة للفاعل .

آمر (241 — 1) — صاحب (245 — 13) — لائم (239 — 5) — ناطق (241 — 11) —

قارىء (245 — 2) — آخذ (248 — 4) — كاتب (247 — 1) — بارىء (241 — 7) —

كاهن (243 — 2) — آجل (248 — 1) — عاجل (248 — 1) — واقف (241 — 6) —

وارد (242 — 13) — عارض (244 — 5) — حاذق (245 — 6) — حادث (243 — 4) —

دارس (241 — 12) .

(+) لم تخفّف الكلمة حفاظا على المقطع الطويل المفتوح .

الصورة الخامسة : م ص ص + م ص ص

تمثلت هذه الصورة في صيغة (فاعي(*)، التي دلت على صفة الفاعل :
ناهي (241 — 1) — ساهي (24 — 12) — راجي (243 — 5) — حادي (249 — 1)(**)
داعي (246 — 4) — جاني (244 — 14) — عافي (245 — 9) — شاكي (247 — 2) .

الصورة السادسة : م ص م + م ص ص

تشمل هذه الصورة الأبنية : فَعْلَى ، فُعْلَى ، فِعْلَى ، مَفْعَى

أ — فَعْلَى

ورد بناء فعلى مصدرا : دعوى :

—" ردّت بلاغتها دعوى معارضها ∴ رد الغيور يد الجاني عن الحرم(244)".

ب — فُعْلَى

من معاني فعلى

1 — صفة للتفضيل (1) : عظمى مؤنث أعظم ، وكبرى مؤنث أكبر :

—" ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ∴ ومن هو النعمة العظمى لمغتنم(245)".

2 — اسم غلب على الصفة : دنيا (240 — 14) مؤنث أدنى

3 — اسم ليس له وظيفة صرفية : رؤيا (243 — 17) .

ج — فِعْلَى :

ورد هذا البناء اسم علم : كسرى (242 — 11)(***)

(*) وزنها الصرفي (فاعل) وقد حافظنا على الياء في آخر الكلمة لإبراز المقطع الأخير .

(**) يقول الصرفيون حصل في كلمة " حادي " قلب مكاني ، "ووزنها " عالف " .

(1) حول هذا المعنى ، انظر المبرد ، المقتضب ، ج 1/ 168 .

(***) مكرر مرتين . ولفظة كسرى كلمة أجنبية ، أصلها (فارسي)

د ـ أفعى : (1) (أفعـــل)

بناء أفعى صفة للتفضيل : أعدى (244 ـ 13) ـ أدهى (246 ـ 15) ـ أوفى (248 ـ 3)

هـ ـ مفعـى : (مفعَـل)

تـوزّع حسـب الوظـائـف الصرفيـة الآتيـة

أ ـ اسم مكان : مـرعى (240 ـ 1) ـ مرقى (245 ـ 14) .

ب ـ اسم ليس له وظيفـة صرفيـة : معنى (241 ـ 7) (*)

و ـ مُفعِـى = مُفعِـل

ورد هـذا البنـاء صفـة للفـاعـل : " ملقي(**) " :

ـ " ما حوربت قط إلا عاد من حرب ∴ أعدى الأعادي إليها ملقي السلم " (244)

الصـورة السـابعـة : | م ص م + م ص م |

تمثلت هذه الصورة في الصيغ الآتية : فَعْلَـة ، فُعْلَة ، أَفْعَل ، أَفْعُل ، فَيعل ، فَعْلل ، مَفعَل ، مَفعِل ، مُفعِل ، مُفعَل ، مِفعَل .

1 ـ فَعلَـة

تـوزّع حسـب الوظـائف الصرفيـة التاليـة :

أ ـ اسم للدّلالة على المرة : عبـرة ، زلّـة :

ـ " وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى ∴ مثل البهار على خديك والعنم " (239)

ـ " يانفس لا تقنطي من زلة عظمت ∴ إن الكبائر في الغفران كاللمم " (243)

ـ " ان لم يكن في معادي آخذا بيدي ∴ فضلا وإلا فقل يازلة القدم " (243)

2 ـ فعلـة

دلّ على ما يلي :

أ ـ بناء فعلة مصدر للدّلالة على هيئة الحدث .

---

(1) وزنه أفعل ، انظر ، أبي علي القالي ، كتاب أفعل .

(*) مكرر ثلاث مرات

(**) لم نهتم بالتخفيف والحركة الإعرابية لتحقيق الوزن المقطعي .

" حمية " ، " نسبة " ، " ربقة " ، " نعمة " ، " شدة "

—" واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ∴ من المحارم وألزم حمية الندم "(240)

—" أقسمت بالقمر المنشق إن له ∴ من قلبه نسبة مبرورة القسم "(243)

—" كم أبرأت وصبا باللمس راحته ∴ وأطلقت أربا من ربقة اللمم "(244)

—" ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ∴ ومن هو النعمة العظمى لمغتنم "(245)

—" كأنهم في ظهور الخيل ، بت ربا ∴ من شدة الحزم لا من شدة الحزم "(247)

ب — بناء فعله اسم ليس له وظيفة صرفية ملّة (245 — 9) — ذمّة (243 — 3) .

3 — فَعلَه

ورد بناء فعله اسما ليس له وظيفة صرفية : مقلة ، نقطة :

—" أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم "(239)

—" وواقفون لديه عند حدّهم ∴ من نقطة العلم أو من شكلة الحكم "(241)

4 — أفعَل (1)

بناء أفعل صفة للتفضيل : أكرم (246 — 4) (*) — أبعد (239 — 3) .

5 — أفعُل

بناء أفعل جمع تكسير : أعظم (242 — 3) — أعصر (244 — 4) — أينق (245 — 3) . الجدل الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
أفعُل	أعظم	فعل	عظم
	أعصر	فعل	عصر
	أينق (2)	فالة (3)	ناقة

(1) انظر أبي علي التالي ، كتاب أفعل ، ت محمد بن عاشور (د . ت) .
(*) مكرر ثلاث مرات .
(2) اعتمدنا على وزنها الظاهر اجتنابا لاعتبارات قد لا يتسع لها بحثنا .
(3) وزنها فعلة .

أبنية مفردات الجموع متنوعة . فمثلا " فعل " ينتمي إلى النمط الأول (أبنية ذات مقطع واحد) . وبناء " فالة " ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع ، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مفتوح .

6 ـ فَيْعَل (1)

جاء هذا البناء صفة لازمة الثبوت للفاعل : سيّد . من الفعل ساد يسود فهو سيّد .

ـ " محمد سيّد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم (240)

7 ـ فعلل

ورد هذا البناء اسما مكررا مرتين : جوهر (241 ـ 3) (*)

8 ـ مفعَل

توزّع حسب الوظائف الصرفية الآتية :

أ ـ مصدر ميمي = مبلغ (242 ـ 1) .

ب ـ اسم دال على الجمع : محشر (246 ـ 3)

9 ـ مفعِل

دلّ على الوظائف الصرفية التالية

أ ـ اسم مكان = منطق :

ـ " كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف .: من محدثي منطق منه ومبتسم (242) ".

ب ـ اسم زمان : مولد :

ـ " أبان مولده عن طيب عنصره .: ياطيب مبتدا منه ومختتم (242) ".

ج ـ جمع لا واحد له : موكب :

ـ " وأنت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم (245) "

---

(1) انظر حول هذه الصيغة ، الشيخ الرضي ، شرح الشافية ، ج 1/143 ـ 151 . وأحمد الحملاوي ، كتاب شذا العرف في فن الصرف ط 16 ، ص 79 ، مصر 1965 .

(*) كلمة فارسية ، انظر ، الأب اليسوعي ، غرائب اللغة العربية ، ص 224 .

10 ـ مفعِـــل

ورد هـذا البنـاء صفـة للفاعـل : مصـدر :

ـ": المصدري البيض حمرا بعد ما وردت ∴ من العدا كل مسود من اللّمم(245)".

11 ـ مفعَـــل

بنـاء مفعـل صفـة للمفعول(1) : مفـرد/متـرف

ـ": خفضت كل مقام بالإضافـة إذ ∴ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم(245)".

ـ": وشدّ من سغب أحشاءه وطوى ∴ تحت الحجارة كشحا مترف الأدم(240)".

الصـورة الثامنـة : | م ص ص + م ص ص م |

تشمـل هـذه الصـورة الأبنيـة : فيعـال ، ميعـال .

1 ـ فيعـال = (فِعّـلان)

دلّ هـذا البنـاء على الوظائف الصرفيـة الآتيـة :

أ ـ بنـاء فيعـال جمـع تكسيـر : جيـران :

ـ": أمن تذكر جيران بـذل سلـم ∴ مزجت دمعا جرى من مـقـلة بدم(238)".

مفرده جار على زنة " فال " مختلف عن بناء جمعه ، إذ ينتمي إلى النمط الأوّل (أبنيـة ذات مقطـع واحـد)

ب ـ بنـاء فيعـال اسـم : إيـوان(242 ـ 12)(*).

2 ـ ميعـال : (مفعـال)

ورد هـذا البناء اسم آلـة : ميـزان مـن الفعـل وزن .

ـ": وكـالصراط وكـالميزان معدلـة ∴ فالقسط من غيرها في الناس لم يقم(245).

---

(1) حول هذا المعنى انظر ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، ج 1 / 79 . ومحمد الأنطاكي المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، ج 1 / 237 .

(*) إيـوان : e vān ، كلمة فارسية ، وهي : " مكان متسع من بيت يحيط به ثلاثة حيطان " ، انظر الأب اليسوعي ، غرائب اللغة العربية ، ص 217 .

الصورة التاسعة : | م ص م + م ص ص م |

تمثّل هذه الصورة الأبنية الصرفية التالية : أفعال ، فعّال ، إفعال فعلات ، فعلاء ، تفعيل ، فعلان فعلان ، فِعلان ، فِعيل ، مِفعال ، مَفعول .

1 — أفعال

توزّع بناء أفعال حسب الوظائف الصرفية الآتية :

أ — بناء أفعال جمع جمع : أشجار (243 — 7) — أزهار (243 — 7) .

الجدول يوضح علاقة بنائهما بالمفرد .

جمع الجموع		الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال	البناء	المثال
أفعال	أشجار أزهار	فِعل	شجر زهر	فَعلة فَعلة	شجرة زهرة

نلاحظ أن أبنية المفردات متنوعة من حيث عدد المقاطع ، إذ منها ما يشبه بناء الجمع ، ومنها ما هو مختلف عنه . فمثلا بناء فَعلة ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات ذات مقطعين) ، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع . غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق . أما بناء فَعلة فينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة .

ب — بناء أفعال جمع تكسير :

أهزل (241 — 2) — أنوار (242 — 3) — أصحاب (242 — 11) — أقوام (243 — 2) —

أبطال (243 — 5)(*) — أحشاء (243 — 3) — أخلاق (244 — 3) — أشلاء (246 — 7)

(*) مكرر مرتين .

أقلام (247 ـ 1) ـ أكمام (247 ـ 3) ـ أشبال (247 ـ 6) ـ أنفاس (242 ـ 12) ـ

أنباء (246 ـ 5) ـ أفكار (248 ـ 6) .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد .

(1)

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
أفعال	أهوال	فَعْل	هول
	أصحاب	" "	صحب (1)
	أقوام	" "	قوم (2)
	أشلاء	فِعْل	شلو
	أشبال	" "	شبل
	أفكار	" "	فكر

(1) المثال في المفرد . جمع صاحب انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة صحب

(2) المثال في المفرد جمع لا واحد له من لفظه ، لكن يقدر له واحد من معناه كلفظة رجل مثلا ، انظر عباس أبو السعود ، الفيصل في ألوان الجموع ، ص 111 .

— 2 —

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فَعْل	أبطال أفلام أنفاس أنباء	فَعْل	بطل قلم نفس نبأ
	أكمام	فِعَل	كِمّ
	أخلاق	فُعُل	خُلُق
	أحشاء	فَعَا (1)	حَشَا
	أنوار	فَوْل (2)	نَور

نلاحظ أن مفردات المجموع المذكورة تنتمي إلى أبنية متنوعة قد تتشابه من حيث عدد المقاطع، وقد تختلف . فمثلا بناء : " فَعَل ، فِعَل " ينتمي إلى الصورة الاولى من النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد) ، وبناء " فول " ينتمي إلى الصورة الثانية من النمط المذكور . أما بناء : " فَعَل ، فِعَل ، فُعَل " فينتمي إلى الصورة الأولى من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع . غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع التي هي : " م ص + م ص م " . وأما بناء " فعا " فينتمي إلى الصورة الثانية من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) .

(1) وزنها الصرفي (فَعَل)

(2) وزنها الصرفي (فَعْل)

2ـ فُعّـــال .

ورد هذا البناء جمع تكسير في الأبنية : عذال (239 ـ 7) ـ كفّار (243 ـ 11) ـ

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائهما بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعّال	عذّال كفّار	فاعل فاعل	عاذل كافر

ينتمي بناء المفرد " فاعل " إلى الصورة الرابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) ، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع التي هي : (م ص ص + م ص ص) .

3ـ إفعال

بناء إفعال مصدر غير مصحوب بفعله :

إعلان (243 ـ 1) ـ إنذار (243 ـ 2) ـ إسلام (246 ـ 3) ـ إدراك (246 ـ 2) (*) ـ

إكثار (245 ـ 1) .

4ـ فعلات .

بناء فعلات جمع المؤنث السالم : لذّات :

ـ " نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني والحب يعترض اللذات بالألم " (239 1)

مفرده لذّة على زنة فعلة ، متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع ، ومختلف عنه في نوع المقطع الأخير ، إذ هو طويل مغلق .

(*) مكرر مرتين .

5 ـ فعـــلاء .

بناء فعلاء صفة للمؤنث بالألف الممدودة : ظلماء ، شهباء :

ـ "أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم (233)

ـ "وأحيت السنة الشّهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدّهم (244)

6 ـ تفعيـــل .

بناء تفعيل مصدر ، والفعل منه على بناء " فعّل " .

تقديم تأديب =

ـ "وقدّمتك جميع الأنبياء بها والرّسل تقديم مخدوم على خدم (245)

ـ "كفاك بالعلم في الأمّي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم (247)

المصدر تقديم مصحوب بفعله : "قدّم" يفيد المبالغة والتعظيم ، والمصدر تأديب من (الفعل أدّب للتأكيد على أن الرسول (ص) جعله الله مؤدبا .

7 ـ فعـــلان

هذا البناء دال على الوظائف الصرفية الآتية

أ ـ مصدر غير مصحوب بفعله : غفران . دل على الستر والعفو

ـ "يانفس لا تقنطي من زلة عظمت ان الكبائر في الغفران كاللمم (243)

ب ـ اسم ليس له وظيفة صرفية : برهان (247 ـ 9) (*)

8 ـ فعـــلان .

توزّع كما يلي :

أ ـ بناء فعلان صفة : رحمان . وهو كثير الرحمة ، وصف مقصور على الله عزّ وجل .

ـ "آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم (244)

ب ـ بناء فعلان اسم ليس له وظيفة صرفية : شيطان (240 ـ 5) (**)

9 ـ فعـــلان

تمثل بناء فعلان في الوظائف الصرفية الآتية :

(*) كلمة فارسيّة

(**) مأخوذ من العبرية ومعناه المارد ، وقيل الظالم .

الصورة العاشرة : م ص ص + م ص ص م

تمثّل هذه الصورة الأبنية : " آفال " ، " آفات "

1ـ آفال : (أفعال)

بناء آفال جمع تكسير : آجام (247 ـ 6) ـ آمال (244 ـ 3) ـ آثام (247 ـ 13) .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فَعْل	آجام آمال آثام	فَعَلَة فَعَل فِعْل	أجمة أمل إثم

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه ، إذ بناء فَعَلَة ينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) ، وبناء فِعْل ينتمي إلى الصورة الأولى من النمط الأول (أبنية ذات مقطع واحد) . غير أن بناء فِعَل متفق معه من حيث عدد المقاطع ، ومختلف معه في أنواعها .

2ـ آفات = (فَعَلات)

ورد هذا البناء جمع مؤنث سالم : آيات (245 ـ 6) (*)

مفرده آية على زنة " فالة " (1) متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع ومختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مفتوح .

(+) مكرر مرتين .

(1) وزنه : فَعَلَة .

النمط الثالث — أبنية ذات مقاطع ثلاثة

الصورة الأولى : م ص ص + م ص + م ص م

تمثلت هذه الصورة في بناء " فاعله " .

من وظائفها الصرفية .

أ — صفة للفاعل المؤنث : سائمة (240 — 1) . المذكر : سائم ، قاتلة (240 — 1)

المذكر = قاتل ، ساطحة (242 — 15) المذكر : ساطح .

ساجدة (243 — 7) المذكر : ساجد ، سائرة (243 — 9) المذكر : سائر ،

خادمة (242 — 12) المذكر : خامد ، بارقة (243 — 1) المذكر : بارق

سابحة (246 — 10) المذكر : سابح .

ب — اسم علم (1) = كاظمة (*)

— " أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم " . (238)

ج — اسم ليس له وظيفة صرفية : نافلة . وقد يكون اسم فاعل على المجاز بمعنى الزائدة :

— " ولا تزودت قبل الموت نافلة ∴ ولم أصل سوى فرض ولم أصم " . (240)

الصورة الثانية : م ص + م ص ص + م ص م

تضم هذه الصورة الأبنية : فَعَالة ، فِعَالة ، فَعُولة ، فَعِيلة ، فعائل ، فواعل ، تَفَاعُل ، تَفَاعِل ، مَفَاعِل .

1 — فَعَالة

هذا البناء تنوّعت وظائفه الصرفية كالآتي :

---

(1) موضع بقرب المدينة المنورة ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 / 431 .

(*) انظر معانيها فصل الدراسة النحوية ، ص 163 .

أ ـ بناء فعالة مصدر في الصيغ : غواية (239 ـ 12) ـ شفاعة (241 ـ 2) ـ جلالة (242 ـ 6) ـ بلاغة (244 ـ 14)

ب ـ بناء فعالة اسم ليس له وظيفة صرفية : غمامة

ـ": مثل الغمامة أنّى سار سائرة ∴ تتبعه حرّ وطيس للهجير حمى" (243 ـ 9)

2 ـ فِعَالة (1)

بناء فعالة مصدر يدل على الحرفة وغير الحرفة : وقاية ، عناية ، تجارة :

ـ": وقاية الله أغنت عن مضاعفة ∴ من الدروع وعن عال من الأطم" (243).

ـ": بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ∴ من العناية ركنا غير منهدم" (246)

ـ": فيا خسارة نفس في تجارتها ∴ لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم" (247).

3 ـ فَعُولة

بناء فعولة اسم ليس له وظيفة صرفية : ضرورة (240 ـ 13) مكرر ثلاث مرات

4 ـ فَعِيلة

تمثل هذا البناء في الوظائف الصرفية الآتية :

أ ـ صفة لازمة للفاعل المؤنث (2) = قديمة (244 ـ 9). ضده حديث

ب ـ اسم ليس له وظيفة صرفية : (241 ـ 16) حقيقة .

5 ـ فَعَائِل .

بناء فعائل جمع تكسير في الأبنية = دسائس (240 ـ 3) ـ بشائر (243 ـ 1) عجائب (245 ـ 1) ـ كبائر (245 ـ) ـ مدائح (243 ـ 6).

---

(1) حول هذا المعنى انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 471 .

(2) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 473 .

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد

(1)

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعائل	دسائس عجائب كبائر	فعيلة	دسيسة عجيبة كبيرة

(2)

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعائل	بشائر	فعالة	بشارة
	مدائح	فعيل	مديح

بناء مفردات الجموع بعضه متشابه من حيث عددُ المقاطع، والبعض الآخر مختلف . فمثلا بناء : (فعيلة ، وفعّاله) ينتمي إلى الصورة الثانية من النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) ، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع . غير أن بناء فعيل منتمٍ إلى الصورة الثانية من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين ومختلف عنه .

6 — فواعل

هذا البناء جمع تكسير في الأبنية : كواكب(242 — 3) — عواقب(247 — 12) .

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فواعل	كواكب	فعلل	كوكب
	عواقب	فاعلة	عاقبة

نلاحظ أن مفردات الجموع المذكورة تنتمي إلى أبنية متنوعة ، فمثلا " فوعل " ينتمي إلى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) ، وبناء " فاعلة " ينتمي إلى الصورة الأولى من النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) ، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع . غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع .

7 ـ تفاعل

من وظائفه الصرفية وروده مصدرا في : تطاول (244 ـ 3) ، من الفعل تطاول ، وتجاهل من الفعل تجاهل وهو المعنى التظاهر[1] .

ـ " لا تعجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم " (245)

8 ـ مفاعل .

بناء دال على جمع التكسير في الأبنية : محارم (240 ـ 4) ـ مكارم (248 ـ 5) ـ محاسن (241 ـ 3) . الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

---

(1) حول هذا المعنى ، انظر المقتضب للمبرد ، جـ 1/ 78 ـ 79 . وعصام نور الدين ، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، ص 159 .

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
مفاعل	محارم	مَفْعَل	محرم
	مكارم	مَفْعَلة	مكرمة
	محاسن	فَعْل	حسن (1)

مفردات الجموع منتمية إلى أبنية متنوعه . فمثلا بناء فَعْل ينتمي إلى الصورة الأولى من النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد) . وبناء مفعل ينتمي إلى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) . وبناء " مفعلة " ينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) . غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع .

و ـ مَفَاعِل

بناء مفاعل صفة للدّلالة على معنى المشاركة(2) : مصارع ـ مصادم

ـ " ردّت بلاغتها دعوى معارضها ∴ رد الغيور يد الجاني عن الحرم " (244)

ـ " هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ∴ ماذا رأى منهم في كل مصطدم " (246)

الصورة الثالثة : | م ص + م ص ص + م ص ص |

تشمل هذه الصورة الأبنية : فعالي ـ مَفَاعِي

أ ـ فعالي

بناء فعالي جمع تكسير : ليالي (245 ـ 3) (مكرر مرتين) .

مفرده ليلة على زنة فعلة يختلف عن بناء جمعه ، إذ ينتمي إلى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)

---

(1) على خلاف القياس .

(2) انظر المبرد ، المقتضب ، ج 1 / 72 .

ب ـ مفاعي : (مفاعِل)

بناء مفاعي جمع تكسير : معاصي

ـ " فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة النهم " (239)

مفرده معصية على زنة مفعلة ، يختلف عن بناء جمعه ، إذ ينتمي إلى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)

الصورة الرابعة : | م ص + م ص م + م ص م |

تضم هذه الصورة الأبنية : مُفَعَّل ـ تَفَعَّل .

أ ـ مُفَعَّل

بناء مفعّل صفة للفاعل : مسبّح

ـ " نبذا به بعد تسبيح ببطنهما ∴ نبذ المسبّح من أحشاء ملتقم " (243)

ب ـ تَفَعَّل

هذا البناء مصدر غير مصحوب بفعله : تذكّره .

ـ " أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم " (236)

المصدر تذكّر من الفعل تذكّر يفيد التجدّد والكثرة .

الصورة الخامسة : | م ص م + م ص + م ص م |

تشمل هذه الصورة الأبنية الآتية : مَفْعَلة ، مَفْعِلة ، مُفْعَلة ، مُفْعِلة ، مُفْتَعِل ، مُنْفَعِل ، مُتَفَعِّل .

1 ـ مَفْعَلة .

بناء مفعلة مصدر ميمي = مخمصة .

ـ " واخش الدسائر من جوع ومن شبع ∴ قرب مخمصة شر من التخم " (240)

2 ـ مَفْعِلة

ارتبط هذا البناء بالوظائف الصرفية الآتية .

أ ـ مصدر ميمي : معذرة (239 ـ 5) ـ معدلة (245 ـ 5).

ب ـ اسم مكان : منزلة

ـ " وبتّ ترقى إلى ان نلت منزلة .:. من قاب قوسين لم تدرك ولم تروم " (245).

3 ـ مفعّلة .

بناء مفعلة صفة للمفعول المؤنث : محدثة .

ـ " آيات حق من الرحمن محدثة .:. قديمة صفة الموصوف بالقدم " (244).

4 ـ مُفعِلَة .

هذا البناء صفة للفاعل المؤنث : معجزة

ـ " دامت لدينا نفاقت كل معجزة .:. من النبيّين إذ جاءت ولم تدم " (244).

5 ـ مُفتَعِل

بناء مفتعل صفة الفاعل =

مضطرم (239 + 4) ـ مستتر (239 ـ 6) ـ محتشم (239 ـ 10) ـ ملتئم (242 ـ 11) ـ

ملتقم (242 ـ 6) ـ محتلم (244 ـ 1) ـ مصطلم (246 ـ 11) ـ ملتطم (246 ـ 10) ـ

محتسب (246 ـ 11) ـ ملتزم (248 ـ 6) . ملتمس (241 ـ 5) ـ ملتثم (242 ـ 8) ـ

مشتمل (242 ـ 4) ـ متسم (242 ـ 4) ـ معتبر (245 ـ 9) ـ مكتتم (245 ـ 16) ـ

مستلم (245 ـ 14) ـ مستبق (245 ـ 14) ـ مختتم (245 ـ 9) ـ منتظم (244 ـ 7) ـ

مكسور مرتين ـ منتصر (247 ـ 7) ـ منتشق (242 ـ 8) ـ منتدب (246 ـ 11) ـ

منتقم (248 ـ 10) ـ منتقض (248 ـ 2).

نلاحظ في هذا الاستخدام ظاهرة الانسجام بين أصوات الصيغ ، فالأبنية : مستتر ، محتلم ، محتشم ، محتسب ، مشتمل ، مكتتم ، مستلم ، مستبق ، فاء فعلها صوت مهموس ـ س ، ح ، ش ، ك ـ مصحوب بصوت يشبهه في صفة الهمس وهو تاء افتعل المذكور في الوزن .

أما الصيغتان : " مضطرم ، مصطلم " فبناؤها الأوّل مضترم ، مصتلم على زنة مفتعل ، لكن نظرا لاختلاف الصوتين : الضاد ، والصاد — وهما صوتان مطبقان مفخمان — عن تاء افتعل الذي هو صوت انفجاريّ مهموس موقف حدث تأثر تقدميّ [1]، إذ تأثر الصوت الثاني — التاء — بالصوت الأوّل فصار البناء في الصيغتين : " مضطرماء مصطلما " . هذا الإبدال والتغير حققا مبدأ الانسجام بين الأصوات في البناءين .

وأما صيغة " متّسم " ففاء فعلها التاء وهو صامت مهموس قد جاوره صوت مهموس من بني جنسه ، فحدث تأثر ، إذ تأثر الصامت الأوّل — التاء — بالثاني — تاء افتعل — تأثرا رجعيا آل إلى حد الفناء [2]، فغدا الصوتان في البناء صوتا واحدا . وهذا أقصى ما يصل إليه التأثر بين الأصوات [3] .

وأما بقية الصيغ فقد جمعت بين أصوات مختلفة في الصفات (الجهر والهمس) ، لم يحدث فيها تأثر ولم يصبها تغيير . وهذا في اللغة العربية مطرد . غير أن هذا البناء أصابه في بعض اللهجات التطور نفسه [4]، الذي ذكرناه سابقا .

6 — مفتعل

تمثل هذا الوزن في الوظائف الصرفية الآتية :

أ — بناء مفتعل صفة للمفعول في الأبنية : مستلم (243 — 16) — مكتسب (244 — 2) — متّهم (244 — 2) — مشترك (246 — 1) — مزدحم (246 — 1) . مقتحم (241 — 2) محترم (246 — 5) — مستنم (245 — 14) .

---

(1) حول هذه القضية ، راجع ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 130 .

(2) انظر ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 131 و 136 . والأنطاكي ، المحيط ، ج 1 / 123 .

(3) المرجع نفسه ، ص 131 .

(4) المرجع نفسه ، ص 133 .

نلاحظ في استخدام هذه الصيغ ظاهرة الانسجام الصوتي بين مكوّنات الكلمات وهي : مستلم ، مكتسب ، مشترك ، مستتم ، محترم . ففي هذه الصيغ فاء الفعل هو السين ، والكاف ، والشين ، والحاء ، وهي صوامت مهموسة قد صاحبها وجاورها صوت التاء وهو صامت مهموس أيضا .

أما صيغة متّهم ففاء فعلها صوت التاء وهو صامت مهموس قد جاوره صوت مهموس من بني جنسه ، فتأثر الصوتان تأثرا رجعيا آل الى حد الفناء . وصار الصوتان صوتا واحدا .

وأما الصيغة : مزدحم فبناؤها الأصلي مزتحم على زنة مفتعل . ونظرا لكون فاء الفعل — الزاي — صوتا مجهورا ، والتاء صوتا مهموسا ، أبدلت التاء دالا وصار البناء " مزدحما " فتمّ الانسجام بين الصوتين ، لاشتراكهما في صفة الجهر .

ب — بناء مفتعل اسم زمان في الأبنية : مبتدأ (242 — و) — مختتم (242 — و) .

انسجام فاء الفعل مع الصوت المجاور له في صيغة " مبتدا " لأن كلا من الباء والتاء صوت انفجاري . أما الانسجام بين الأصوات في البنية الثانية " مختتم " ، فلاشتراكهما في صفة الهمس ، لأن كلا من الخاء ، والتاء صامت مهموس .

ج — بناء مفتعل اسم مكان في الأبنية : مبتسم ، محترك ، مصطدم :

— " كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف .: من معدني منطق منه ومبتسم " (242)

— " ما زال يلتاحم في كل محترك .: حتى حكوا بالقنا لحما على وضم " (246)

— " هم الجبال فسل عنهم مصادمهم .: ماذا رأى منهم في كل مصطدم " (246)

الصيغة " مصطدم " بناؤها مفتعل ، وأصلها " مصتدم " على زنة مفتعل ، لكن نظرا لكون فاء الفعل — الصاد — صامتا مطبقا مفخما ، وتاء افتعل صامتا غير مطبق وغير مفخم ، حدث تأثر تقدمي ، لأن الصوت الثاني تأثر بالصوت الأول ، فتحقق الانسجام . وصار البناء " مصطدما " .

7 ـ منفعـــل

بنـاء منفعـل صفـة للفاعـل في الأبنيـــة :

منكتم (239 ـ 4) ـ منقسم (241 ـ 8) ـ منفحم (241 ـ 14) ـ منصدع (242 ـ 11) ـ

منهزم (243 ـ 4) ـ مكرر مرتين ـ منهدم (246 ـ 3) . منفصم (241 ـ 14) ـ

منحجم (247 ـ 1) ـ منقصم (247 ـ 7) ـ منحسم (239 ـ 6) ـ منسجم (238 ـ 4) ـ

منصرم (248 ـ 2) ـ منخرم (248 ـ 14) ـ منعكس (248 ـ 14) .

8 ـ تفعلـــة

هـذا البنـاء مصـدر في : تسميـة (248 ـ 3)

الصـورة السـادسـة : م ص م + م ص ص + م ص م

تمثلت هذه الصورة في بناء مفعولة الذي دلّ على صفة المفعول المؤنث في : مبرورة ، موصولـة ، مكفولـة :

ـ " أقسمت بالقمر المنشق إن لـه ∴ من قلبه نسبـة مبرورة القسم " (243)

ـ " حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ∴ من بعد غربتها موصولة الرحم

ـ " مكفولة أبدا منهم بخيـر أب ∴ وخير بعل فلم تيتم ولم تئـم " 246

الصـورة السابعـة : م ص م + م ص + م ص ص م

تشمل هذه الصورة بناء أفعلاء الذي ورد جمع تكسير : " أنبيـاء " ، مفـرده نبيّ على زنة فعيل ، يختلف عن بناء جمعه ، لأنه ينتمي إلى الصورة الثالثـة مـن النمط الثاني (أبنيـة ذات مقطعيـن).

الصـورة الثـامنـة : م ص م + م ص + م ص م

تضم هذه الصورة بناء مفعّـل الذي دلّ علـى الوظائـف الصرفيـة الآتيـة

أ ـ بناء مفعلّ صفة للفاعل : منهلّ :(1)

ـ" وائذن لسحب صلاة منك دائمة ∴ على النبيّ بمنهل ومنسجم(243)".

ب ـ بناء مفعلّ صفة للمفعول : معوج ، مسودّ :

ـ" من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم ∴ بأن دينهم المعوج لم يقم(243)".

ـ" المصدر البيض حمرا بعد ما وردت ∴ من العدا كل مسودّ من اللّمم(243)".

الصورة التاسعة : | م ص م + م ص م + م ص م |

أبنية هذه الصورة : مفعلّة : مستفعل

أ ـ مفعلّة : (منفعلة)

بناء مفعلّة صفة للفاعل المؤنث : منقضّة :

ـ" وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب ∴ منقضّة وفق ما في الأرض من صنم(243)".

ب ـ مستفعل

بناء مستفعل صفة للفاعل : مستمسك(241 ـ 3) (مكرر مرتين).

مستأصل(246 ـ 11)

الصورة العاشرة : | م ص م + م ص ص + م ص م |

بناء هذه الصورة فعّالة الذي دلّ على المبالغة في الوصف : أمّارة :

ـ" فان أمّارتي بالسوء ما اتعظت ∴ من جهلها بنذير الشيب والهرم(239)".

الصورة الحادية عشرة : | م ص + م ص + م ص ص م |

بناء هذه الصورة فعلات . ورد جمع مؤنث سالم في الأبنية : كلمات(247 ـ 2) ـ عذبات(249 ـ 1) . الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد .

---

(1) وزنه الصرفي (منفعل).

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعلات	كلمات عذبات	فعلة	كلمة عذبة

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع، إذ ينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة)، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق.

النمط الرابع — أبنية ذات مقاطع أربعة

الصورة الأولى : م ص + م ص ص + م ص + م ص م

تمثلت هذه الصورة في بناء مفاعلة الذي ورد صفة للمفعول المؤنث : مضاعفة، مذكره مضاعف.

— "وقاية الله أغنت عن مضاعفة .: من الدروع وعن عال من الأطم"(243)

الصورة الثانية : م ص ص + م ص + م ص م + م ص م

ضمت هذه الصورة بناء فاعليّة الذي ورد مصدرا صناعيا دالا على صفة معنوية : جاهليّة :

— "كفاك بالعلم في الأميّ معجزة .: في الجاهلية والتأديب في اليتم"(247)

الصورة الثالثة : م ص + م ص م + م ص + م ص ص م

تمثلت هذه الصورة في بناء " مفعّلات " الذي جاء جمع مؤنث سالما في : "محكمات " . مفرده محكمة على زنة مفعّلة .

ـ" محكّمات فما تبقين من شبه ∴ لذي شقاق وما تبغين من حكم "(244).

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع ، إذ ينتمي إلى النمط الرابع (أبنية ذات مقاطع أربعة) ، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق .

الخاتمة

أسفر الوصف عن أبنية مختصة بوظائف صرفية . والجدل الأتي يوضح ذلك(1)

الأبنيـــــــــة	العـــــدد
الأبنية الدالة على المصـــدر	24
الأبنية الدالة على الصفـــات	28
الأبنية الدالة على جمع التكسيـر	18
الأبنية الدالة على اسم العلـم	06
الأبنية الدالة على التفـصيـل	04
الأبنية الدالة على جمع المؤنـث	04
الأبنية الدالة على المبالغـة	04
الأبنية الدالة على الجمع الذي لا واحد له	04
الأبنية الدالة على اسمي الزمان والمكـان	03
الأبنية الدالة على اسم الآلـة	01
الأبنية الدالة على الأسـماء	[illegible]

(1) نخرج من الاحصاء الوزن المقطعي عند وجود الوزن القديم .

الكلمة في البردة ـ عموما ـ عنصر حيّ ، تستمد حيويتها من السياق ، فيؤثر فيها وتؤثر فيه ، ويخلقها وتخلقه ، فهي كمثل الكائن الحيّ يكتسب حياته بالتفاعل مع أبناء جنسه . ولكن لا قيمة لهذا الكائن إذا لم يوضع في إطاره الواسع ، وهو الجملة ، لأن ملامح النظم في البردة تتحدد من خلال الصوت والكلمة والجملة .

الفصل الثالث

البنية النحوية

1 ـ الجملة الطلبية
2 ـ الجملة الشرطية
3 ـ الجمل ذات الوظائف النحوية

واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله .... وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه. فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك « زيد منطلق » و « زيد ينطلق » ، و « ينطلق زيد » ... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج أخرج » و « إن خرجت خرجت » و « إن تخرج فأنا خارج » ... وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعاً » و « جاءني يسرع » ، و « جاءني وهو مسرع » أو « هو يسرع » و « جاءني قد أسرع » ... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له ... »

ـ عبد القاهر الجرجاني ـ

يقوم وصف الجملة في هذا الفصل على أساس الإفادة من التراث اللغوي العربي ، ومن اللسانيات[1] . وتتلخص هذه الأسس فيما يلي :

أولا — تم تصنيف الجملة بحسب وظيفتها ودلالتها التي تؤديها في الكلام إلى ثلاثة أنواع :

أ — الجملة الطلبية[2] وتجمع الاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنداء والترجي ، والدعاء .

ب — الجملة الشرطية .

ج — الجمل ذات الوظائف : وتضم الجمل الآتية : جملة الفاعل ، والخبر ، والمفعول به ، والنعت ، والحال ، والتعليل ، والغاية :

ثانيا — تم تعريف الجملة والوظيفة بالاعتماد على بعض اللسانيين المحدثين .

أ — الجملة

تعدّدت تعاريف الجملة[3] ، واختلفت باختلاف وجهات نظر اللغويين وأيا ما كان الاختلاف فالجملة مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطا وظيفيا[4] ، وتتكون من مركبين متميزين : الأوّل المركّب الاسميّ والثاني

---

(1) استفاد البحث من جهود : noam chomsky , Aspects de la theorie syntaxique , tra , j, paris 75
وعبده الراجحي ، النحو العربيّ والدرس الحديث ، ومحمد علي الخولي ، قواعد تحويلية اللغة العربية ، وإبراهيم مصطفى البنية اللغوية لشعر عروة بن الورد ، رسالة ماجستير مخطوط (قسم الدراسة النحوية) .

(2) انظر تمام حسان ، اللغة العربية ، ص 124 .

(3) وصلت تعاريف الجملة الى مائتي تعريف ، انظر : moumin ,chefs pour la linguistique ,p121.
ونظرا لهذه الكثرة اقتصرنا على ما يفي ، لأن البحث تطبيقي والمجال لا يتسع لذلك .

(4) أدوارد سابير ، عن عبد السلام المسدي ... ، الشرط في القرآن ، ص 135 .

المركّب الفعليّ ، وهذان المركبان بهما تتحقق عملية الإبلاغ[1]. كما تعدّ الجملة الملفوظ الذي ارتبطت كل عناصره بعنصر منه هو المحور لعملية الإبلاغ[2]. أو هي " أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[3]". وتكاد تلتمس التعريف نفسه عند عبد الرحمن الحاج صالح الذي عدّ الجملة نواة لغوية تدل على معنى وتفيد[4]. أما ريمون طحان فالجملة عنده " تركيب يتألف من ثلاثة عناصر أساسية : المسند والمسند اليه والإسناد ، وقد تضاف إليها عناصر أخرى حين لا تكتفي العملية الإسنادية بذاتها[5]".

ب — الوظيفة

هي المنزلة التي يتبوؤها أي عنصر من عناصر الكلام كالوحدة الصوتية والوحدة الصرفية ، والكلمة ، والتركيب في البنية النحوية للملفوظ[6]. غير أن هذه الرؤية قد توسع مجالها حتى شملت المقومات اللغوية والأغراض التعليمية ، فصار النحو نوعين : نحوا وظيفيا ، ونحوا تخصصيّا . فالنحو الوظيفيّ مجموعة من القواعد التي تؤدّي الوظيفة الأساسيّة كضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل . والنحو التخصصيّ ما يتجاوز تلك المسائل المتشعّبة[7]. وصارت الوظيفة قسمين : القسم الأول وظائف

---

(1) Dubois grammaire structurale du fransais , p 20

(2) martimet , elements de lin guistique génerale p 131

(3) د . إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، 191 .

(4) " مدخل إلى علم اللسان الحديث" ، مجلة اللسانيات ، المجلد الأول (2) 1971 ، ص 55 .
وقد نبّه د . الحاج صالح في هذا المدخل على أن هذه النظرة هي نظرة النحاة العرب الذين ميزوا بين المعنى والفائدة .فنوّه بها قائلا : " ولهذا أهمية عظيمة جدا ، لأنه الأساس الذي بنيت عليه نظرية الإفادة الحديثة " انظر هامش المرجع نفسه .

(5) الألسنية العربية ، ج 2/ 54 .

(6) Dubois et autres , Dictinnaire de linguistique (fonction)

(7) انظر : مقدمة ، عبد الحليم إبراهيم ، النحو الوظيفي ، ص " هـ ، و " .

نحوية عامّة ، وهي الدلالات المستفادة من الأساليب والجمل بشكل عام . والقسم الثاني وظائف نحوية خاصة[1]، وهي العناصر النحوية التي تقوم بوظائف مفيدة في جمل مركبة[2]، وصار علم التركيب علما وظيفيا من ذلك أن علم النحو — عند بعض النحاة المحدثين — دوره وظيفيّ محض ، وهو دور خاص بالتراكيب[3] .

فأمام هذا التشعب ، وكثرة التعاريف وتداخلها ، وأمام عمل تطبيقيّ لا يسمح بالتوسع في عرض النظريات وتقويمها ، لا يسعنا إلا الاستفادة منها في حدود ما يلائم منهجنا لعلنا نظفر بالسمات البارزة لنظام اللغة العربية عموما وللجملة في البردة خصوصا .

ثالثا — ينطلق وصف الأنماط والصور من جهود اللغويين القدامى ، ومن النظريات اللسانية الحديثة .

رابعا — يقوم تحليل الجمل في الأنماط كلّها على فكرة أساسيّة ترجع جذورها إلى النحو العربيّ ، وتستفيد من نظرية النحو التحويلي والتوليديّ التي راج صيتها رواجا عظيما . هذه النظرية تدعو الى فكرة السطح والعمق بشكل يعيد إلى الذهن قضيّة التقدير عند النحاة العرب[4] .

فالبنية السطحيّة تمثل الصورة الفعليّة المحسوسة للجملة من حيث النطق ، ومن حيث العناصر المكونة لها ، والبنية العميقة هي الصورة المثالية الكاملة للجملة ،

---

(1) د . فاضل مصطفى الساقي ، أقسام الكلام العربي ، من حيث الشكل والوظيفة ، ص 209 — 212 .

(2) الجملة المركّبة هي ما تعددت فيها عمليات الإسناد ، وجاءت احدى عناصرها النحوية جملة ، انظر : المنصف عاشور ، التركيب عند ابن المقفع ، ص 37 . ومحمد خان ، نظام الجملة ودلالاتها في سورة البقرة ، ص 31 .

(3) د . محمد صلاح الدين مصطفى بكر ، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، ج1/ 29

(4) د . عبده الراجحي ، النحو العربيّ ، ص 143 .

لا تظهر ولا يتلفظ بها ، فهي حسب اللسانيين موجودة في ذهن المتكلم من حيث الدّلالة والعناصر المكونة لها في صورتها الأولى .

فالتحليل النحويّ إذن من هذا المنطلق يكشف عن علاقة الصوت بالمعنى وقد أفردنا لهذه القضيّة الفصل الأوّل ، لإيماننا بأن اللغة أصوات وكلمات وجمل تتضافر لتعبر عن غرض ما . واللغة المنطوقة تعد صورة حيّة تعكس عطيات عقلية هي في الواقع عنصر من عناصر الشخصية المتحدثة ، لأن الأسلوب هو الشخص نفسه (1)

أما الأشكال التي استخدمها الباحث للتشجير ، وتوضيح ظاهرة السطح والعمق فهي رسوم بسيطة . فعند اختلاف البنيتين غالبا ما يوضح بالتشجير سطح الجملة وعمقها أو سطحها فقط ، وعند الائتلاف يكتفي بتشجير واحد للدّلالة على التقاطع . غير أنه يكتفي أحيانا بإبراز نظام الجملة والتعليق عليه .

وفي كلّ هذا يسعى الباحث إلى تفسير الظاهرة اللغوية تفسيرا نحويا دلاليا . وكل ذلك في حدود الإمكان .

1 — الجملة الطلبية

هي تركيب من تراكيب الجملة العربية الإنشائية ، لها صور عديدة تختلف باختلاف نوع الجملة ودلالتها ، فإن كان التركيب يفيد الأمر فالجملة أمرية ، وإن كان يفيد النداء أو الاستفهام فهي ندائية أو استفهامية ، وإن كان يفيد النهي أو الدعاء فهي جملة نهي أو دعاء ، وإن كان يفيد الترجي فهي جملة ترج .

---

(1) تنسب هذه المقولة إلى " بيفون " ، وهي مشهورة في الأدب الفرنسيّ ، انظر : عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، ص 145 . وقد اقتبسها أحمد الشايب دون أن يعزوها إلى صاحبها ، انظر كتابه ، الأسلوب ، ص 121 وما بعدها .

وردت الجملة الطلبية ستا وثلاثين مرة في البردة ، وتوزّعت توزيعا بنويا[1] بحسب خصائص كل نوع .

والجدول يوضح ذلك .

نوع الجملة الطلبية	عدد الجمل
جملة الأمر	11
جملة النداء	03
جملة الاستفهام	03
جملة النهي	05
جملة الدعاء	03
جملة الترجي	01

أولا ـ جملة الأمر(*)

الأمر أسلوب لغويّ يطلب به الآمر من المأمور فعل شيء ، ويكون بلفظ الأمر بالصيغة أو الأمر باللام " افعل ، وليفعل " .

---

(1) نتبع في نسبة " بنية " رأي يونس بن الحبيب النحويّ الذي يقول في ظبية ظبويّ ، وهو أخف من ظبي . وإن كان هذا على غير قياس إلا أن الخليل قد ألتمس العذر ليونس . انظر سيبويه ، الكتاب ، ج3/ ، ص 347 . وقد نبّه على هذا د . عبد الرحمن الحاج صالح ، " مدخل الى علم اللسان الحديث " مجلة اللسانيات المجلد الأوّل (2) ، هامش ص 33 .

(*) انظر : ابن فارس ، الصاحبي ، ص 134 ، والسّكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 152 ، والسيوطي الإتقان في علوم القرآن ، ج ، ص 31 ـ 32 ، وريمون طحان ، الألسنية العربية ، ج 2 ، ص 33 .

وجملة الأمر قد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركّبة ، كأن تكون مفعولا به ، أو جواب شرط ، أو جواب نداء .

وردت جملة الأمر في البردة احدى عشرة مرة تمثلت في نمط واحد : هو الأمر بالصيغة

الصورة الأولى(*) : فعل أمر + فاعل (مضمر في البنية السطحية) + مفعول به (جملة موصولية) + جار ومجرور + متضايفان + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) :

ـ " دع ما ادعته النصارى في نبيّهم .. واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم(241) .

الجملتان : " ما ادعته النصارى في نبيهم " و " بما شئت مدحا فيه " موصوليتان ، الأولى مفعول به ، والثانية عنصر مجرور .

حرف الجر " من " محذوف دالّ عليه نصب كلمة " مدحا " المنصوبة على نزع الخافض ، وصورتها في البنية العميقة " " من مدح " . ويمكن أن تعد حالا .

الواو في : " واحكم بما شئت مدحا فيه " رابط ضم الجملتين مبنًى ومعنًى . أما الأمر فقد خرج من معناه الحقيقيّ إلى معنى الالتماس على سبيل الرجاء .

الصورة الثانية : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + جار ومجرور + مفعول به (جملة موصولية) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) ، والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه :

(*) ترتيب الصور خاضع لطبيعة الصيغة ، المجردة ، فالمزيد بصامت ، فبصامتين . . . فإن تكررت جمل أمرية في البيت الواحد نعتمد الصيغة الأولى .

. " وانسب الى ذاته ما شئت من شرف وانسب الى قدره ما شئت من عظم[241]

الجملتان : " ما شئت من شرف " و " ما شئت من عظم " موصوليتان قامتا بوظيفة المفعول به ، وتقديم الجار والمجرور : " إلى ذاته " و " الى قدره " يفيد التأكيد أما حرف الجر في : " من شرف " فدال على بيان الجنس ، والتنوين في الكلمة نفسها للتعظيم والترخيم .

وقد جيء بأسلوب الأمر لتفصيل ما أجمله في البيت السابق : " واحكم بما شئت مدحا ... " .

الصورة الثالثة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + مفعول معه (جملة محولة عن الفعلية) :

. " دعني ووصفي آيات له ظهرت .. ظهور نار القرى ليلا على علم[244] .

بنية السطح

فعل أمر	فاعل	مفعول به	مفعول معه (جملة محوّلة) .
" دع "	؟	" ني "	" ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ... "

بنيـــة العمـــق

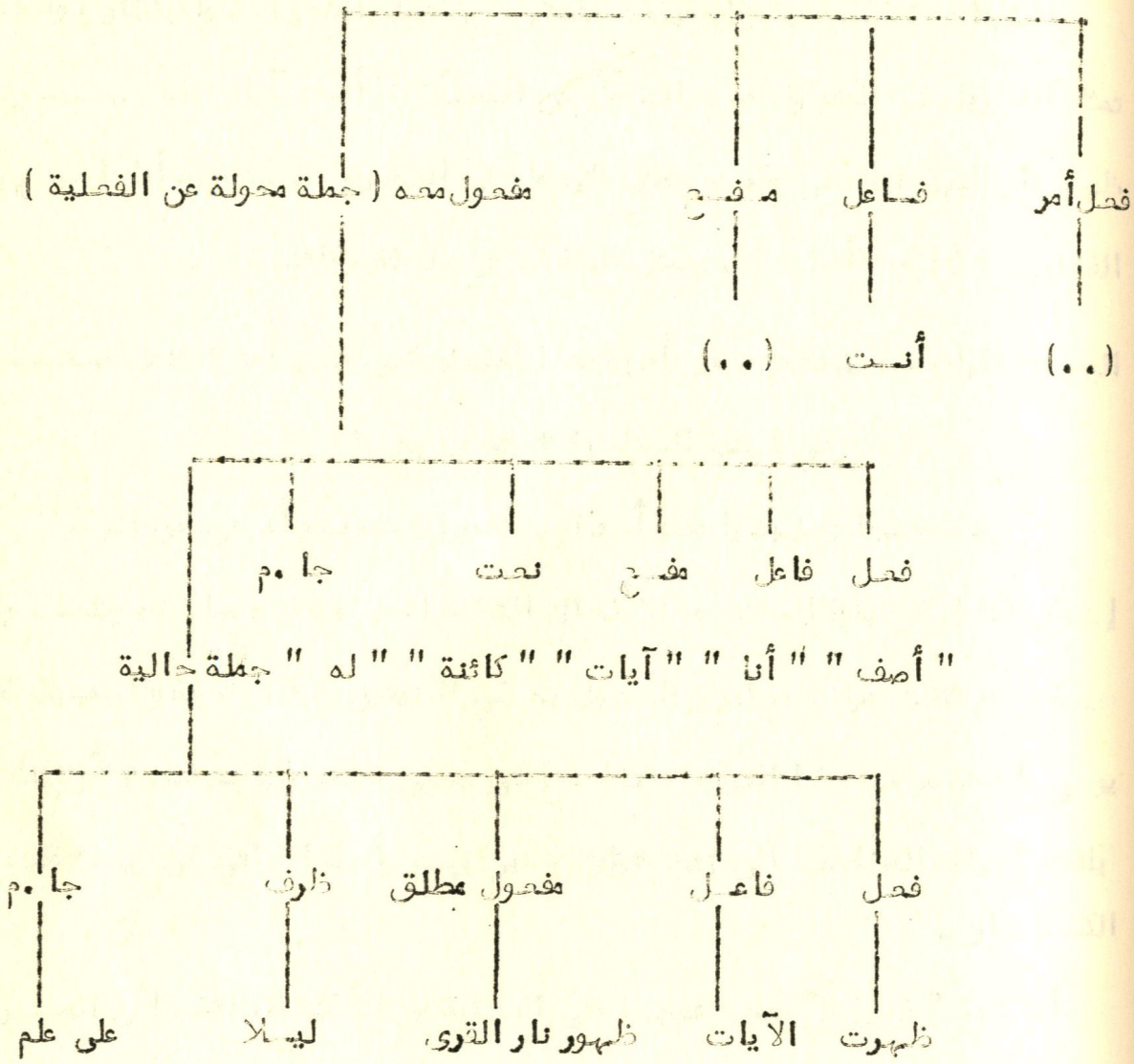

يبدو أن الأمر في هذا التركيب جواب لإنكار مقدر (لم تكثر من وصف ...؟) ، والتمامر مؤكد على سبيل المجاز : لأن الناظم لما ذكر جملة من معجزات الرسول (ص) قدر أن المعاند والكافر الجاحد قال له : كف عن ذكر هذه الآيات التي لا تسلم بها . فأجابه دعني ووصفي آيات ... أي كأنه قال له : كيف تنكرها ولا تسلم بها وقد ظهرت ظهورا تاما . والجار والمجرور " له " متعلق بمحذوف صفة قدّرت في البنية العميقة بـ " آيات كائنة له " . وقد يكون متعلقا بظهر ، والتنكير في كلمتي :

" ليلا" و"علم " إما للنوع أي ليلا شديد السواد على علم شامخ ، وإما للتعظيم .

البنيتان : السطحية والعميقة مختلفتان من حيث التحويل ، والإضمار ، والحذف .

تمثل التحويل في المفعول معه المحوّل عن الفعليّة :(أصف آيات له ظهـــرت ظهور نار القرى ليلا على علم . وتمثل الإضمار في الضميرين : (أنت ، أنا) فـــي الفعلين : (دع ، أصف) . وتمثل الحذف في الصفة (كائنـة) .

الصـورة الرابعـة : ثلاث جمل أمرية متعاطفة مكونة من فعل أمر + فاعل مضمـر في البنية السطحية + مفعول به :

- " وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا .. فعول حتف لهم أدهى من الوخم "(246) .

إضمار الفاعل في بنية السطح من الأفعال الثلاثة (سل ، سل ، سل) ، وتكـــرار صيغة الأمر ثلاث مرات مع ابراز المفعول به في البنيتين : السطحية والعميقـة ، يوحي بأن الأمر في هذا التركيب قد حمل على معنى الاعتبار والتدليل ، لأن الناظم يلفت انتباه المخاطب إلى زمن غزوات حنين وبدر وأحد اللواتي كن وبـاء علـى الكفـــار .

أما كلمة " فعول " فيجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاثة ، لأن المـراد بها زمن القتال . وقد تكون خبر المبتدإ محذوف مقدر في البنية العميقة بـ (هـي فعول) . وقد تكون عطف بيان أو مفعولا به حذف جارّه وقدّر في البنية العميقـة بـ (سل عن فعول) . و"أدهى " صفة لفعول أو لحتـف .

الصـورة الخامسة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + صفة أو حال (جار ومجرور) + جملة تعليليـة :

- "واخش الدسائس من جوع ومن شبع .. فرب مخمصة شر من التخم "(240) .

خرج الأمر في هذا البيت عن معناه الأصلي إلى معنى التأديب والإرشاد، اذ لا تكليف ولا إلزام فيه . وكل ما في الأمر أن الناظم يحث على الخوف من المكايد التي تخفيها النفس في الجوع وفي الشبع، ذلك أن الدسائس من الجوع كسو الخلق، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة . هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما، ويحتمل أن يكون الناظم كنّى بالجوع عن قلة العبادة، والشبع عن كثرتها .

أما شبه الجملة: " من جوع، من شبع " فصفة على تقدير في البنية العميقة (الدسائس الناشئة من جوع ومن شبع) . وقد تكون حالا على تقدير: (حال كونها ناشئة من جوع ومن شبع) . وأما التنكير في الكلمتين، فإما للتنويع، وإما للتعظيم .

الصورة السادسة: فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + متضايفان + أداة عطف + معطوف (جملة محوّلة) + جملة تعليلية :

ـ " فاصرف هواها وحاذر أن توليه .·. إن الهوى ما تولى يصم أو يصم (233) ".

البنيتان: السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار، والحذف، والتحويل . أما الحذف فمتمثل في حرف الجر " عن " المقدر في البنية العميقة ب (فاصرف النفس عن هواها) . وقد جيء به، لأن النفس تابعة لهواها لا تخالفه . وأما التحويل فدال عليه " أن توليه " المقدر في البنية العميقة ب (تولية الهوى) .

والفاء في: " اصرف " فصيحة، والواو رابط جمع بين جملتين إنشائيتين . والصيغة حاذر بمعنى افعل . وقد عبّر الناظم بحاذر دون احذر تنبيها على أن النفس تراقب غفلة الشخص لتقع في هواها، فهي تحاذره كما يحاذرها، لأن المحاذرة من الجانبين لذلك جيء بالتعليل " إن الهوى ما تولى . . . " أما الأمر فدال على النصح والإرشاد .

الصورة السابعة: فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + جار ومجرور + مفعول به + جملة استفهامية :

ـ " هم الجبال فسل عنهم مصادمهم .·. ماذا رأى منهم في كل مصطدم (245) ".

بنيـة السطـح :

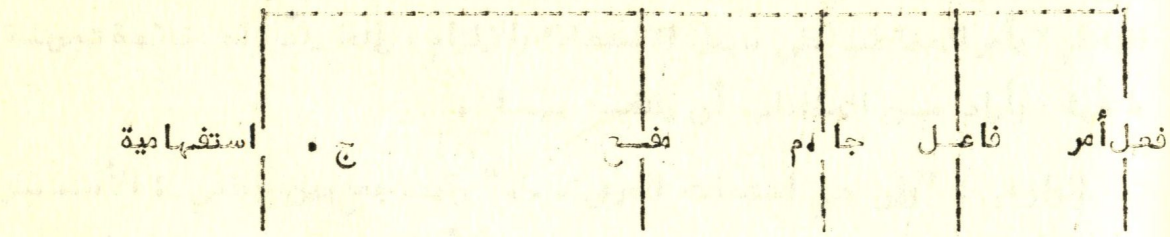

بنيـة العمـق :

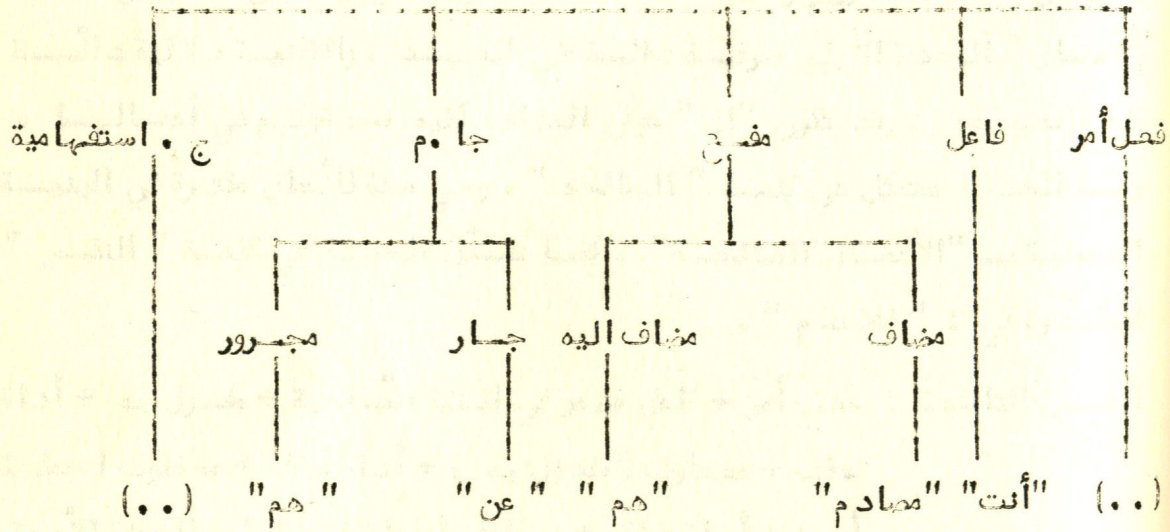

البنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار ، والتقديم والتأخير أمـا الإضمار فدال عليه فاعل " سل " ، وأما التقديم فدالّ على أهمية المسؤول عنـه وهـو النبيّ (ص) وصحابته . والأمر محمول على معنى جواب مقدّر ، إذ كأن الناظم يقـدر مخاطبا يجيبه بقوله : (وإن ارتبت في هذا فسـل عنهم مصادمهم مـن الأعـداء تتيقن من صحة ما أقول ؟) ،

الصـورة الثامنـة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به " جملـة حالية + أداة عطف " معطوف (جملة شرطية) ، والجملة الأمرية علـى صـورة المعطـوف عليـه .

ـ"وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)

خرج الأمر في هذا التركيب عن معناه الأصليّ الى معنى النصح والإرشاد ، لأن الناظم لا يأمر المخاطب على سبيل الاستعلاء والإلزام ، وإنما يقدّم له خلاصة تجربة عاشها ، وأراد من المخاطب أن ينتفع بها .

الواو في : "وإن هي استحلت المرعى . . ." رابط جمع بين جملتي : الأمر والشرط ، وهما جملتان إنشائيتان . والبنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار ، والتقديم والتأخير ، والحذف . أما الإضمار فمتمثل في فاعلي : " راع ، استحلت تسم " ، وأما التقديم والتأخير فمتمثل في : " وهي في الأعمال سائمة " دالّ على التأكيد ، وإبراز كلمة " الأعمال " المتكونة من وحدتين دلاليتين : "ال" ، "أعمال" الوحدة الأولى صرفية دالة على العهد ، والثانية دلالية دالّة على المعهود . وقد تكون "ال" عوض المضاف إليه نحو قولهم في أعمالها . وأما الحذف فمتمثل في كلمة " الصالحه " ، وهي صفة للأعمال مقدرة في البنية العميقة بـ "الأعمال الصالحة" . كما تمثّل الحذف في كلمة " النفس " المقدّرة في : " فلا تسم " .

الصورة التاسعة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به + أداة عطف + معطوف (مفعول به) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) + أداة عطف + معطوف (جملة شرطية) ، والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه .

ـ"وخالف النفس والشيطان واعصمها وإن هما محضاك النصح فاتهم(240)

الفاعل مضمر في البنية السّطحية في الصيغ الثلاث : (خالف ، اعص ، أتّهم) ، والفعل والفاعل محذوفان مقدّران في البنية العميقة بـ (وخالف أنت الشيطان) ، والواو في قوله : " وإن هما محضاك . . . " رابط جمع بين جمل أمرية وشرطية ، وهذا من باب عطف الإنشاء على الإنشاء . والجملة "واعصمها " تكرار ضمنيّ ل (خالف النفس والشيطان) دالّ على التوكيد على عادة العرب في كلامهم . والأمر دالّ على معنى النصح والإرشاد .

الصورة العاشرة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + جار ومجرور + نعت (جملة ماضوية مؤكدة) + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) . والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه :

ـ "واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ... من المحارم والزم حمية الندم" (240)

صيغة استفرغ على زنة استفعل بمعنى أفعل (أي أفرغ الدمع بالبكاء) . وقد تكون للطلب (أي أطلب فراغه) . وحرف الجر " من " في : " من عين " ابتدائية ، و" من " في : " من المحارم " تبعيضية . وجملة الأمر : " والزم حمية الندم " تعني الزم حماية الندم لك عن المحارم . وقد تكون الزم الندم الحامي لك عن عقاب المحارم .

أما الأمر فدالّ على معنى التحسر والنصح .

الصورة الحادية عشرة : فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية :

ـ "أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم" (240)

بنية السطح

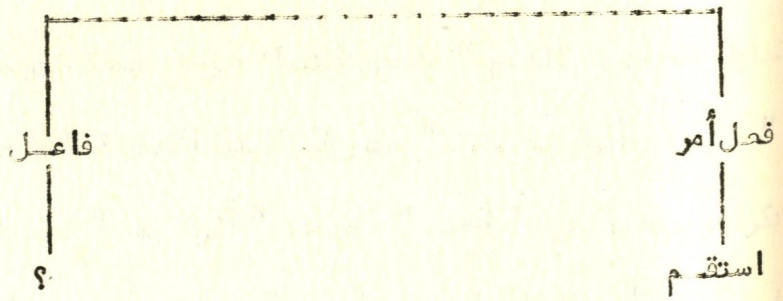

بنية العمق

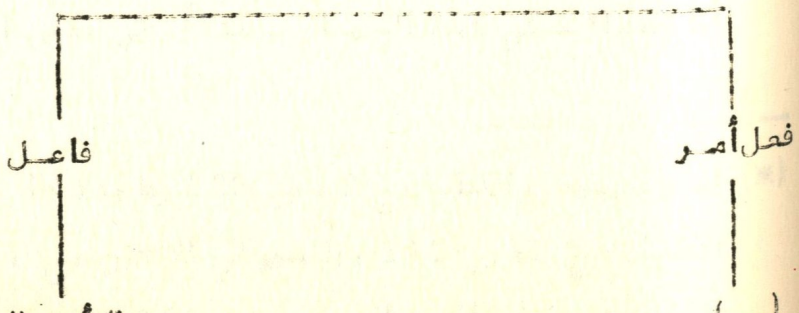

جملة الأمر " استقم " مفعول به للمصدر " قولي " وهو جملة محولة عن الفعلية مقدرة في البنية العميقة ب (فلِمَ أقول أنا لك : استقم) . والأمر محمول على معنى الاستفهام الانكاريّ التعجبيّ الذي يفيد النفي باعتبار أن الكلام لا ثمرة له ولا فائدة لأنه لا ينفع غالبا إلا إذا استقام الناصح ، وهو هنا غير مستقيم .

ثانيا ـ جملة النداء(*) .

النداء طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف النداء . أو هو تنبيه المنادي وحمله على الالتفات . وقد يخرج إلى معانٍ أخرى . كما يؤدي وظيفة نحوية في جملة مركبة كأن يكون مفعولا به . وعناصره في الأصل هي : أداة النداء، والمنادي والمنادَى ، ومضمون النداء . ورد هذا التركيب النحويّ في البردة ثماني مرات . وضم نمطا واحدا تمثل في الجملة الندائية المصدرة بالأداة " يا "

الصورة الأولى : أداة النداء " يا " + منادي (مخصص بالإضافة) + مضمون النداء (جملة اسمية منسوخة) + ظرف + متضايفان + نعت :

ـ " يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم(243) ".

المنادي مخصص بالإضافة دالّ على التفضيل ، وجملة " مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم " مضمون النداء ، وهي جملة خبرية ، والتقديم والتأخير في " مالي من ألوذ به ... " مقدر في البنية العميقة " ما من ألوذ به لي " . و" من " نكرة موصوفة بمعنى " أحد " ، وجملة " ألوذ به " نعت ل (من) ، والرابط فيها الهاء في " به " . والجار والمجرور " به " متعلق بألوذ ، وكلمة " سواك " بدل من النكرة أو صفة ثانية لها . وقد تكون ظرف مكان .

أما النداء ـ في هذا السياق ـ فدالّ على معنى الرجاء والاستعطاف

(*) انظر سيبويه ، الكتاب ، ج 2 ، ص 132 وما بعدها . وابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 1، ص 127 ، والسيوطي الاتقان ، ج ، ص 32 ـ 33 . ومهدي المخزومي ، في النحو العربي ، ص 301 .

الصورة الثانية : أداة النداء " يا " + منادي + مضمون النداء + جملة تحليلية :

ـ "يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ∴ إن الكبائر في الغفران كاللمم"[243].

أداة التحليل محذوفة في البنية السّطحية ، مقدرة في البنية العميقة بالفاء " فإن الكبائر في الغفران ... " ، ومضمون النداء جملة نهي مكونة من أداة نهي + فعل مضارع مسبوق بوحدة صرفية[1] (التاء) في " تقنطي " دالّة على المخاطب المؤنث المفرد وهي النفس + جار ومجرور " من زلة " متعلق "بتقنطي" + نعت (جملة ماضوية مثبتة) .

أما كلمة " نفس " فقد رُويت بالكسر على تقدير مضاف إليه (ياء المتكلم) في البنية العميقة " نفسي " . ويجوز ضمها على اعتبار المنادي نكرة مقصودة . وأما النداء فدال على معنى التأنيس : لأن الناظم لما خاف على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب الخوف أقبل على النفس يخاطبها بتحقيق رجائه ، ويؤنسها بعظم فضل ربه .

الصورة الثالثة : أداة النداء " يا " + منادي (مخصص بالإضافة) + مضمون النداء (جملة أمرية محذوفة في البنية السطحية) :

ـ "إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ∴ فضلا وإلا فقل : يازلة القدم"[243].

بنية السطح

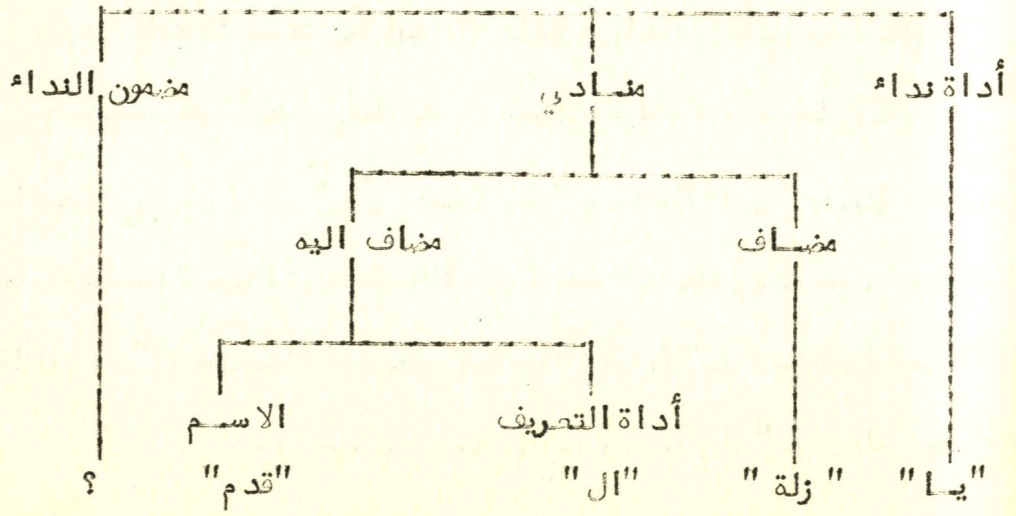

(1) انظر :

بنية العمق

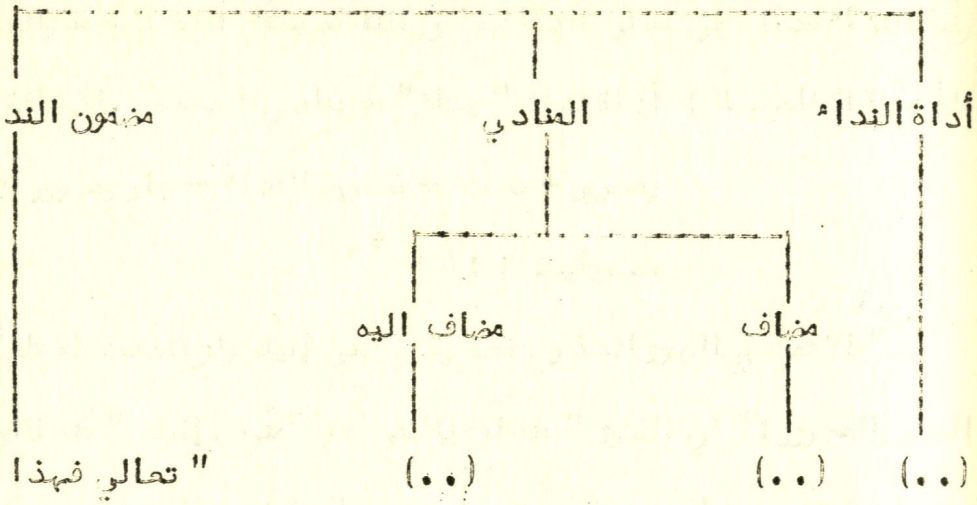

مضمون النداء جملة أمرية محذوف في بنية السطح ، مقدر في البنية العميقة ب "تعالي فهذا أوانك " . والجملة الندائية واقعة مفعولا به (مقول القول) أما النداء فدالّ على تحقق الأمر وتقرره (أي فهلاكي واقع لا محالة) .

الصورة الرابعة : أداة نداء " يا " + منادي (مخصص بالإضافة) + مضمون النداء (محذوف في البنية السطحية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) :

ـ "يا ربّ واجعل رجائي غير منعكس ∴ لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين إن له ∴ صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
وائذن لسحب صلاة منك دائمة ∴ على النبي بمنهلّ ومنسجم " (243)

المضاف إليه " ياء المتكلم " في كلمة "ربّ " محذوف في البنية السطحية للتخفيف . ومضمون النداء محذوف كذلك في البنية نفسها ، مقدر في البنية العميقة ب " ارحمني أو حقق ظني وما أشبههما " وهو جملة دعائية معطوف عليها " واجعل رجائي غير منعكس ... " .

أما العطف ـ في هذا التركيب ـ فدالّ على المبالغة في الطلب والرجاء .

وأما النداء فدال على معنى الدعاء ، لأن الناظم يسأل الله الرحمة والعفو .

الصورة الخامسة : أداة نداء " يا " + منادى (مخصص بالإضافة) + جار ومجرور + نعت + مضمون النداء + جار ومجرور × 2 + جملة شرطية :

ـ "يا لائمي في الهوى العذري معذرة .·. مني إليك ولو أنصفت لم تلم"(239) .

الجار والمجرور : " في الهوى " متعلق بلائمي ، و "منّي ، إليك " متعلقان بمعذرة ، وهي إن قرئت بالنصب فهي مفعول به ، وإن قرئت بالرفع فهي مبتدأ ، وخبره " مني إليك " أو هي خبر مبتدؤه محذوف في البنية السّطحية ، مقدر في البنية العميقة بـ (هذه معذرة) . غير أننا نرجح النصب ، لأنه أليق بالمقام .

أما النداء فقد خرج إلى معنى التوبيخ .

الصورة السادسة : أداة نداء "يا" + منادى (مخصص بالإضافة) + جار ومجرور + متضايقان + نعت (جملة مضارعية منفية) + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف + مضمون النداء (محذوف في البنية السّطحية :

ـ " فيا خسارة نفس في تجارتها .·. لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم"(247) .

الجملة " لم تشتر الدين بالدنيا " صفة لنفس . والجار والمجرور " في تجارتها + بالدنيا " متعلقان (بخسارة وتشتري) . والجملة " لم تسم " معطوفة على جملة " لم تشتر الدين بالدنيا " .

ومضمون النداء جملة أمرية محذوفة في البنية السّطحية ، مقدّرة في البنية العميقة بـ (احضري هذا أوانك وما أشبهها) . ولما ورد مضمون النداء أمر يطلب من المأمور الحضور عدّ كناية عن استعظام خسارة النفس والتعجب منها .

أما النداء فدالّ على شدّة التحسر والندامة . وقد يكون للتعجب ، فيقدر في البنية العميقة بـ (ما أخسر نفسا في تجارتها ؟" .

الصورة السابعة : أداة نداء "يا" + منادى (مخصص بالإضافة) + حال + أداة عطف + معطوف + متضايفان + نعت + أداة عطف + معطوف (جملة موصولية) + نعت + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة موصولية) + نعت + جار ومجرور + مضمون النداء :

ـ "يا خير من يمم العافون ساحته سحيا وفوز متون الأينق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم (245)

تميّز هذا التركيب بما يلي :

1 ـ أداة النداء " يا " دالّة على أهمية ما سيذكر .

2 ـ كلمة " سحيا " مصدر بمعنى ساعين ، اختارها الناظم دون الثانية لإبراز سرعة السعي إلى الرسول (ص)

3 ـ كلمة " فوز " ظرف مكان ضمن معنى (على) . وقد يكون متعلقا بحال محذوف ، مقدر في البنية العميقة ب " وركبانا فوز متون الأينق " .

4 ـ الجملتان : " من هو الآية الكبرى " ، ومن هو النعمة العظمى " موصوليتان ، الأولى معطوفة على " من " في " يا خير من يمم العافون ساحته " . وقد تكون معطوفة على المنادى ، والتقدير في البنية العميقة " ويا من هو الآية . . . " . والثانية معطوفة على " من هو الآية الكبرى "

5 ـ الجار والمجرور " من حرم + إلى حرم " متعلق بسريت . و " في داج " متعلق بسرى . و " من الظلم " نعت لداج .

6 ـ جملة : " سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم " مضمون النداء ، وهي جملة خبرية .

7 ـ الجملة " كما سرى البدر في داج من الظلم " مفعول مطلق ، مقدرة في البنية العميقة ب " مثل سير البدر في داج من الظلم " ، وهي دالة على التشبيه .

8 ـ استعمال " ليلا" مرسرى للتوكيد ، والتنوين فيه للتقليل ، لأن الناظم أراد في ليلة واحدة .

9 ـ أما بنظرة شاملة للنص فنتبيّن أن الناظم كان عليه بمقتضى ما سبق أن يعبّر بضمير الغائب . لكنه التفت إلى الخطاب فحوّل كلامه من أسلوب إخباريّ بسيط إلى أسلوب إنشائيّ دالّ على معنى الاستغاثة والتعظيم .

الصورة الثامنة : أداة النداء "يا" + منادى (محذوف في البنية السّطحية) + مضمون النداء (جملة أمر محذوفة في البنية السّطحية) + مفعول به + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف :

ـ "أبان مولده مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدإ منه ومختتم (242)

بنية السطح .

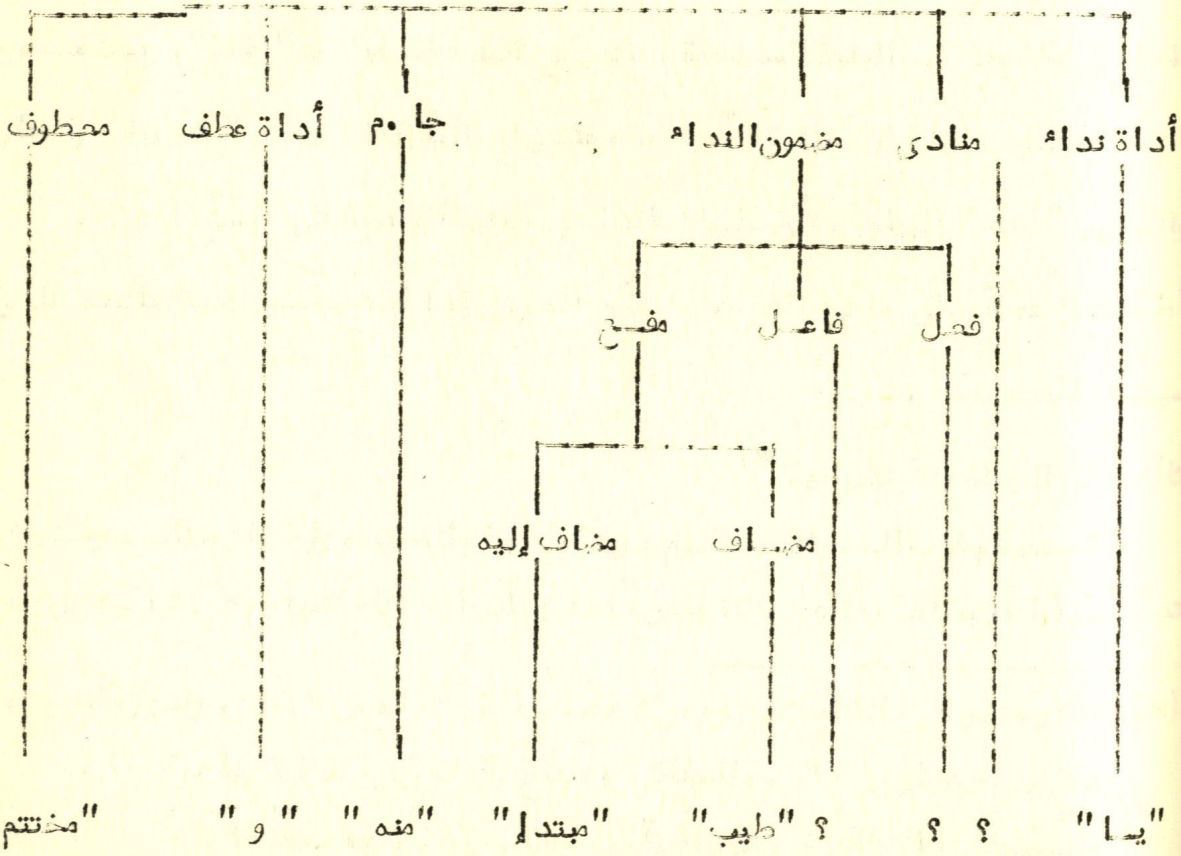

بنية الصمت

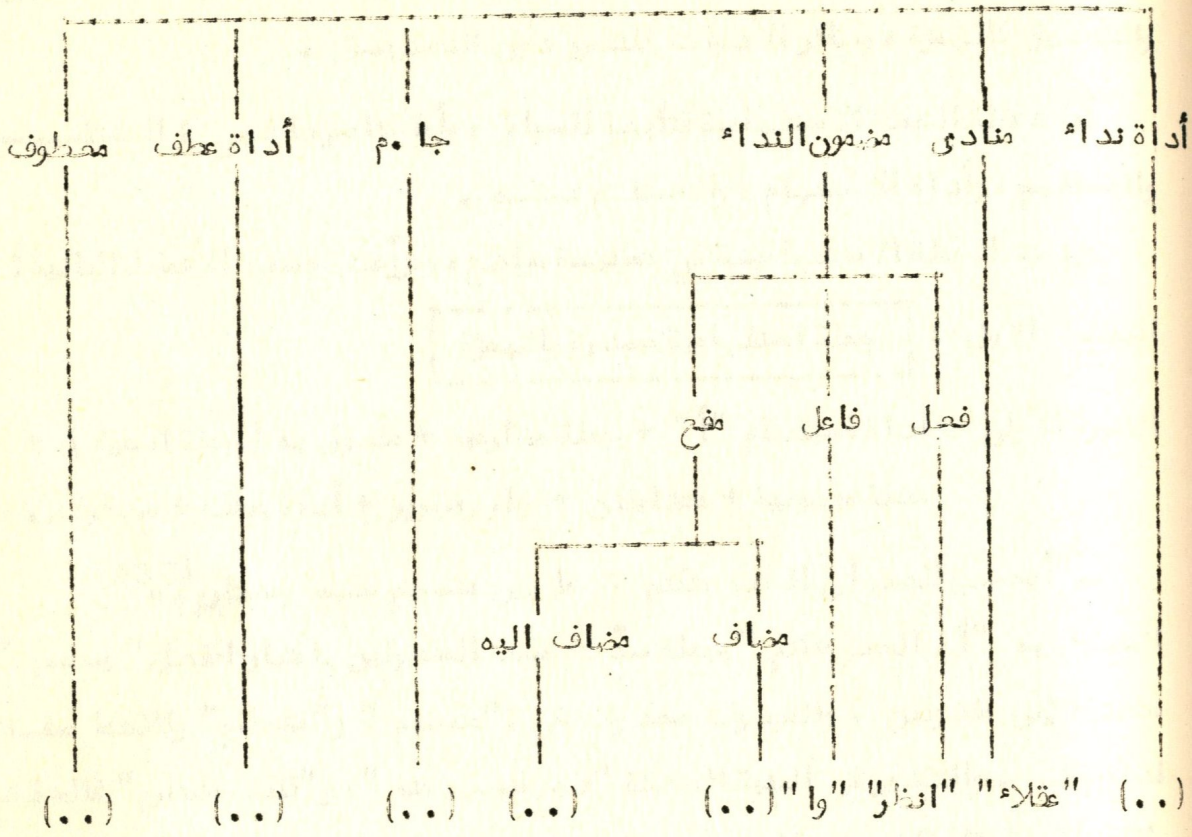

المنادى محذوف في البنية السّطحية ، مقدر في البنية العميقة ب " عقلا" ، ومضمون النداء محذوف أيضا في البنية السّطحية ، مقدر في البنية العميقة ب " انظروا " والجار والمجرور " منه " للبيان ، لأن الهاء عائدة في البنية العميقة على النبيّ (ص) .

أما النداء فدالّ على معنى التعجب ، لأن العرب إذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب .

ثالثا — الجملة الاستفهامية(*)

الاستفهام في اللغة طلب الفهم ، ويتعلق إما بالمسند ، وإما بالإسناد . وسواء تعلق بهذا أم بذاك ، فإنه دائما يكون باحدى أدوات الاستفهام وهي : الهمزة ،

(*) انظر سيبويه ، الكتاب ، ج1، ص 99 — 101 ، ج3، ص 115 . والجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 87 . والسكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 143 وما بعدها ، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 79 وما بعدها

وأم ، وهل ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، ومتى ، وأيّان . هذه الأدوات — فيما يرى النحاة — منها ما هو مختص بطلب التصديق ، ومنها ما هو طلب التصور والتصديق كالهمزة ، وسائر الأدوات للتصور دون التصديق .

أما دلالة الجملة الاستفهامية فتابعة للسياق ، وأما عناصرها فهي : المستفهم ، والمستفهم ، وأداة الاستفهام ، والمستفهم عنه .

وردت الجملة الاستفهامية في ثمانية مواضع ، وتوزّعت حسب الأنماط التالية :

النمط الأول : | جملة استفهامية مصدرة بالهمزة |

الصورة الأولى : أداة استفهام "أ" + جملة مضارعية + مفعول به (جملة اسمية) + جملة موصولية + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف .

— "أيحسب الصب أن الحب منكتم ∴ ما بين منسجم منه ومضطرم ؟" (238)

المفعول به "أن الحب منكتم" جملة سدّت مسد المفعولين باعتبار الفعل "يحسب" متعديا إلى مفعولين . والموصوف محذوف في : "منسجم" و"مضطرم" وكلاهما صفة لدمع وقلب . والتقدير في البنية العميقة "دمع منسجم منه" ، و"قلب مضطرم" فالحذف وإقامة الصفة مقام الموصوف إذن تهوين لوقع المعنى على القارئ ، وتهويل صورته الحاضرة الغائبة . وصلة الموصول "ما" محذوفة في البنية السّطحية ، مقدّرة في البنية العميقة بـ (الحب الذي هو بين دمع منسجم وقلب مضطرم) .

أما بنظرة شاملة للنص فنتبين أن الناظم كان عليه بمقتضى ما سبق أن يعبّر بتاء الخطاب ، لكنه التفت إلى الغيبة ، فنزل الاستفهام منزلة الانكار ، وأكسب البيت بذلك طابع الحكمة الخالدة المؤثرة .

الصورة الثانية : أداة استفهام " أ " + جار ومجرور + (متضايفان) × 2 + جملة فعلية + نعت (جملة فعلية) + (أداة عطف + معطوف (جملة فعلية) × 2 =

— "أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ∴ وأومض البرق في الظلماء من إضم" (239)

نلاحظ في هذا التركيب .

1 ـ طول الجملة الاستفهامية .

2 ـ اختلاف عناصر البنيتين : السّطحية والعميقة من حيث الترتيب كالتقديم والتأخير ، ومن حيث الإضمار والإظهار .

3 ـ كثرة العناصر المجرورة

4 ـ كثرة الأفعال

5 ـ "من" في قوله : "أمن تذكر" للتعليل ، وهي متعلقة بمزجت ، وقد قدمها الناظم للتنبيه على أن الشك ليس في المزج الذي هو ثابت مشاهد ، بل في سببه .

6 ـ المتضايفان في قوله : " تذكر جيران " من باب إضافة المصدر إلى مفعوله بعد حذف الفاعل ، لأن البنية العميقة مقدرة ب (تذكرك جيرانا) .
وقد حذف الناظم الفاعل وأقام المفعول به مقامه .

7 ـ الباء في قوله : " بذي " بمعنى (في) .

8 ـ إفراد كلمة " مقلة " عادة من عادات العرب ، لأنهم قد يطلقونها ونظائرها مفردة ، ويريدون بها المثنى . ومثل هذا كثير في اللغة العربية .

9 ـ "من" في قوله : " جرى من مقلة " ابتدائية ، وهي متعلقة بالفعل "جرى"

10 ـ الباء في قوله : " بدم" بمعنى المصاحبة أو التعدية ، فهي للمصاحبة بالنظر إلى "جرى" ، وللتعدية بالنظر إلى "مزجت" . فالباء إذن يتنازعها الفعلان : " مزجت ، وجرى " .

11 ـ التنوين في " جيران ، دمعا ، مقلة ، دم" دالّ على النوعيّة ، وهي هنا للتعظيم .

12 ـ الرابط " أم" متصل ، يطلب به وبالهمزة التعيين .

13 ـ نسج كلام الناظم "أم هبّت الرّيح " و "أومض البرق" على غير المألوف ، لأن أم تفيد المعادلة . ومن شروطها أن تقع " بين مفردين وبين

جملتين ، والجملتان تكونان اسميتين أو فعليتين ، ولا يجوز أن يعادل بين اسمية وفعلية إلا أن تكون الاسمية بمعنى الفعلية أو الفعلية بمعنى الاسمية[1]" والشاعر لم يعادل بين الجملتين ، ذلك أنه ذكر الاسمية ثم أتى بالفعلية في موضعين : " هبّت الريح " و "أومض البرق " . وهذا الاستعمال غير مستساغ ، لأنه عدول عن القاعدة . بيد أن الناظم بهذا الخرق قد قوى عملية التأثير والإيحاء من خلال التقابل بين عناصر الجملة ، لأن التذكر كظاهرة معنوية يقابله هبوب الرياح ، وإيماض البرق ، وهما ظاهرتان محسوستان . والثبوت في الأسماء تقابله الحركة في الأفعال ، وهي أليق بالمقام لما يتميز به كل من الريح والبرق من حركة . فلو عادل الناظم بين الأسماء لضاعت هذه الحلاوة والطلاوة التي يحس السامع بقوة سحرها مع الأفعال دون الأسماء .

14 ـ الأعلام : ("بذي سلم"، " كاظمة "، "إضم") أعطت الخطاب شحنة إخبارية متميزة ، لأنها تحمل دلالات مركزية ، ودلالات هامشية[2] . أما المركزية فتتمثلة في القدر المشترك بين أفراد المجتمع ، من ذلك أن " ذي سلم " موضع بين مكة والمدينة[3] ، وكاظمة موضع بقرب المدينة المنورة[4] ، و"إضم" واد بقرب المدينة المشرفة[5] . وأما الهامشية فتتمثلة فيما تحمله هذه الكلمات من ظلال معنوية خاصة بتجارب الشاعر . فهي مصدر الهامه ، ومخزن عطائه وقد صدق من قال : إننا نحمل وطننا اللغوي والشعري أطفالا في أعقاب أحذيتنا[6] .

---

(1) انظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 105 .

(2) انظر إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 106 وما بعدها ، و"مونان "مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، ص 139 وما بعدها .

(3) انظر ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 240 .

(4) المصدر نفسه ج 4 ، ص 431 .

(5) انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 244 ـ 215 .

(6) مونان ، مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، ص 141 .

15 ـ خروج الاستفهام إلى معنى الحيرة قوى الشحنة الإخبارية ، وميز الجملة بخصائص أسلوبية ، لم يقف الناظم عند حدودها ، بل تجاوزها إلى أعماق الدّلالة ، حيث كسّر قانون التواصل بعدوله عن مخاطبة ما يجب أن يخاطب إلى مخاطبة نفسه التي جرّد منها شخصا مزج دمعه الجاري بالدم ، واستفهم عن سببه ، أهو من تذكر الجيران المقيمين بذي سلم أم من هبوب الريح من جهة كاظمة وإيماض البرق في الظلماء من إضم ؟

النمط الثاني | جملة اسمية مصدرة بكيف |

من هذا النمط ثلاثة أمثلة :

ـ "وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ∴ قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم"(241).

ـ "فكيف تنكر حبا بعدما شهدت ∴ به عليك عدول الدمع والسقم"(239).

ـ "وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ∴ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم"(240).

يمكن إيجاز نظام الجملة الاستفهامية في هذه الأمثلة كما يلي :

ـ أداة الاستفهام "كيف" + جملة مضارعية + جار ومجرور + متضايفان + نعت + نعت (جملة مضارعية) .

ـ أداة الاستفهام "كيف" + جملة مضارعية + مضاف + مضاف إليه (جملة موصولية أو مصدرية) + أداة عطف + معطوف .

ـ أداة عطف الواو + أداة الاستفهام "كيف" + جملة مضارعية + مضاف + مضاف إليه (جملة موصولية ، صلتها جملة شرطية) .

المستفهم عنه في هذه التراكيب : إنكار الحب ، وإدراك حقيقة الرسول (ص) ، ودعوة الحاجة إلى الدنيا . وقد ارتبطت هذه المعاني بأفعال مكونة من وحدات صرفية مفيدة(1) يمكن أن تتمفصل(2) كالآتي :

---

(1) انظر : Dubois et autres dictionnaire de linguistique (morpheme) Vendiyes le langage, p949

(2) انظر فكرة : martimet , elements "la dégu-ble articulation dulangage" de linguistique génerale , p13 - 15

- تدكر ← ت / تكر
- يدرك ← يـ / درك
- تدعو ← ت / دعا

الوحدات الصرفية مختلفة الدّلالة ، إذ في الفعل الأوّل دالّة على المفرد المخاطب ، وفي الثاني دالة على المفرد الغائب ، وفي الأخير دالة على المؤنث الغائب .

أما التركيب الاستفهاميّ في البيت الأوّل فمرتبط بمعنى الإنكار الدال على الاستبعاد والنفي ، اذ كأن الناظم قال : " لا يدرك في الدنيا . . . " والجملة في بنية السّطح مضارعية مثبتة ، وهي في بنية العمق مضارعية منفية . وأما في البيت الثاني فدالّ على التعجب . وأما في البيت الأخير فمرتبط بمعنى الإنكار الدال على النفي ، فكأن الشاعر قال : " لا تدعو إلى الدنيا . . . " . والجملة في بنية السّطح مضارعية مثبتة ، وهي في بنية العمق مضارعية منفية .

النمط الثالث : | جملة استفهامية مصدرة بما |

ونظامها : أداة استفهام " ما " + جملة اسمية + جملة شرطية + أداة عطف + محذوف (جملة استفهامية تحوي جملة شرطية) :

"فما لديك إن قلت اكففا همتا : وما لقلبك إن قلت استفز يهم" (233).

اختلاف البنيتين : السّطحية والعميقة من حيث الإضمار والحذف . فالإضمار متمثل في كلمة (قلب) المقدّرة في الفعلين : " استفز ، ويهم " ، والحذف متمثل في التمييز في كلمة " همتا " ؛ لأن الكلام (همتا دمعا) . والتمييز محوّل عن الفاعل والتقدير في البنية العميقة (همى دمعهما) فالناظم حوّل الإسناد عن الدمع في البنية السّطحية إليهما على سبيل المجاز العقليّ ، لأن العين لا تسيل ، إنما يسيل ماؤها . كما حذفت اللفظتان : " لهما ، وله " في : " فما لديك إن قلت " ، و" ما لقلبك إن قلت " . أما الفاء في قوله : " فما لديك . . . " ففصيحة .

الجملة " وما لقلبك إن قلت استفز يهم " معطوفة على " فما لعينيك إن قلت اكففا همتا " ، وهذا من باب عطف الإنشاء على الإنشاء . والجملتان : " اكففا ، واستفز " مفعولان (مقول القول) .

فك الإدغام في " اكففا " مخالف لقواعد العربية ، لأنه غير جائز ، غير أن الناظم اضطر إلى ذلك اضطرارا[1] .

أما الاستفهام في هذا البيت فدال على الإنكار ، وقصد به اضطرار المخاطب إلى الاعتراف .

النمط الرابع : جملة استفهامية مصدرة بمن

ونظامها : أداة استفهام " من " + جملة اسمية + جار ومجرور + متخايفان × 2 + مفعول مطلق (جملة مصدرة بحرف الجر) :

— "من لي برد جماح من غوايتها ∴ كما يرد جماح الخيل باللجم"[239]

الجملة " كما يرد جماح الخيل باللجم " مفعول مطلق دال على التشبيه والتوكيد ، لأن الكلام مقدر في البنية العميقة بـ (ردا مثل ردّ جماح الخيل باللجم في القوة والعنف) . والجار والمجرور " من غوايتها " متعلق بمحذوف صفة للجماح ، لم تظهر في البنية السّطحية ، وهي في البنية العميقة (جماح ناشئ من غوايتها) .

أما التركيب الاستفهاميّ فدالّ على التمني والاستعطاف والاستغاثة ، ويمكن أن يكون دالا على الإنكار ، لأن الناظم لما تبيّن أن النفس لم تتعظ بواعظ الشيب استفهم على سبيل التمني والاستعطاف والاستغاثة عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السّنية والأحكام الدينيّة .

---

(1) انظر عبد الله محمد بن جعفر القيرواني ، ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ص 92 ، و 132 ، و 133 .

النمط الخامس : جملة استفهامية مصدرة بما ذا

ونظامها : أداة استفهام " ماذا " + جملة ماضوية + جار ومجرور × 2 + متضايفان :

— "هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم" (246)

بنية السطح

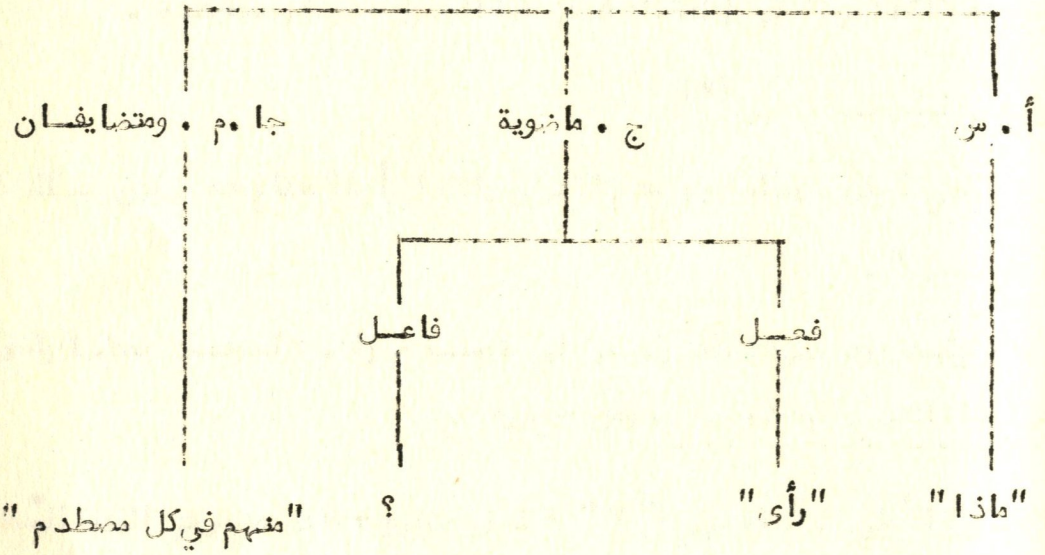

بنية العمق

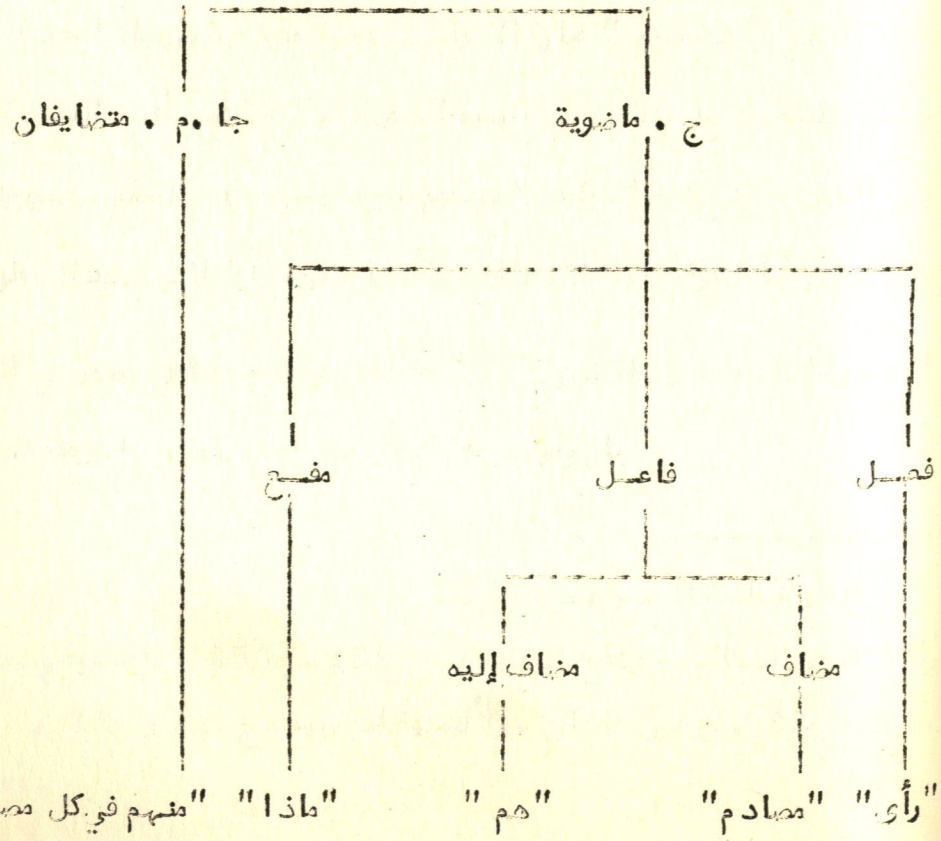

في تحديد وظيفة " ماذا " هناك من اعتبرها بتمامها اسم استفهم وهو الرأي الذي نرجحه ، وعليه نعتبرها مفعولا به في البنية العميقة . وهناك من عد "ما" اسم استفهم مبتدأ ، وخبره " ماذا " وهو اسم موصول ورأى صلته .

والجار والمجرور " منهم وفي كل مصطدم " متعلقان برأى . وإضمار الفاعل في البنية السّطحية وظهوره في البنية العميقة بصيغة (فاعل) دلّ على معنى المشاركة وقوى دلالة الأمر[1] في إزالة الشك في قوة الرسول (ص) وصحابته .

رابعا — جملة النهي[*]

هي أسلوب يطلب به عدم الاتيان بالفعل أو الامتناع عنه ويكون بلفظة "لا تفعل" .

وقد ورد هذا التركيب في خمسة مواضع كونت نمطا واحدا تمثل في جملة النهي المصدرة بلا . ومن صوره .

الصورة الأولى : أداة نهي " لا " + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية :

—"وراعها وهي في الأعمال سائمة .·. وإن هي استحلت المرعى فلا تسم"[240].

جملة النهي " فلا ستم " عبارة الجواب ، وهي مصحوبة بإيجاز الحذف ، لأن الناظم حذف المفعول به المقدر في البنية العميقة ب (فلا تسم أنت النفس) . والداعي إلى الحذف قد يكون التوكيد والتعميم ، وقد يكون ضيق المقام ، وضرورتي : الوزن والقافية . أما اقتران الجملة بالفاء ، فلأنها طلبية وأما النهي فدالّ على معنى الإرشاد .

الصورة الثانية : أداة نهي " لا " + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + مفعول به + متضايفان + جملة تعليلية :

---

(1) انظر جملة الأمر ، ص 167 .

(*) انظر السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 152 — 253 . والسيوطي ، الإتقان ، ص 32 . وريمون طحان ، الألسنية العربية ، ج 2 ، ص 33 .

ـ "فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة الفهم"(239)

البنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار والتقديم والتأخير والحذف . أما تقديم الجار والمجرور في " فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها " فالأرجح أنه للتنبيه والتوكيد ، لأن الناظم بنى هذا البيت على تصور شخص قال له : لاحاجة إلى رد النفس ، لأنك إن أعطيتها ما تتمناه من المعاصي أنكسرت شهوتها فردّ عليه بقوله : " فلا ترم بالمعاصي . . . " . وأما الحذف فمتمثل في أداة التعليل (لأن أو الفاء) الداخلين على الجملة التعليلية ، وكلاهما صالح للتعليل .

أما النهي فدال على معنى النصح والإرشاد . والنصيحة فيه مشحونة بقوة دلالتها وطابعها الحكمي .

الصورة الثالثة : أداة نهي " لا " + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به + جار ومجرور + متضايفان + جملة تعليلية :

ـ " لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم"(243)

النهي ـ هنا وارد على حقيقته ، وهو الكفّ عن إنكار الوحي من رؤيا الرسول (ص) أما قوله : " من رؤياه " ، فإن قصد بمن الابتداء فسّر كلام الناظم بـ (لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم) ، وإن أعتبرت " من " ظرفية فالتقدير (لا تنكر الوحي في رؤياه ، وأما التنوين في " قلبا " فللتعظيم ، لأن قلب النبي (ص) متصف باليقظة الدائمة . وأما الصيغة " لا تنكر " فهي من إطلاق الخاص على العام (أي لا تنكروا .

الصورة الرابعة : أداة نهي "لا " + فعل مضارع مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + مفعول به + أداة عطف + معطوف + جملة تعليلية + أداة عطف + معطوف :

- "ولا تطع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم"(240).

البنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار والتقديم والتأخير والحذف . فتقديم الجار والمجرور " منهما " في " ولا تطع منهما خصما " للتوكيد . وأما الحذف في : " ولا حكما " فهو من عادة العرب في كلامها .

والنهي مؤكد بالتعليل ، ودال على النصح والارشاد .

الصورة الخامسة : أداة نهي " لا " + فعل مضارع مقترن بنون التوكيد الخفيفة + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور (متعلق بتعجبن) + نعت (جملة فعلية) + حال (جملة فعلية) + مفعول لأجله أو حال + جملة حالية + نعت :

- "لا تعجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم"(245).

الجملتان : " ينكرها تجاهلا " و " وهو عين الحاذق الفهم " حالان ، وصاحب الحال فاعلا (راح[1] ، وينكر) المضمران . والجملة " راح ينكرها تجاهلا) نعت لحسود ، وهي جملة مركّبة . وسنتحدث عن هذه الجمل في أماكنها .

أما النهي - في هذا التركيب - فدال على النصح والإرشاد .

خامسا - الجملة الدعائية(*)

الدعاء هو الطلب على سبيل الاستغاثة ، والعون ، والتضرع ، والعفو ، والرحمة ، وما أشبه ذلك ، ويكون لمن فوق الداعي والطالب مرتبة .

والجملة الدعائية قد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركبة كأن تكون مضمون نداء في جملة ندائية .

تمثل هذا النوع في نمطين :

---

(1) تعتبر راح بمعنى ذهب ، وليس بمعنى صار .

(+) انظر ابن فارس ، الصاحبي ، ص 137 .

النمط الأول : فعل دعاء + مفعول به + فاعل + جملة اسمية منسوخة + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة اسمية منسوخة) :

ـ "عدتك حالي لا سري بمستتر عن الوشاة ولا دائي بمنحسم"(*) 239

بنية السطح

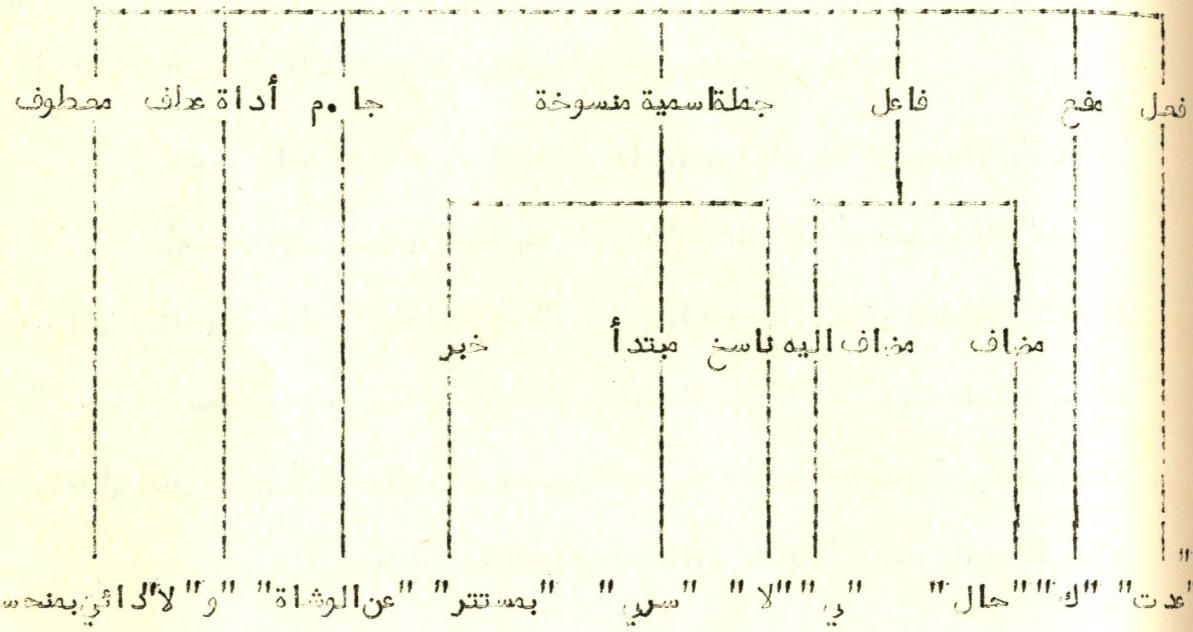

الجملة " لا دائي بمنحسم " معطوفة على " لا سرّي بمستتر عن الوشاة " ، وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا ، اذ كأن الناظم قدّر سؤال لائم ب (وما حالك التي استحظمتها ؟) فأجابه (والسرّ لا يكتمه الشخص عن غيره) . والجار والمجرور " عن الوشاة" متعلق " بمستتر " ، والتقديم والتأخير في " عدتك حالي " من باب الحذف والايصال ، لأن الكلام مقدّر في البنية العميقة ب (عدت إليك) ، فحذف (إلى) ووصل الفعل ب الكاف حتى صار الكلام " عدتك حالي " .

والجملة الدعائية مشحونة بمعنى الاستعطاف ، لأن الناظم لمّا أبدى المعذرة للائمة في الهوى الحذريّ في البيت السابق لم يرجع عن اللوم ، بل استعطفه بالدعاء قائلا : (عدتك حالي أي جاوزتك حالي . وقد تكون الجملة هذه استفهامية والهمزة مقدرة . كما يمكن أن تكون إخبارية . بيد أننا نرجح الدعائية للأسباب المذكورة .

(*) انظر ابن فارس ، الصاحبي ، ص 137 .

النمط الثاني : فعل الدعاء + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + جملة تعليلية تحوي جملة شرطية + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية مكونة من فعل الدعاء + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + نعت + جار ومجرور × 2 + أداة عطف + معطوف) :

ـ "والطف بعبدك في الدارين إن له ∴ صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

ـ "وائذن لسحب صلاة منك دائمة ∴ على النبي بمنهل ومنجسم" (243)

الجملة " والطف بعبدك في الدارين ... " معطوفة على " واجعل رجائي غير منعكس لديك ... " في البيت السابق ، والجملة "وائذن لسحب صلاة ... " معطوفة على " والطف بعبدك في الدارين ... " ، والجملة " إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم " علة ل (والطف بعبدك في الدارين) .

وشبه الجمل " بعبدك + في الدارين " متعلقان (بالطف) . و "لسحب + على النبي " متعلقان (بائذن وبدائمة) . أما " منك " فصفة للصلاة ، وأما " بمنهل " فصفة لموصوف مقدّر في البنية العميقة ب (بمطر منهل) .

والإضافة في " سحب صلاة " من إضافة المشبه به إلى المشبه أي كأن الناظم قال : للصلاة الشبيهة بالسحب ، والجامع أن كلا رحمة .

وكلمة " عبدك " تعبير مناسب لمقام الدعاء . وكلمة " دائمة " إن قرئت بالكسر فهي نعت للصلاة أو السحب ، وإن قرئت بالنصب فهي حال من الصلاة .

وحرفا اللام والباء في " سحب ومنهل " للتعدية .

سادسا ـ جملة الترجي (*)

لم نعثر في البردة إلا على نمط واحد . نظامه كالآتي

أداة ترج + جملة اسمية (مبتدأ + متضايفان + ظرف + مضاف إليه (جملة مضارعية) + خبر (جملة فعلية مكونة من فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور .

(*) انظر ابن فارس ، الصاحبي ، ص 170 . والسيوطي ، الإتقان ، ج 2 ، ص 32 .

ـ "لعل رحمة ربّي حين يقسمها .. تأتي على حسب العصيان في القسم"(248)

بنية السطح

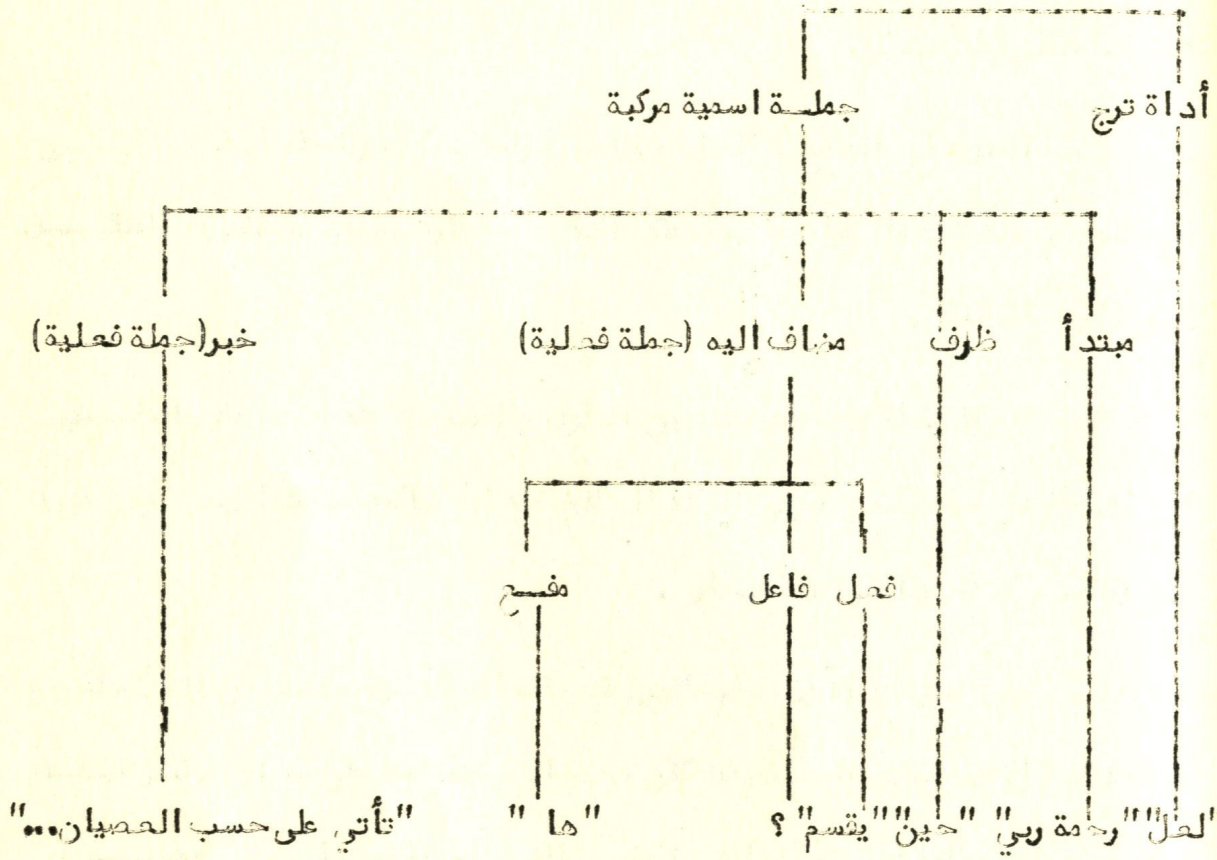

الجملة " يقسمها " مضاف إليه . والجملة " تأتي على حسب العصيان . . . " خبر . والمجرورات : " على حسب ، وفي القسم " متعلقة (بتأتي وبحسب) . والمضاف والمضاف إليه " حين يقسمها " متقدم في البنية السّطحية على الخبر ، والتقدير في البنية العميقة : (لعل رحمة ربي تأتي على حسب العصيان في القسم حين يقسمها) . والناظم في هذا التركيب يرجو أن تكون رحمة الله آتية في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم . وبناء عليه فنسبة لعلّ في هذا المثل نسبة شك وظن لا نسبة يقين ، اذ استعملها مخلوق قد يتحقق رجاؤه ، وقد لا يتحقق(1)

---

(1) انظر الزركشي ، البرهان ، ج 4 ، ص 159 .

خصائص الجملة الطلبية .

أسفر الوصف عمّا يلي :

أولا ـ جملة الأمر .

1 ـ التنويع في الصيغ : افعل ، وفاعل ، وافتعل ، واستفعل قد أفضى إلى تنوع في الدّلالة والأغراض ، وبه عقد الناظم حوارا حقيقته تشريك المتقبل في الرسالة .

2 ـ الجملة الأمرية جمعت بين الطول والقصر والاعتدال ، ففي الطول كان الناظم ناصحا مرشدا ، وفي الاعتدال كان مادحا ذاكرا صفات الرسول (ص) وفي القصر كان داعيا للاعتبار .

3 ـ ومن مميزات الأمر في البردة قلة أثر التثنية ، ذلك أن الناظم لم يستخدمها إلا في موضع واحد حينما كان فعل الأمر معطوفا على سياق ذكر فيه النفس والشيطان في : " خالف النفس والشيطان واعصهما ..." وهذا الأسلوب يخفف من وطأة القدم ، ويضفي على النص طابع الحداثة .

4 ـ السمة الغالبة على معاني الأمر في البردة النصح والإرشاد . وهذا طبيعي ، لأن الموضوع مدح الرسول (ص) ، وغاية الناظم إيصال الرسالة للمتقبل . فوجد في حقل تجاربه الواسعة طريقا للنصح والإرشاد ، ومن هذا المنطلق يغدو تنبيه الغافلين أمرا واجبا . والأمر عند الشاعر لا يتوقف عند هذا الغرض ، بل يتعداه إلى تفجير دلالات بلاغية منها :

أ ـ النصح والإرشاد .

ب ـ الالتماس

ج ـ الإنكار

د ـ التحسر والنصح

هـ ـ الاعتبار

5 ـ السمة المميزة لجملة الأمر في البردة ـ هي أن يرد المسند

إليه الأمر غير معين ، ويكون غالبا في الصدارة . وهذا الأسلوب يدفع إلى الاعتقاد بأن المأمور في تلك الحالة هو في الغالب الشاعر نفسه ، فيكون رد فعل متمثلا فيما يلي الأمر فيصطبغ عنده بمعنى الحاضر . أو بمعنى الإنسان في مفهومه العام ـ الذي يراد منه الامتثال للطلب والالتزام بموقف الناظم ، ولا ينتظر منه ردّ فعل سواء الاقتداء بدعوته .

ثانيا ـ جملة النداء .

تميزت الجملة النداءية بما يلي :

1 ـ السمة الغالبة على الجملة النداءية الطول ، وربما كان هذا منسجما مع طبيعة المنادى والموضوع ؛ لأن الله تعالى ، والرسول (ص) والنفس واللائم محاور أساسيّة للنداء .

2 ـ يميل الناظم في البردة إلى تفضيل أداة النداء " يا " التي شكّلت نموذجا أسلوبيا [1] ، فوردت مع جميع الصور النداءية ، وبها نادى القريب . وهذا يفسر بأن الذي ينادى عالي المرتبة عظيم الشأن ، ولنا في نداء الله والرسول (ص) دليل قاطع . فالعدول إذن بأداة النداء " يا " من مناداة البعيد إلى مناداة القريب مبالغة في المدح والتعظيم ، وزيادة في إظهار عاطفة جامحة .

3 ـ خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معاني :

أ ـ التعجب	و ـ الاستعطاف
ب ـ تحقق الأمر وتقرره	ز ـ الدعاء
ج ـ الاستغاثة	ح ـ التأنيس
هـ ـ التحسر والندامة	ط ـ التوبيخ

---

(1) انظر فكرة النماذج الأسلوبية ، د . عبد السلام المسدي ، النقد والحداثة ، ص 61 وما بعدها ، و pierre guirand , la stylistique , p 111

فأسلوب النداء بهذه الصورة يبرز أزمة الناظم ويساهم في بناء البردة مبنًى ومعنًى . إنه منشط وواصل يخفف من وطأة الطول وفي الوقت نفسه يساهم فيه . وبناء على هذا فإن التحوّل من الخبر إلى الإنشاء هو في عمومه تحول من التعطل إلى النشاط ، وهو في مستوى العاطفة تحول من الهدوء إلى التأجج .

ثالثا - جملة الاستفهام :

1 - التنويع في أداة الاستفهام غالبا ما يفضي إلى تنوع اتجاه الاستفهام فيكشف عمّا في نفس الشاعر من حيرة غالبة وقلق عام .

2 - السمة الغالبة على الجملة الاستفهامية الطول ، وأحيانا الطول المفرط . هذه الظاهرة الأسلوبية ربما كانت وسيلة لجأ اليها الناظم للجمع بين محاور ثلاثة هي من الأهمية لمكان الرسول (ص) ، وحب الرسول (ص) ، والنفس .

3 - تميز الاستفهام - من حيث الحدول - بسعة المدى وقوة التأثير والإيحاء ، لأنه في البردة أدى دور التادح المنشط لحركة القصيدة وممّا دلّ عليه :

أ - الحيرة

ب - الاستعطاف والاستغاثة

ج - الإنكار

د - الإنكار المتضمن معنى النفي .

فبعد دلالات الاستفهام ، وخروجه عن معناه الأصليّ إلى معان مجازية ، عوامل تحوّل الاستفهام في البردة من وجهته الأصلية في إقامة الحوار بين الشاعر ونفسه من ناحية ، وبين الشاعر والمتقبل من ناحية أخرى .

رابعا ـ جملة النهي :

تميزت بما يلي :

1 ـ السمة الغالبة على جملة النهي ارتكازها على أسلوب التحليل بالروابط وبدونها ، وهذا يدل على أن الناظم يتجاوز حدود الطلب والامتناع إلى التحليل والتدليل ، وبالأخص عندما يكون ناهيا عن النفس أو مدافعا عن الرّسول (ص) .

2 ـ خروج النهي عن معناه الأصليّ إلى معان أخرى كالنصح والإرشاد وهي السمة الغالبة عليه ، لأن الموضوع يقتضي ذلك .

أما اللغة . كما تجلت من خلال بنية الجملة الطلبية في البردة ـ فقد كانت ملتزمة بقواعد العربية في جلّ استعمالاتها ، مرنة بفضل اتساع مجالها الدّلاليّ . وكان التصرف فيها وفقا لسنن العرب في كلامها . هذا إن استثنينا بعض الظواهر اللغوية القليلة التي خرق الناظم فيها القاعدة[1] . لكن الخرق هذا لم يخل من طرافة ، فقد كان مظهرا من مظاهر الإبداع .

هذه بعض سمات النظم في البردة ـ من خلال بنية الجملة الطلبية ـ وستكشف الجملة الشرطية عن جوانب أخرى من أسراره .

2 ـ الجملة الشرطية(*)

الشرط أسلوب لغويّ ينبني على جملة مركّبة تتألف من أداة (حرف أو اسم) ، ومن شقين : الأوّل منزل منزلة السبب ، وهو الشرط والثاني منزل منزلة المسبب وهو الجزاء[2] .

---

(1) انظر فكرة العدول في الأسلوب ، Oswald Ducrot/ Todorv Dictionnaire encyclopédique des scinces du langage lécart, éd du semil 1972

(*) أفاد البحث في هذا القسم من جهود : مهدي المخزومي ،في النحو العربي ، ص 277 وما بعدها ، وريمون طحان ،الألسنية العربية ، ج 2 ، ص 91 ـ 92 ، وعبد السلام المسدي . . . الشرط في القرآن ،ومالك يوسف المطلبي ، في التركيب اللغوي .

(2) هناك تسميات كثيرة لهذين الشقين ، منها : (جملة الشرط ،وجملة الجواب) ، و (صدر جملة الشرط ، وعجز جملة الشرط) ، و (عبارة الشرط ، وعبارة الجواب) وقد آثرنا التسمية الأخيرة لدقتها في التعبير عن غرضنا .

تقوم الأداة بربط الشقين ربطا وثيقا يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر. يسمّى الشق الأوّل عبارة الشرط، ويسمّى الشق الثاني عبارة الجواب أو الجزاء. وليس عبارتا الشرط والجواب جملتين، لأن كلا منهما بمفرده لا يعبر عن فكرة تامة. وهذه الفكرة إنما تعبر عنها الجملة الشرطية[1]. وقد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركّبة كأن تكون جواب شرط أو صفة، أو خبرا ...

وقد تتبعنا هذا الأثر في البردة فلاحظنا ميل الناظم إلى استخدام أداة الشرط " إن " وهي من أدواته الأصلية. فقد وردت نحو تسع مرات، وهي نسبة لا تشاركها فيها أية أداة شرطية أخرى. وبقية الأدوات المستعملة هي: لو، إذا، أنى، ما، من، متى، لولا، لما).

فإذا نظرنا إلى الجمل الشرطية وجدنا لنظاما أنماطا زعناها بحسب أداة الشرط.

النمط الأوّل: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة "إن"

تمثل هذا النمط في الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة الشرط " إن " + عبارة الشرط / فعلها مضارع + جار ومجرور + عبارة الجواب / فعلها مضارع:

— "ومن تكن برسول الله نصرته .. إن تلقه الأسد في آجامها تجم"[247]

---

(1) انظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 189، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 6، ص 156.

بنية السطح

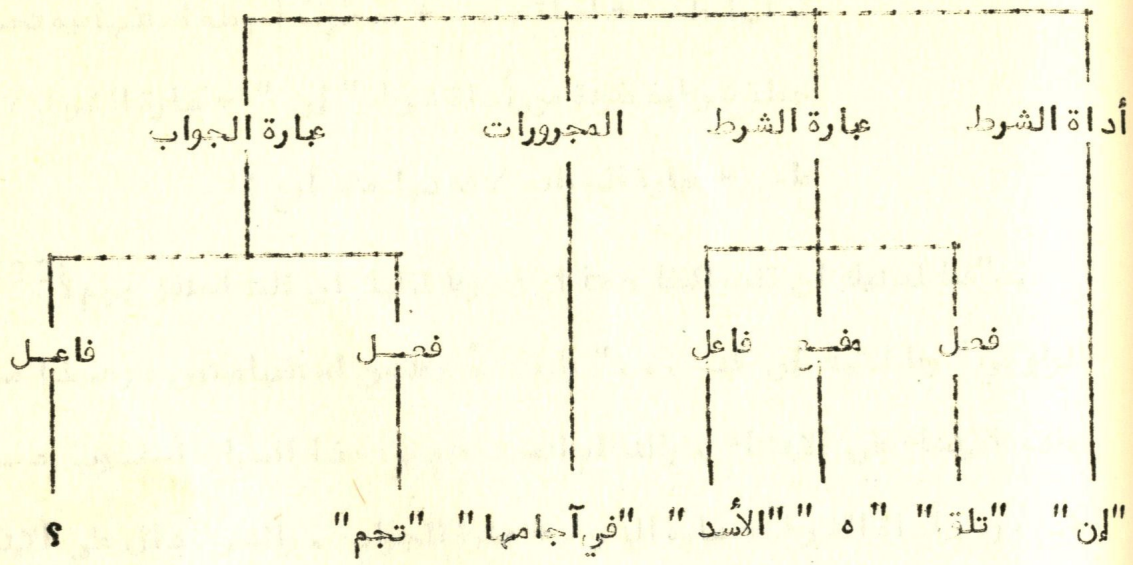

بنية العمق

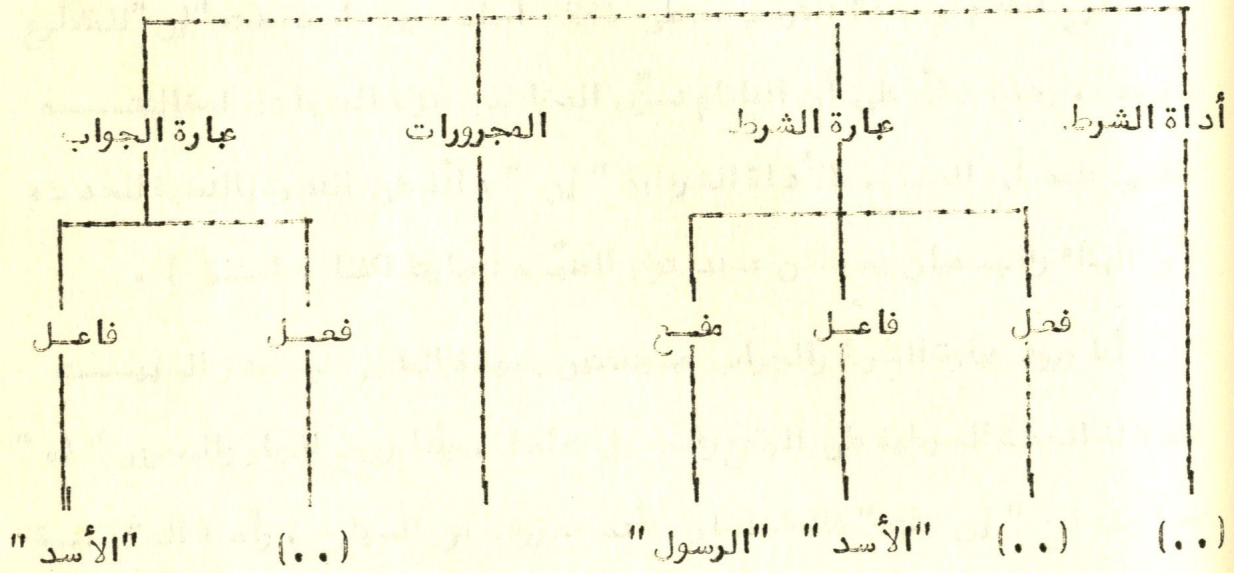

البنيتان : السطحية والعميقة مختلفتان من حيث التقديم والتأخير ، والإضمار والإظهار ، وعبارتا الشرط والجواب مؤلفتان ، لأن كلا منهما بصيغة المضارع . والجار والمجرور " في آجامها " حال من الأسد .

وقد عبّر الناظم " بإن " ، لأن الشرط مجرّد فرض .

الصورة الثانية : أداة شرط " إن " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها ماض + أداة عطف + معطوف (جملة استفهامية تحوي جملة شرطية مكونة من أداة شرط " إن " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها مضارع :

ـ "فما لديك ان قلت اكففا همتا ؟ .: وما لقلبك إن قلت استفز يهم ؟" 233

الواو في " وما لقلبك إن قلت ... " رابط ضمّ جملتين استفهاميتين ، وهذا من عطف الإنشاء على الإنشاء . والنظام المستخدم في هذا السياق أسلوب عربي عادٍ ، وهو أداة الشرط + عبارة الشرط + عبارة الجواب . والشرط دال على الإنكار والتعجب المستفاد من الاستفهام .

خرج الكلام في هذا التركيب ـ على خلاف أصله حيث أستعملت "إن" للمقطوع بثبوته . وهذا دالّ على أن الناظم نزّل المخاطب منزلة المتجاهل لمخالفته مقتضى علمه أي الحب . فالأداة الشرطية " إن " دالّة على الندرة بالنسبة للحدث ؛ لأن البكاء والهميان يحصلان عند توفر المنبّه (عبارتا اكففا ، واستفز) .

أما ورود عبارة الشرط والجواب موتلفتين بصيغة الماضي في صدر البيت فلدلالة الجملة الشرطية على الوقوع والحصول قطعا . وأما ورود الجار والمجرور " له " محذوف في " إن قلت " فللاختصار ؛ لأنه معروف من السياق . وأما العلاقة بين الشرط والجواب[1] ، فقائمة على الارتباط التلازمي ؛ لأن عبارة الجواب ليست مسببا عن عبارة الشرط ، بل هما متلازمان .

---

(1) وردت صورة شبيهة بهذا التركيب في (245 ـ 3) .

الصورة الثالث : أداة شرط "إن" + عبارة الشرط / فعلها مضارع + عبارة الجواب / فعلها ماض + أداة عطف + معطوف (جملة شرطية مكونة من أداة شرط " إن " + عبارة الشرط / فعلها مضارع + عبارة الجواب : / فعلها مضارع [1] :

- "والنفس كالطفل إن تهمله شب على .: حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم" (239)

عبارتا الشرط والجواب - في صدر البيت - مختلفتان : الأولى مضارعية ، والثانية ماضوية ، ولفظ المضارع بعد "إن" يدل على المشكوك في وقوع فعله ، لأن الطفل قد يهمل وقد لا يهمل . أما العبارتان - في عجز البيت - فمتوافقتان لأنهما بصيغة المضارع ، و"إن" واقعة بعدهما ، فدلّ الشرط على المتطوع بثبوته ، لأن الفطام حاصل لا محالة . وقد اضطره الوزن ، إلى استعمال " إن" بدل " إذا" . كما حسنت عبارة الجواب فعلا مطاوعا ، وهي صفة تتماشى مع طبيعة الطفل الرضيع ؛ لأنه إن ترك على الرضاع فقد يبلغ سن الشباب ، وإن فطم امتنع ولم يتضرر منه . وبناء على هذا فالعلاقة بين الشرط والجواب - في هذا البيت - قائمة على الارتباط السببي ، لأن الجواب مسبب عن الشرط مترتب عليه .

والجار والمجرور : " على حب" متعلق "بشب " ، والواو في قوله : "وإن تفطمه ينفطم " رابط جمع بين جملتين شرطيتين . وهذا من باب عطف الشرط على الشرط .

الصورة الرابعة : أداة شرط " إن " + عبارة الشرط / فعلها ماض + رابط + عبارة الجواب / فعلها أمر :

- "وخالف النفس والشيطان واعصهما .: وإن هما محضاك النصح فاتهم" (240)

الضمير "هما" فاعل لفعل محذوف في البنية السّطحية يفسره الفعل المذكور . وقد يكون أصل الكلام " وإن محضا " . فحذف الفعل وانفصل الضمير فصار

---

(1) نسمي أحيانا عبارتي الشرط والجواب : (الشرط والجواب) للاختصار .

"وان هما محضاك " . ويجوز أن يكون الضمير "هما " مبتدأ والجملة بعده خبرا . على مذهب الأخفش والكوفيين . الواو في قوله : "وإن هما محضاك . . ." رابط جمع بين جملة شرطية وأمرية وهذا من باب عطف الإنشاء على الإنشاء ، لأن الجواب مرتبط بالفاء دال على الطلب . وحذف المفعول به " هما " (النفس والشيطان) في" تّهم " لمراعاة الوزن .

أما التعبير " بأن "التي هي للشك فإشارة إلى أن إخلاص النفس والشيطان النصح أمر مشكوك فيه ، بل لا يحصل البتة .

الصورة الخامسة : أداة شرط "إن" " عبارة الشرط / فعلها مضارع + رابط + عبارة الجواب / جملة اسمية منسوخة + أداة عطف + معطوف :

ـ "ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض ∴ من النبيّ ولا حبلي بمنصرم " . (243)

عبارتا الشرط والجواب مختلفتان : الأولى مضارعية ، والثانية جملة اسمية، والتنوين في "ذنبًا " للعموم ، لأنه يشمل الذنوب كلها واحدا بعد آخر . والباء في كلمتي " بمنتقض ، وبمنصرم " زائدة ، والجار والمجرور "من النبيّ " متعلق بمنتقض . أما حذف الجار والمجرور " من النبيّ " في " ولا حبلي بمنصرم "فدالّ عليه السياق . وأما الإضافة في " عهدي " فهي للعهد والمعهود هو الإيمان .

والعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط التلازميّ ، لأن إيمان الشاعر ملازم لعهده .

الصورة السادسة : أداة شرط " إن" + عبارة الشرط / جملة اسمية منسوخة + جار ومجرور + متضايفان + تمييز أو مفعول لأجله + رابط + أداة شرط "إلا " + جملة شرطية مختزلة + رابط + عبارة الجواب / فعلها أمر :

تميّز هذا التركيب بما يلي :

1 — عبارة الشرط جملة اسمية منسوخة " لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلا " ، المبتدأ فيها ضمير مستتر يعود على النبيّ (ص) .

2 — كلمة " فضلا " تمييز من نسبة آخذا إلى فاعله . ويجوز أن تكون مفعولا لأجله . قد وضح سبب الأخذ باليد .

3 — أفاد الواو في قوله " والا فقل ... " الربط والاعتراض بين عبارة الشرط الأولى ، وعبارة الجواب . وقد يكون توكيدًا / للشرط الأوّل .

4 — المجرورات " في معادي ، وبيدي " الأوّل متعلق بيكن ، والثاني متعلق " بآخذ " .

5 — الجملة الشرطية مختزلة بين عبارة الشرط ، وعبارة الجواب ، مقدّرة في البنية العميقة " وإن كان آخذا بيدي فزت " ، لأنها مصدرة بلا النافية ، وأداة الشرط " إن " . أدغمت الثانية في الأولى فصارت " إلاّ " . وقد تكون هذه الأداة زائدة في الكلام فتصير " فقل " جوابا لعبارة الشرط .

النمط الثاني : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة لو

ضمّ هذا النمط ثلاث صور :

الصورة الأولى : أداة شرط " لو " + عبارة الشرط / فعلها ماض + تمييز + عبارة الجواب / فعلها ماض + مضاف + مضاف إليه (جملة فعلية) :

— "لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم" (241)

تقديم المفعول به " قدره " على الفاعل " آياته " دالّ على أن قدر النبيّ (ص) في منتهى الرفعة والقرب من الله تعالى . وكلمة " عظما " تمييز ، ونائب الفاعل في " يدعى دارس الرمم " مضمر في البنية السّطحية ، مقدّرة في البنية العميقة بـ (يدعى به) — الرسول (ص) — حذفت الباء والتصل الضمير بالفعل فاستتر .

وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان : كلاهما بصيغة الماضي . وقد يفهم من هذا التركيب أن الناظم لمّا تصوّر أن آيات الرسول (ص) لم تناسب قدره في العظم استدل على ذلك بأنه لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحي اسمه دارس الرمم حين يدعى به ، لكن لم تكن من آياته أن يحي اسمه دارس الرمم حين يدعى به . فلم تناسب آياته قدره في العظم ، لأن قدره أعظم من آياته . فعبّر بأداة الشرط " لو " التي تفيد امتناع عبارة الجواب لامتناع عبارة الشرط ، أي تنتفي مناسبة الآيات لقدر النبيّ (ص) بسبب انتفاء إحياء الموتى حين يدعى باسمه . وهذا صحيح — فيما يبدو — لأنه لم يقع ، ولو وقع لنقل إلينا : ولأن إحياء الموتى بالتوسل باسمه لم يكن من آياته .

الصورة الثانية : أداة شرط " لو " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها مضارع :

— "يالائمي في الهوى العذريّ معذرة ∴ مني إليك ولو أنصفت لم تلم". (239)

بنية السطح

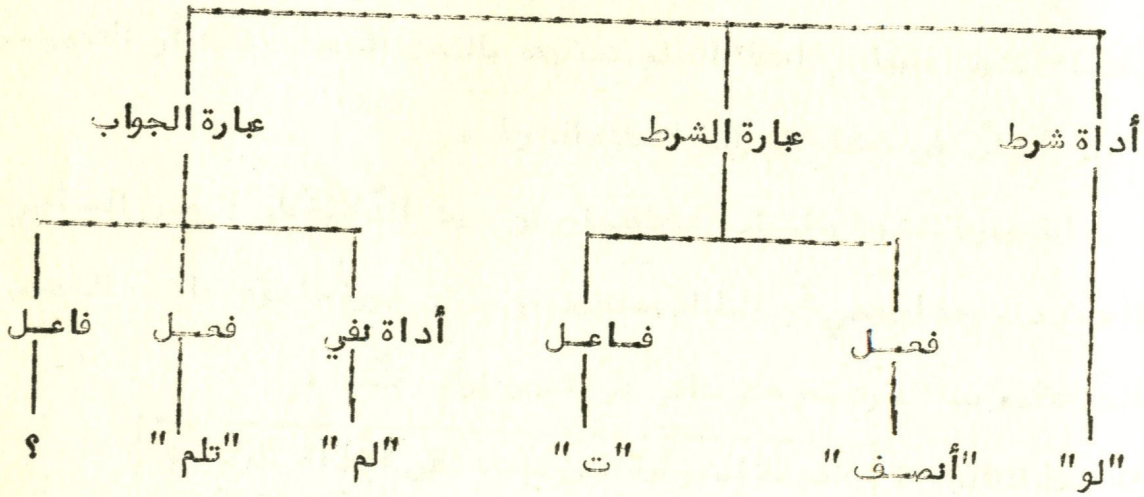

عبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان من حيث الدّلالة على الماضي ، مختلفتان من حيث البناء ؛ لأن الأولى بصيغة الماضي ، والثانية بصيغة المضارع .

الاستفهام والشرط متداخلان مبرزان فكرة الإنصاف والملامة اللتين يشكو منهما الشاعر . هذا على الظاهر ، لكن دخول أداة النفي على عبارة الجواب ووجود " لو " الدالّة على وجوب لامتناع جعلا الجواب ثابتا باعتبار نفي النفي إثباتا ، فصار الشرط منفيا ، فانتفت الملامة ، وبانتفائها تحقّقت عبارة الشرط ، وحصل الإنصاف في الحب العذري ، لأن البيت الشعري مبني على التجريد ، والناظم فيه هو الباث ، وهو المتلقي ، وهو المكتوي بالنار .

الصورة الثالثة : أداة شرط " لو " + عبارة الشرط / جملة اسمية منسوخة + عبارة الجواب / فعلها ماض + نعت (جملة فعلية) + المجرورات :

— " لو كنت أعلم أني ما أوقره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم ".(239)

جملة " أعلم أني ما أوقره " خبر ، و " أني ما أوقره " مفعول به ، و"ما أوقره " خبر أيضا ، و " بدالي " نعت .

تعلقت " لي ومنه " ببدا ، و"بالكتم " بالفعل كتم .

في هذا التركيب المعقد الذي تعددت فيه الوظائف النحوية كان انتفاء إخفاء الشيب سببا في انتفاء الملام بتعظيمه بالفعل الجميل ، ذلك أن التعبير "بلو " دالّ على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

أما عبارتا الشرط والجواب فمؤتلفتان من حيث الدّلالة على الزمن الماضي المتجدد . وهذا يوحي أن الناظم يستعيد من خلال صورة حاضره حالات الشيب التي تظهر ببطء ، وتستمر حتى تأتي على شعر الرأس كلّه .

النمط الثالث : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة "لولا " .

تمثل هذا النمط في صورتين :

الصورة الأولى : أداة شرط "لولا " + عبارة الشرط / جملة اسمية مختزلة + عبارة الجواب / فعلها مضارع + جار ومجرور :

ـ "وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ∴ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم"(240).

تميّز هذا التركيب باختلاف الشرط والجواب ، وورود الجملة الشرطية "لولاه لم تخرج الدنيا من العدم" صلة للموصول " من " ، وتعلق الجار والمجرور "من العدم" بتخرج .

الاستفهام والشرط متداخلان دالّان على الإنكار المتضمن لمعنى النفي. والتعبير " بلولا " دال على أن عبارة الجواب امتنعت لوجود عبارة الشرط ، فلولا وجود الرسول (ص) ـ في نظر الشاعر ـ لاستمرت الدنيا على عدمها ، ولما وجدت ، لأن وجود النبيّ (ص) علّة في وجودها . وبناء عليه فالعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السببيّ .

الصورة الثانية : أداة شرط " لولا " + عبارة الشرط / جملة اسمية مختزلة + عبارة الجواب / فعلها مضارع + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة فعلية) + أداة عطف + معطوف :

ـ "لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ∴ ولا أرقت لذكر البان والعلم"(239)

في هذا التركيب والبيت الذي سبقه التفات من الغيبة إلى الخطاب . وجملة "لا أرقت لذكر البان " معطوفة على عبارة الجواب . و " على طلل ، ولذكر" متعلقان " بترق " ، و " بأرقت " . أما أداة النفي " لا " فزائدة لتأكيد النفي .

حذف الخبر في البنية السّطحية وجوبا لسدّ عبارة الجواب مسده ، وذلك لكونه كونا مطلقا ، والتقدير في البنية العميقة ولولا الهوى موجود) . وعبّر " بلولا " لامتناع الجواب لوجود الشرط . أما العلاقة بينهما فقائمة على الارتباط السببيّ ، لأن عبارة الجواب مسببة عن عبارة الشرط .

النمط الرابع : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة إذا

تمثل هذا النمط في صورتين :

الصورة الأولى : أداة شرط "إذا " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها مضارع :

— "لا تنكر الوحي من رؤياه إن له قلبا إذا نامت العينان لم ينم (243)

بنية السطح

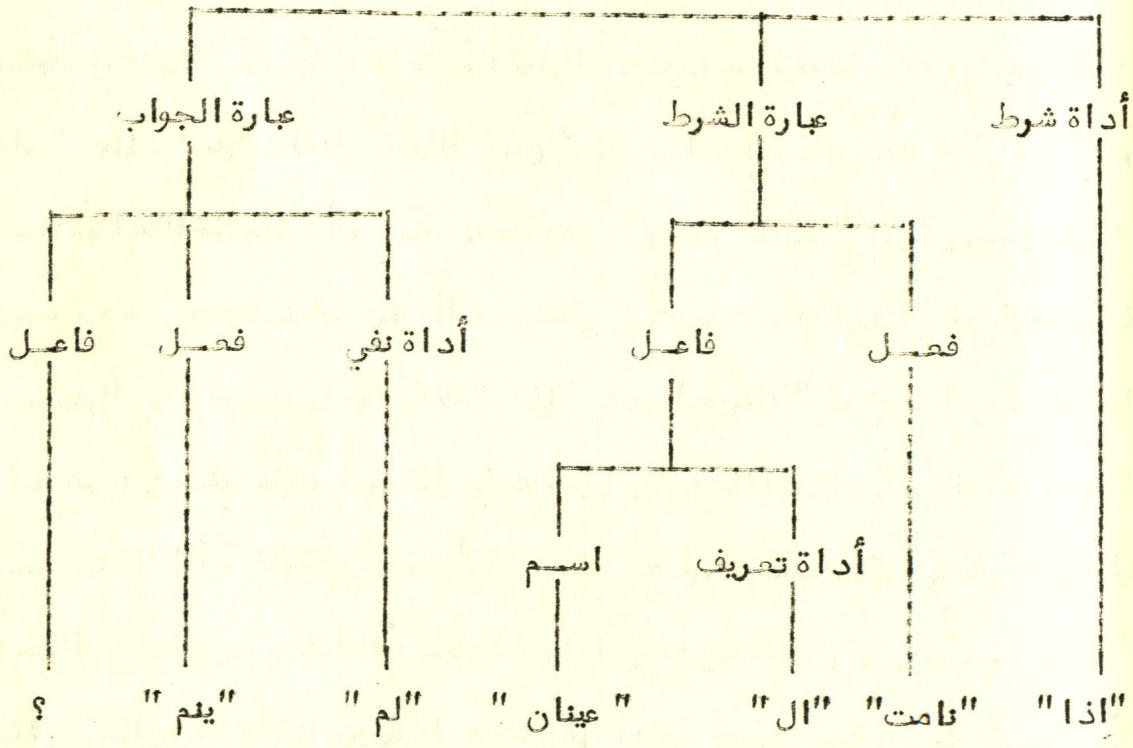

الجملة الشرطية مرتبة ترتيبا عاديا : أداة الشرط + عبارة الشرط + عبارة الجواب وهما مختلفتان : الأولى ماضوية ، والثانية مضارعية . والفاعل في هذا التركيب مضمر في البنية السّطحية مقدر في البنية العميقة بـ (القلب) وهو قلب الرسول (ص) . أما مضمونا الشرط والجواب فمتقابلان : الأوّل قائم على أن العينين تنامان ، والثاني قائم على أن القلب لا ينام . وهذه صفة من صفات اليقظة الدائمة التي تحلّى بها النبيّ (ص) . فعلاقة الشرط بالجواب إذن علاقة تقابل بين نوم العينين ، ويقظة القلب

القلب . وأما التعبير " باذا " وهي ظرف مضمن معنى الشرط — فدالّة من حيث الزمن على الاستمرار ومن حيث الدّلالة على اليقين ؛ لأن النوم طبيعة الإنسان .

الصورة الثانية : عبارة الجواب / فعلها مضارع + أداة شرط "اذا " + عبارة الشرط / فعلها ماض :

—"ولن يضيق ، رسول الله ، جاهك بي .: إذا الكريم تحلّى باسم منتقم

الجملة الشرطية — في هذا التركيب — مرتّبة ترتيبا عكسيا ، لأن عبارة الجواب متقدمة على كلّ من أداة الشرط ، وعبارته . وعبارة الجواب مكونة من أداة نفي " لن " + فعل مضارع + أداة نداء محذوفة في البنية السّطحية ، مقدّرة في البنية العميقة ب ("يا " + منادى مخصص بالإضافة " رسول الله " + فاعل ومضاف إليه "جاهك" + جار ومجرور "بي " متعلق بيضيق ، وهو بمعنى عنّي . أما الجملة النداءية المختزلة فهي اعتراضية ؛ لأنها واقعة بين فعل وفاعل ، دالّة على تركيد قوة معنى سعة صدر الرسول (ص) . وكلمة " الكريم " بعد "إذا " فاعل لفعل محذوف في البنية السّطحية ، مقدر في البنية العميقة ب (إذا تحلى الكريم) . وقد يكون مبتدأ ، والجملة " تحلى باسم منتقم خبرا على مذهب الأخفش والكوفة . أما التعبير "بإذا " — وهي ظرف مضمن معنى الشرط — فقد نزّل الكلام منزلة القطع والجزم ؛ لأن الرسول (ص) لن يضيق جاهه إذا اشتد الأمر يوم القيام ، فهو الذي يشفع للناس جميعا ، ولأن انتقام الله سبحانه وتعالى من العصاة في ذلك اليوم واقع لا محالة ، إلّا من تجاوز عنه، فالله كريم ، والكريم من شأنه التجاوز عن الهفوات .

النمط الخامس : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة من

ضمّ هذا النمط صورتين :

الصورة الأولى : أداة شرط " من " + عبارة الشرط / فعلها مضارع + جـــار ومجرور + متضايفان + عبارة الجواب / فعلها مضارع + جـــار ومجرور + أداة عطف + معطوف :

" ومن يبع آجلا منه بعاجلـــه ∴ يبـن له الغبن في بيع وفي سلم " . (243)

في هذا التركيب جملة من الظـواهـر الأسلوبيـة منهـا :

ورود الشرط والجواب مـوتلفين ، والعلاقة بينهما قائمة على الأرتباط السببيّ. والعبارة " ومن يبع آجلا منه بعاجله " فيها نظر ، لأن الناظم أدخل البـاء فـي قوله :" بعاجله " على غير المتروك وهو متاع الدنيا . وهذا لا يستقيم مـع رغبـة الشاعر التي تنشد ثواب الآخره ، لا متاع الدنيا . والأرجح أن أصـل التـركيـب كـالآتي :

" ومن يبع عاجلا منه بآجله ∴ يبن له الغبن في بيع وفي سلم "

وكذا روى بعض الشارحين البيت . أما المجرورات : " بعاجله ، وله ، وفي بيع " فمتعلقة ب (يبع ، ويبين ، الغبن) . وأما " منه " فنعت لـ " آجلا " . وأمـــا العطف في " بيع وفي سلم " فللتفسير ، لأن السلم صورة من صور البيـع .

والتركيب مشحون بطابع الحكمة التي تفيد التعبير عن حقائق خالدة غيـــر مقترنة بزمن معين . و"مـن " للعاقل . وبناء على هذا فأسلوب الشرط ـ في هذا البيت ـ يضع الإنسان أمام الاختيار وتحمل المسؤولية ، وهو الاتجاه العـام الـذي تخيّر الناظم السير فيه ، وحاول بمقتضاه ربط المتقبّل به لتتم شروط العقد بينهما .

الصورة الثانيـة : أداة الشرط " من " + عبارة الشرط / جملة اسمية منسوخة + عبارة الجواب / جملـة شرطيـة :

ـ"ومن تكن برسول اللـه نصرتـه ∴ إن تلقه الأسد في آجامها تجم" . (247)

بنيـــة الجمـــلة

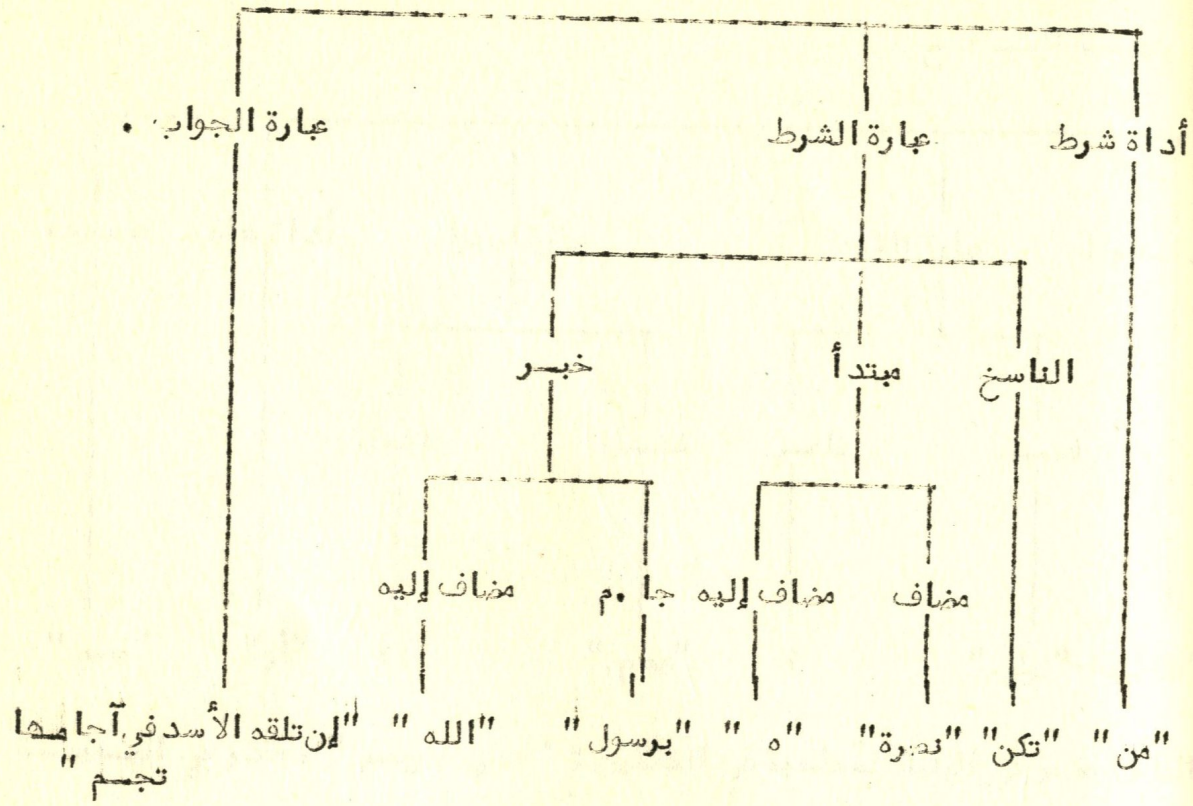

ورد — في هذا التركيب — اعتراض الشرط على الشرط ، وهي ظاهرة طريفة ، لأن الجملة الشرطية " إن تلقه الأسد في آجامها " قائمة بوظيفة عبارة الجواب لجملة الشرط " ومن تكن برسول الله نصرته " . وجاءت قضية الشرط منحصرة بين أداتي الشرط : " من ، وإن " ، دالّة على تأكيد حقيقة النصر بالرسول (ص) . أما التقديم والتأخير في : " ومن تكن برسول الله نصرته " فدال على أهمية الخبر باعتبار الرسول (ص) سر النصر وسببا فيه .

وبناء على هذا فالعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السببيّ عموما ، لأن عبارة الجواب مسببة عن عبارة الشرط مترتبة عليها . وأما " من " فللعاقل .

النمط السادس : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة ما

تمثل هذا النمط في صورة واحدة نظامها كالآتي : أداة شرط " ما " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها مضارع + أداة عطف + معطوف :

—"فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم"(239) .

بنيـــة الســـطح

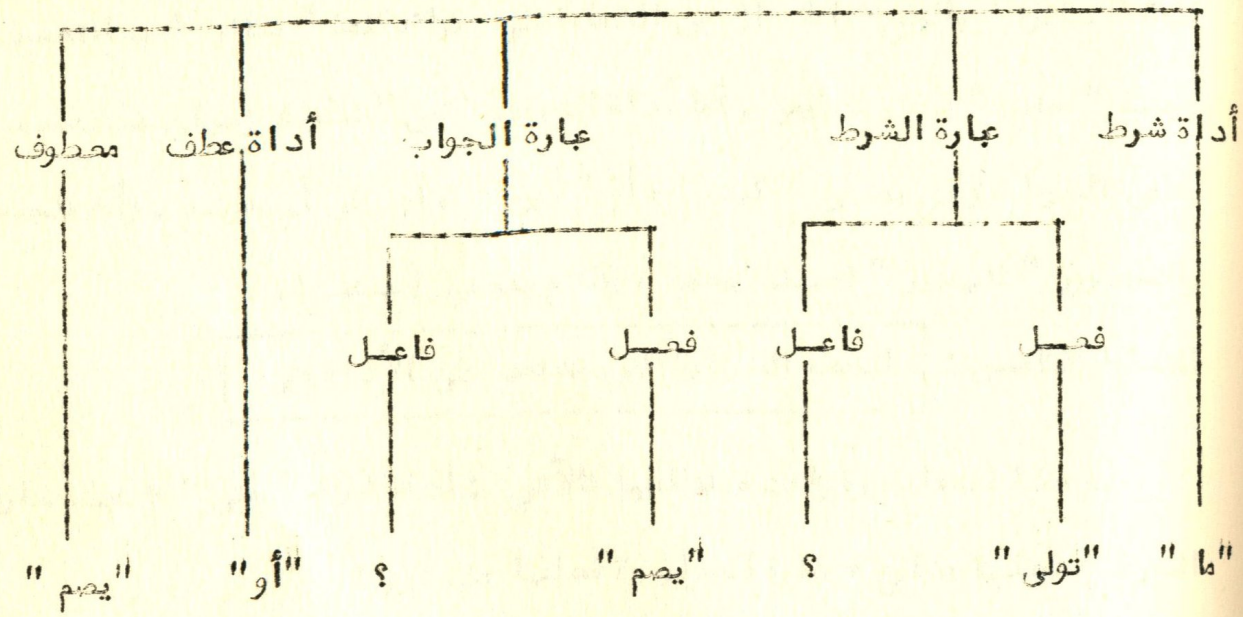

الفاعل مضمر في البنية السّطحية في الفعلين : " تولى ، ويصم " ، مقدر في البنيـــة العميقة بالهوى . وعبارتا الشرط والجواب مختلفتان : الأولى ماضوية ، والثانية مضارعية . والجملة الشرطية خبر ، وأداة الشرط بمعنى (إن أو كلما) إلا أنها أوكد منهما .

العلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السببيّ ؛ لأن ولايـــة الهـــوى سبب في الهلاك والضلال . وهذا مناسب للبنية الشرطية ومعناها ، لأن ما لغيـــر العاقل ، والهوى ممّا لا يعقـــل .

النمط السابـــع : الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة أنى

لهذا النمط صورة واحدة نظامها كالآتي : أداة شرط " أنّى " + عبارة الشـــرط / فعلها ماض + عبارة الجواب محذوفة في البنية السّطحية + خبر ثانٍ (جملـــة فعلية) + جار ومجرور + نعت (جملة فعلية) :

—"مثل الغمامة أنّى ســـار سائـــرة تثنيه حر وطيس للهجير حمي"(243) .

عبارة الشرط محذوفة في البنية السّطحية ، مقدرة في البنية العميقة ب (فهي سائرة معه) . وجملة " تقيه حرّ وطيس للهجير حمي " إما خبر ثانٍ على قراءة كلمة " سائرة " بالرفع ، وإما حال من الضمامة على قراءة كلمة " سائرة " بالنصب وجملة " حمي " نعت لوطيس . أما أداة الشرط "أنى" فظرف زمان متضمن معنى الشرط ، وهي بمعنى " كيف " ، أو " أين " ، أو في أي موضع . وأما الجار والمجرور " للهجير " فمتعلق بحمي ، واللام بمعنى (عند) .

النمط الثامن : | الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة متى |

ضم هذا النمط صورة واحدة نظامها كالآتي : أداة شرط " متى " + عبارة الشرط / فعلها مضارع + عبارة الجواب / فعلها مضارع :

— "والطف بعبدك في الدارين إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم" (243)

بنية السطح

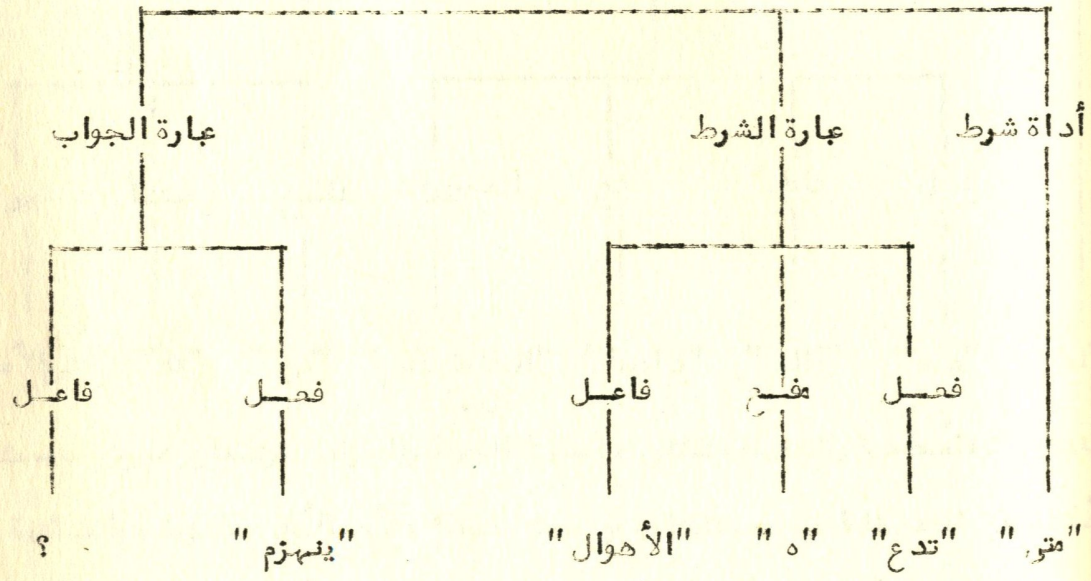

بنية العمق

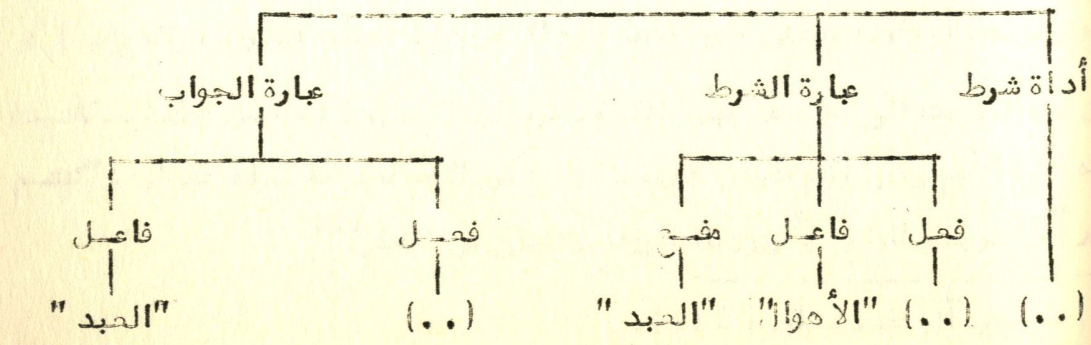

البنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمار والإظهار والتقديم والتأخير وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان ، لأن كلتيهما بصيغة المضارع . وأما التعبير "بعتى" — وهي ظرف متضمن معنى الشرط — فمرتبط بالزمن الاستمراري ، لأن الذي يفهم من التركيب أن الشاعر صبره ضعيف لا يثبت أمام الأهوال والشدائد .

النمط التاسع : | الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة لمّا |

له صورة واحدة نظامها كما يلي : أداة شرط " لما " + عبارة الشرط / فعلها ماض + جار ومجرور + متضايفان × 2 + عبارة الجواب / جملة اسمية منسوخة :

— "لما دعا الله داعينا لطاعته : بأكرم الرسل كنّا أكرم الأمم"(246).

بنية السطح والعمق

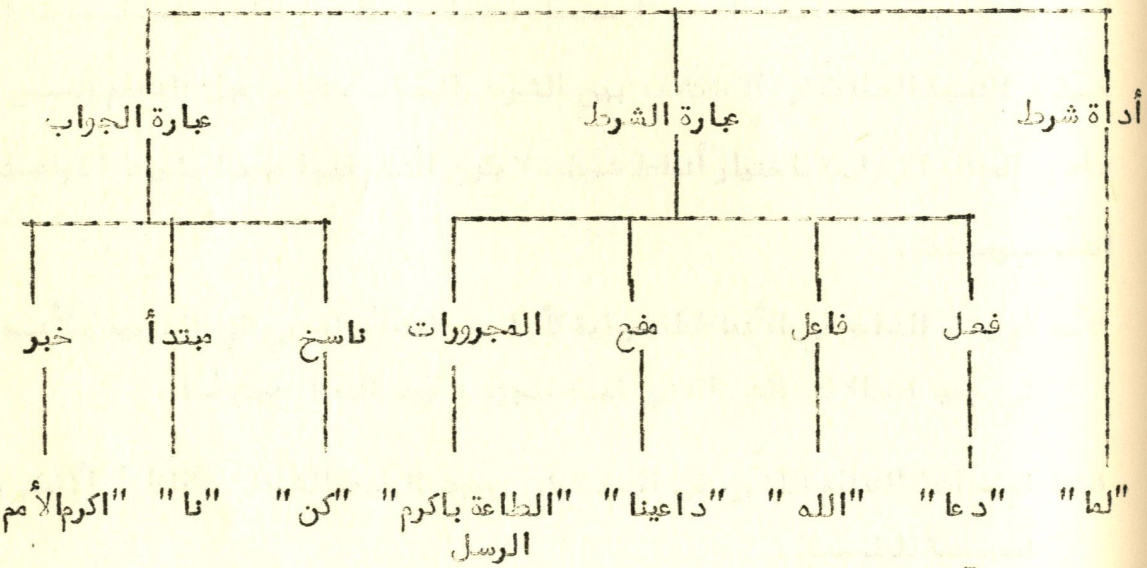

البنيتان : السّطحية والعميقة متفقتان ، وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان من حيث الدّلالة على الزمن الماضي ، مختلفتان من حيث البناء ، لأن الأولى ماضوية ، والثانية جملة اسمية . و"لطاعته ، وبأكرم " متعلقان بداعينا ، ودعا . أما الأداة " لما " فهي وجود لوجود أو ظرف بمعنى حين تفيد وقوع الأمرين : (عبارة الشرط ، والجواب) ، لأن سبحانه وتعالى لما سمّى نبيّه الكريم بأكرم الرسل — وهذا حاصل قطعا — كانت أمته أكرم الأمم ؛ لأن أكرم الرسل لا يبعث إلا لأكرم الأمم مصداقا لقوله تعالى : "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر(1)

(1) سورة آل عمران (110).

الخاتمـــــة

أسفـــر الاستقـراء عـمّـا يلي :

1ـ الائتلاف والاختلاف .والجدول يوضح عدد تواتر الجمل الشرطية موتلفة ومختلفة .

الائتلاف	نوع الشرط والجواب	ماض / ماض				مضارع / مضارع		
	عدد المرات	02				04		
الاختلاف	نوع الشرط والجواب	اسمية ماض	اسمية مضارع	اسمية أمر	ماض اسمية	ماض مضارع	ماض أمر	مضارع اسمية	مضارع ماض
	عدد المرات	01	02	01	02	05	01	01	02

هـذه النسبة العالية في الاختلاف بين الشرط والجواب ، توضح ميل الناظم إلـى تفادي الحالة الإعرابية باختيار أنماط شرطية لا يكون النظم فيها مقيدا بشروط القواعد النحـويـة .

2ـ لم يشذ الشاعر في الأنماط الشرطية كلّها عن النظام النحوي في العربية ، لأنـه في جميع الحالات التي اقتضى فيها الجزم ، أورد الفعل مجزومـا .

3ـ لم يحافظ النظام اللغوي في البردة على وجود الرابط الشرطي "الفاء" إلّا في نسبـة قليلـة .

4ـ أدوات الشرط " إن ، وإذا ، ولو " شكّلت ظاهرة أسلوبية في البردة . وهذا يتطابق مع آراء النحاة الذين عدّوا هذه الأدوات هي الأساسية في الشرط .

5ـ خروج الأداة الشرطية ـ أحيانا ـ عن دلالتها الأسلية إلى دلالـة أخـرى عدول أسلوبيّ حقّق أغراضا معنوية وبلاغية مهمـة .

6ـ اختيار الأداتين : "من ، ومـا" كان مناسبا لمحتوى الجملة الشرطية ، لأن الصنفين من الكائنات العاقل وغير العاقل خوطبا بما يقتضيه فـن الخطاب غير أننا قد نجد خلاف هذا في القرآن وفي العربيـة .

7 — ترادف الأدوات الشرطية — في البردة — سمة من سمات النظم .

8 — انبنى نظام الجملة الشرطية — في البردة — على الجملة الفعلية في نسبته المطلقة ، وهذا يتطابق مع آراء النحاة .

9 — دلالة الارتباط الشرطيّ متنوّعة ، فالائتلاف بين عناصره قائم على ثلاث معان :

أ — السببية .

ب — التلازمية .

ج — التقابلية .

10 — الجملة الشرطية إنشائية وخبرية بحسب صيغة عبارة الجواب .

الجملة الشرطية — عموما — سرّ من أسرار نظام اللغة في البردة ، فهي بفضل مرونتها اتّسعت لاستيعاب بعض جوانب الرسالة الأدبية مبنًى ومعنًى . أما فيما يتعلق بالمعنى فقد كانت مشحونة بزيادات . وأمّا فيما يتعلق بالمبنى فقد قامت — الى جانب ما ذكرنا — بوظائف نحوية متنوّعة : كجواب شرط في جملة شرطية مركبة ، وخبر ، ونعت . وهذه التراكيب سنعود إليها في القسم المخصص للوظائف النحوية .

ثالثا — الجمل ذات الوظائف النحوية .

وردت الجملة ذات الوظيفة النحوية في مائة واثني عشر موضعا . توزّعت توزيعا بنويا حسب خصائص كل نوع . فبدأ الباحث بالفاعل ، والخبر ، ثم المتممات : المفعول به ، والحال ، والنعت ، والتعليل ، والغاية ، واقتصر على هذه الأنواع — دون غيرها — لأهميتها في البردة .

الجدول يوضّح أنواع الجمل

أنواع الجمل ذات الوظائف	عدد الجمل
جملة الفاعل	01
جملة الخبر	33
جملة المفعول به	14
جملة الحال	16
جملة النعت	21
جملة التعليل	20
جملة الغاية	07
المجموع	112

أولا ـ جملة الفاعل

تمثلت في نمط واحد نظامها كالآتي : موصول حرفيّ " أن + فعل ماض + فاعل + متضايفان :

ـ "وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ∴ ورد واردها بالخيزلى حين ظمي"(242)

جملة " أن غاضت بحيرتها " فاعل مؤخر للفعل " ساء " . ومفعوله " ساوة " مقدم ، وهو مضاف إليه والمضاف محذوف ، مقدّر في البنية العميقة ب " أهل ساوة " . وهذا على حدّ قوله تعالى : " واسأل القرية التي كنا فيها[1] " ، (أي واسأل أهل القرية) .

ثانيا ـ جملة الخبر(*)

الجملة الخبرية ـ في البردة ـ متنوعة . وقد توزّعت بحسب أنماط وصور كالتالي :

---

(1) سورة يوسف (32)

(*) نعني بالخبر الوظيفة النحوية ، لا الأسلوب ، انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 1 ، ص 33 ـ 92 .

الجدول يوضّح أنواع الجمل

أنواع الجمل ذات الوظائف	عدد الجمل
جملة الفاعل	01
جملة الخبر	33
جملة المفعول به	14
جملة الحال	16
جملة النعت	21
جملة التعليل	20
جملة الغاية	07
المجموع	112

أولا ـ جملة الفاعل

تمثلت في نمط واحد نظامها كالآتي : موصول حرفيّ " أن + فعل ماض + فاعل + متضايفان :

ـ "وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ∴ ورد واردها بالخيزلى حين ظامي" (242)

جملة " أن غاضت بحيرتها " فاعل مؤخر للفعل " ساء " . ومفعوله " ساوة " مقدم ، وهو مضاف إليه والمضاف محذوف ، مقدّر في البنية العميقة ب " أهل ساوة " . وهذا على حدّ قوله تعالى : " واسأل القرية التي كنا فيها (1)" ، (أي واسأل أهل القرية) .

ثانيا ـ جملة الخبر (*)

الجملة الخبرية ـ في البردة ـ متنوعة . وقد توزّعت بحسب أنماط وصور كالتالي :

---

(1) سورة يوسف (32)

(*) نعني بالخبر الوظيفة النحوية ، لا الأسلوب ، انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 1 ، ص 33 ـ 92 .

النمط الأوّل : الخبر جملة اسمية

له صورة واحدة : ناسخ " ليس " + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر :

- " فان فضل رسول الله ليس له حد فيضرب عنه ناطق بفم " (241)

بنية السطح

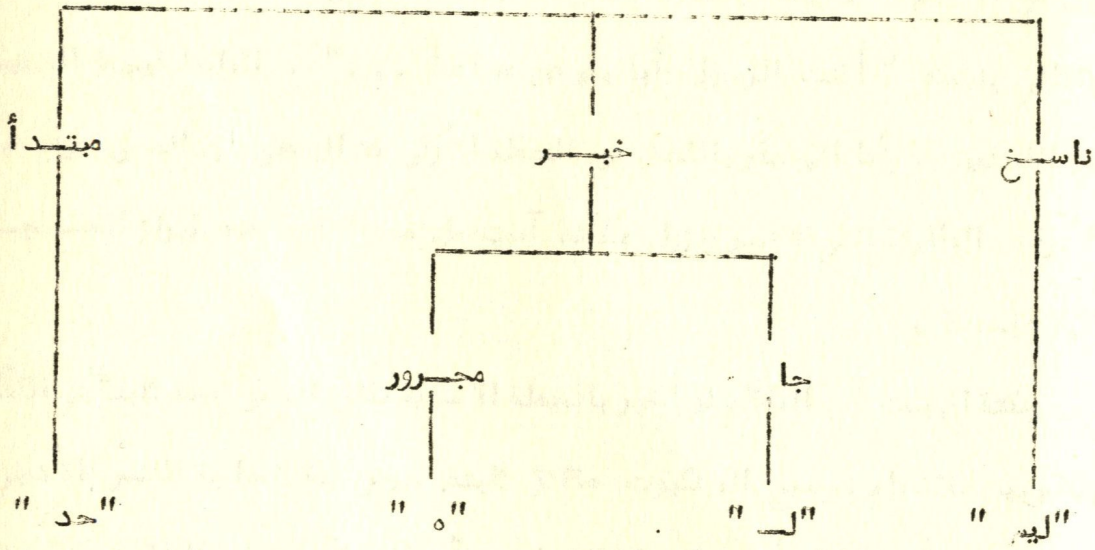

جملة " ليس له حد " خبر ، وهي جملة منفية . والرابط فيها " الهاء " في : "له " ، يعود على فضل الرسول (ص)

وقد عبّر الناظم بالجملة الاسمية المنفية لإثبات المعنى ، وهو أن فضل النبيّ (ص) ثابت ، ولأنه مظهر من مظاهر الكمال المطلق الذي لا حد له .

أما بنيتا السطح والعمق فمختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة ، ومن حيث التحويل (1) .

النمط الثاني : الخبر جملة ماضوية

تمثل في ثلاث صور :

الصورة الأولى : جملة ماضوية مثبتة :

---

(1) انظر الجملة المنسوخة ، وفكرة التحويل ، د . جعفر دك الباب ، الموجز ، في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 120 .

— "وما حوى الغار من خير ومن كرم .·. وكل طرف من الكفار عنه عمي ".(243)

— "وقاية الله أغنت عن مضاعفة .·. من الدروع وعن عال من الأطم ".(243)

— "إني اتهمت نصيح الشيب في عذل .·. والشيب أبعد في نصح عن التهم ".(239)

الجمل الخبريّة في هذه الأمثلة : " عمي " ، و "أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم " . وهما جملتان حوتا فعلين متعديين : الأوّل بحرف الجر ، والثاني بنفسه " أغنت الرسول وأبا بكر عن مضاعفة ... " . والرابط فيهما الضمير في الفعلين . وأما الإخبار بالفعل في الجملة الأولى فدال على أن العمى عرض من الأعراض الطارئة التي تظهر وتزول ، لأنه آستعمل مجازا قصد منه إبراز المعجزة الإلاهية .

ونكتة البيت أن الناظم لو أخبر بالجملة الاسمية لكان العمى صفة ثابتة في الكفّار ، ولكان بيض الحمام ، ونسج العنكبوت حقائق ثابتة . ومن ثمة لا حاجة للفن الأدبي بهذا . غير أن الناظم أخبر بالجملة الفعلية ، لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ، وأعرض عن الإخبار بالجملة الاسمية لثبوت الصفة فيها ، وحصولها من غير مزاولة وتجدد (1)

أما جملة " اتهمت نصيح الشيب في عذل " فهي خبر "لإن" ، ونظامها فعل ماض + فاعل + مفعول به + جار ومجرور . والرابط فيها الضمير في "اتهمت" ، والإضافة في : " نصيح الشيب " للبيان أي نصيحا هو الشيب ، وهذا من إضافة الصفة الى الموصوف ، فكأن الناظم قال : " شيبا ناصحا " . أما الإخبار بالجملة الفعلية فدالّ على أن هناك اتهاما يتجدد من الناظم حالا فحالا .

الصورة الثانية : جملة ماضوية منفية : أداة نفي "ما " + فعل ماض + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان × 2 + أداة عطف + معطوف :

— "فإن أمّاتي بالسوء ما اتعظت .·. من جاهلها بنذير الشيب والهرم ".(239)

---

(1) حول هذه المعاني النحوية ، انظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 134 .

الجملة "ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم" خبر "لأن" . والرابط فيها الضمير في الفعل . وقد ورد الخبر منفيا ، لإبراز إحدى صفات النفس المتمثلة في الرفض المستمر ، وعدم الاتعاظ بمنذر الشيب والهرم .

الصورة الثالثة : جملة ماضوية مؤكدة : أداة تركيد "قد" + فعل مبني لم لما يسم فاعله + فاعل + جار ومجرور + متضايفان + أداة عطف + معطوف :

ـ "يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم"(242)

الجملة "قد أنذروا بحلول البؤس والنقم" خبر "لأن" . والرابط فيها الضمير في الفعل . أما الإخبار المؤكد فدال على ارتباط ولادة النبي (ص) بالتحذير بحلول البؤس والنقم . والمعنى على التحذير يتجدد بالتأمل والنظر في نتائجه التي تقع حالا فحالا .

النمط الثالث : الخبر جملة مضارعية

في هذا النمط نوعان من الجمل : نوع مرتبط بالنواسخ ، وآخر غير مرتبط .

1 ـ النوع غير المرتبط بالنواسخ

له صورتان :

الصورة الأولى : الخبر جملة مضارعية مثبتة :

ـ "والجن تهتف والأنوار ساطعة ∴ والحق يظهر من معنى ومن كلم"(242)

ـ "شاكي السلاح لهم سيمى تميزهم ∴ والورد يمتاز بالسيمى عن السلم"(247)

الجملة الخبرية في هذه الأمثلة "تهتف" ، و "يظهر من معنى ومن كلم" ، و "يمتاز باليسمى عن السلم" . والرابط فيها الضمير المستتر في الأفعال : (تهتف ، ويظهر ، ويمتاز) . أما الإخبار بهذا النوع فمرتبط بالمزاولة والتجدد ، لأن الجن ـ في اعتقاد الشاعر ـ تصوت عند ولادة النبي (ص) ولأن صدق النبوة

ينكشف للعيان . ومعنى التصويت والانكشاف بالنظر حوادث تتجدد الأصوات وتتضح دلائل النبوّة فيها كالأنوار والسلم المحسوسين . وأما التمييز فتعيين وتخصيص لصفات الصحابة (رضوان الله عليهم) .

وشبيه بهذا التركيب ما نجده في الأمثلة الآتية :

— "نعم سرى طيف من أهوى فأرقني ... والحب يعترض اللذات بالألم" (239)

— "فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من أرم" (243)

— "فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم" (244)

— "وأنت تخترق السبع الطباق بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلم" (245)

الجمل الخبرية هي :

— يعترض اللذات بالألم " .

— يقولون ما بالغار من أرم " .

— يزداد حسنا وهو منتظم " .

— تخترق السبع الطباق بهم " .

هذه الجمل بسيطة ما عدا الجملة : " يقولون ما بالغار من أرم " فهي مركبة ، لأنها مكونة من فعل وفاعل ومفعول به (جملة اسمية) . والبنى السّطحية والعميقة مختلفة ، لأن الفاعل في الأمثلة كلّها مضمر إلا في الجملة المركّبة . والرابط بين عناصرها الجمل الضمير في : (يعترض ، ويزداد ، وتخترق ، وواو الجماعة في يقولون) .

أما الإخبار بالجملة الفعلية فيبدو أنه مرتبط بأحداث الأفعال نفسها ، ذلك أن اعتراض اللذات بالألم تبدأ من رؤية الطيف الذي يهواه الناظم ، وهو إحساس يتجدد به الحب ويكون سببا في الألم . والازدياد حدث ينمو ، لأن الدّر نوع من النبات الذي ينمو ، وبنموه يتجدد حسنه . والاختراق وصف سديد الاجتياز الرسول (من) الطبقات جزءً فجزءً ، لأن الفعل مرتبط بظرف حركيّ يتجدد فيه الصعود ، ويتم مرحلة فمرحلة أو طبقا فطبقا . وأما الإخبار في : " يقولون بالغار من أرم "

فمرتبط بهيئة الكفّار المتمثلة في الوقوف أمام الغار والقول بعدم وجود إنسان فيه . وهذا غير ثابت من وجهة نظر الشاعر . لكن الطريف في هذا التركيب هو أن الناظم لو أخبر بالجملة الاسمية لورد الكلام المنفي مثبتا . وفي إثبات الكلام إقرار بعدم وجود النبي (ص) أبي بكر في الغار .

الصورة الثانية : الخبر جملة مضارعية منفية :

— "عموا وصموا فإعلان البشائر لم ∴ تسمع وبارقة الإنذار لم تشم"[243].

— "فالصدق في الغار والصديق لم يرما ∴ وهم يقولون ما بالغار من أرم"[243].

— "وكالصراط وكالميزان معدلة ∴ فالقسط من غيرها في الناس لم يقم"[245].

الجمل الخبرية هي :

— "لم تسمع"

— "لم تشم"

— "لم يرما"

— "لم يقم"

نظام الجمل في هذه الأمثلة : أداة نفي " لم " + فعل مضارع مبني للمعلوم أو مبني لما لم يسم فاعله + فاعل أو نائب فاعل . والرابط بين عناصر الجملة الضمير في الأمثلة كلّها . والبنى السّطحية والعميقة مختلفة من حيث الإضمار والإظهار، فالإضمار في فاعل : (تسمع ، وتشم ، ويقم) ، والإظهار في " يرما " . أما الإخبار بهذه الجمل القصيرة فنعتقد أن له ما يبرره، إذ هو أسلوب عربيّ أصيل ، يتصل بالنثر الشعري (أي النثر الفني) كما هو الشأن في خطبة قس بن ساعدة الشهيرة[1] . ومورد هذا الاختيار أن الجمل القصار أسهل للحفظ ، وامتع للقراءة ، وألذ في السمع ، وأنفذ إلى القلب والمذوق[2] .

---

(1) د . عبد المالك مرتاض ، النص الأدبي من أين ؟ والى أين ؟ ص 72 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2 ـ النوع المرتبط بالناسخ

له ثلاث صور:

الصورة الأولى : الخبر جملة مضارعية مثبتة :

ـ "وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ∴ من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم"(245)

ـ "لعلّ رحمة ربي حين يقسمها ∴ تأتي على حسب العصيان في القسم"(248)

الجملة "ترقى إلى أن نلت منزلة" خبر لبات ، والرابط فيها الضمير في "ترقى" ، والإخبار بها دالّ على استمرار الرقي وتجدّده . و"تأتي على حسب العصيان في القسم" خبر لعل ، والرابط فيها الضمير في تأتي :

وشبيه بهذا ما نجده في هذه الأبيات :

ـ "مدحتني النصح لكن لست أسمعه ∴ إن المحب عن العذال في صمم"(239)

ـ "لو كنت أعلم أني ما أوقره ∴ كتمت سرا بدا لي منه بالكتم"(239)

ـ "فلا تروم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة الفهم"(239)

ـ "لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه ∴ طوبى لمنتشق منه وملتثم"(242)

ـ "فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم"(244)

ـ "ما زال يلثمهم في كل محتبك ∴ حتى حكوا بالتثاما لحما على وضم"(246)

ـ "ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم"(243)

نظام الجملة الخبرية في هذه الأمثلة يتبع الترتيب العادي : الفعل والفاعل ثم المفعول به ثم المتعلقات إن وجدت . وهذه الجمل أخبار لنواسخ فالأولى والخامسة خبر لليس ، والثانية خبر لكان ، والثالثة والسابعة خبر لإن ، والرابعة خبر للا النافية للجنس ، والسادسة خبر لما زال . والرابط فيها الضمير في الأمثلة كلّها . أما الإخبار بالفعلية فمثبت متماشٍ مع طبيعة الإخبار نفسها التي تسعى إلى تجسيد الحوادث ، ونقلها نقلا سريعا مركّزا .

الصورة الثانية : الخبر جملة مضارعية منفية :

ـ " من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم ∴ بأن دينهم المعوج لم يقم "(243)

ـ "وأكدت زهده فيها ضرورته ∴ إن الضرورة لا تعدو على العصم "(240)

الجملة " لم يقم " خبر لأن . والرابط بين عناصر الجملة المركبة الضمير في " يقم " ، والجملة " لا تعدو على العصم " خبر لإن . وقد ارتبط الخبر المنفي فيها بالزمن المطلق ، لأن مضمونها حقيقة ثابتة صالحة لكل زمان. أما الرابط فضمير الغيبة (هي) .

الصورة الثالثة : الخبر جملة مضارعية مؤكدة :

ـ "أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ∴ للقرب والبعد فيه غير منفحم "(241)

ـ "وذاك حين بلوغ من نبوته ∴ فليس ينكر فيه حال محتلم "(244)

الجملة " يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم " خبر ليس . والرابط فيها الضمير في " فيه " يعود على فهم معناه . و(للقرب ، وفيه) متعلقان بيرى . واللام بمعنى " في " أو بمعنى " مع " . والجملة " ينكر فيه حال محتلم " خبر ليس . والرابط فيها الضمير في " فيه " يعود على حين بلوغ . أما الإخبار بالجملتين فمؤكد لا يدع مجالا للشك .

النمط الرابع : الخبر جملة موصولية(*)

له صورة واحدة : اسم موصول " الذي " + صلة ذات فعل ماض لازم + فاعل + أداة عطف + معطوف :

ـ "فهو الذي تم معناه وصورته ∴ ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم "(241)

(*) حول أسرار استخدام اسم الموصول " الذي " انظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 154 ـ 155 .

بنية السطح والعمق

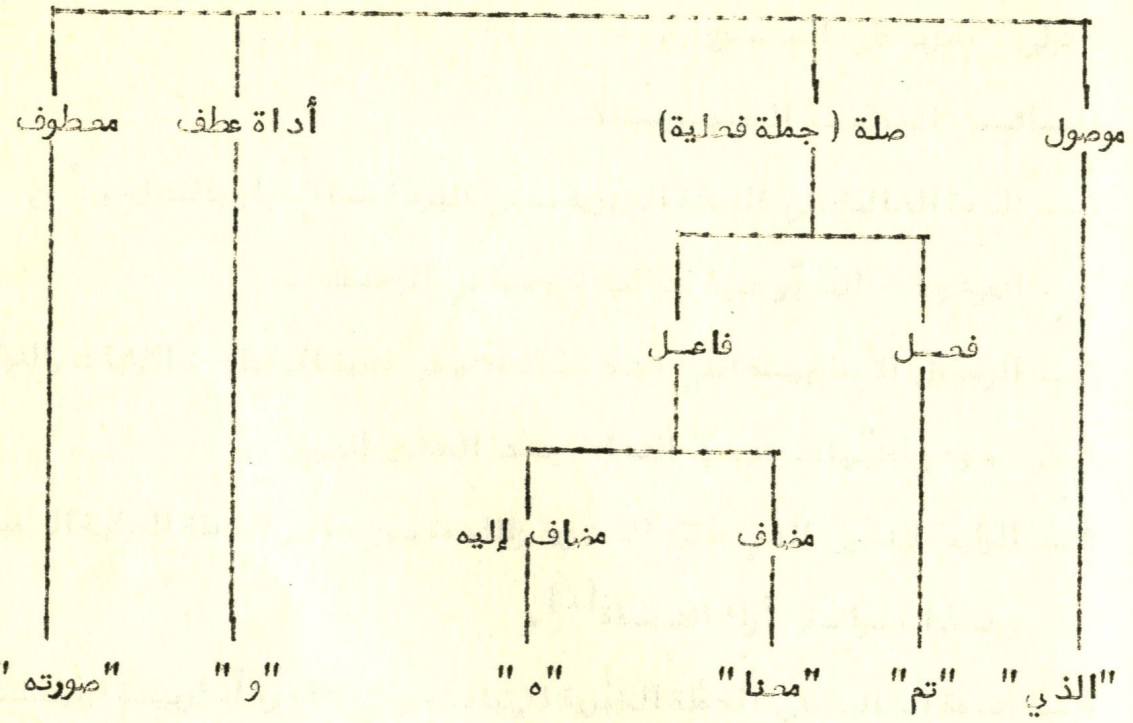

الجملة الموصولية " الذي تم معناه وصورته " خبر لمبتدإ "هو " ، والرابط فيها الضمير في :" معناه " يعود على " هو " (أي الرسول (ص) . أما البنيتان : السّطحية والعميقة فمتفقتان ، لأنهما تقاطعتا . وهذا التقاطع يقلل من شأن تعدد القوالب اللغوية أمام الناظم للتعبير عن هذه الفكرة . وأما الإخبار بالجملة الموصولية فمتعلق بكلام سابق ، لأن الشاعر لما ذكر محمدا (ص) عدد صفاته ثم أتى بالجملة الموصولية ليفصّل ما ذكر وما كان للسامع به علم . وذلك سر استعمال الفاء في أوّل البيت .

النمط الخامس : الخبر جملة شرطية

له صورة واحدة : أداة شرط " ما " + عبارة الشرط / فعلها ماض + عبارة الجواب / فعلها مضارع + أداة عطف + معطوف :

— "فاصرف هواها وحاذر أن توليه ∴ إن الهوى ما تولى يصم أو يصم" (239) .

الجملة " ما تولى يصم أو يصم " خبر . لأن ، والرابط فيها ضميرُ الغيبة في: " تولى " يعود على الهوى .

خصائص الجملة الخبرية

1 — السمة الغالبة على الجملة الخبرية — في البردة — الإخبار بالفعل ، لأن الموضوعات المعبّر عنها تتطلب سرعة في الوصف .

2 — الوسائل الأسلوبية التي اعتمدها الناظم في عملية الإخبار : الإثباتُ والتوكيدُ والنفي . وهي منبّهات تجدد النشاط وتشد المتقبل إليها .

3 — الرابط النحوي الذي حقق الحضوية واللحمة بين عناصر الجملة المركبة الضميرُ . وهذا يوافق آراء النحاة[1] .

4 — السمة الغالبة على الجملة الخبرية الإثبات ، وهي ظاهرة أسلوبية ارتبطت بأفعال دالّة على التجدد والنمو .

5 — الجملة الخبرية متنوعة مبنًى ومعنًى . والجدول يوضح ذلك .

أنواع الجمل الخبرية	عدد الجمل
جملة اسمية	01
جملة ماضوية	05
جملة مضارعية	25
جملة موصولية	01
جملة شرطية	01

(1) انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 1 ، ص 38 — 42 ، والسيوطي همع الهوامع ، ج 2 ، ص 15 وما بعدها .

ثالثا — جملة المفعول به

وردت جملة المفعول به متنوّعة ، وقد توزّعت حسب أنماط وصور .

النمط الأوّل : المفعول به جملة اسمية

له ثلاث صور :

الصورة الأولى : جملة اسمية مثبتة : خبر مقدم (جار ومجرور) + مبتدأ مؤخر (نكرة) + جار ومجرور :

— "بحارة جاد أو خلت البطاح بها .·. سيب من اليم أو سيل من العرم"(244).

بنية السطح

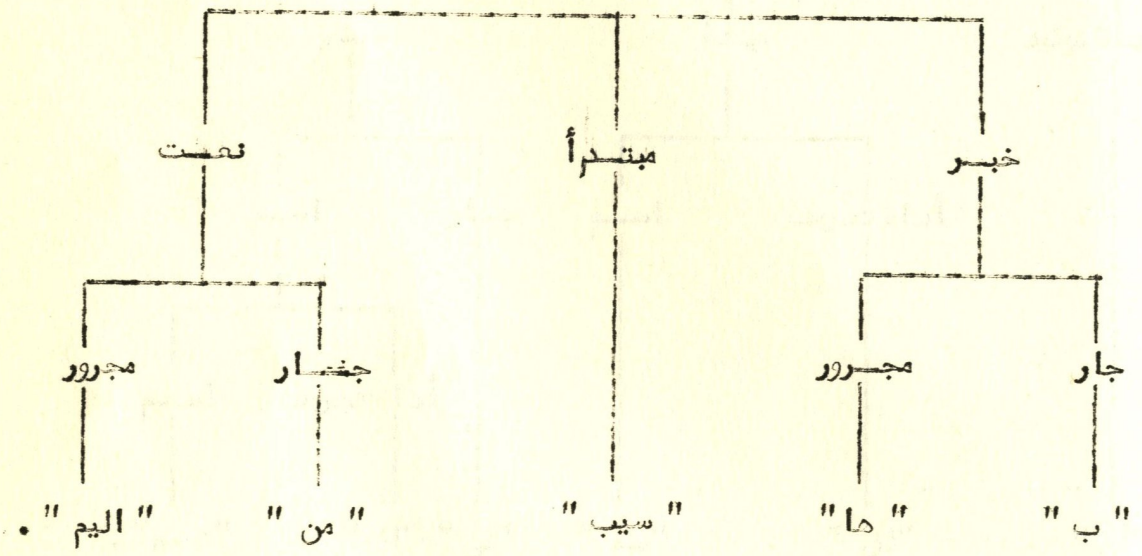

بنية العمق

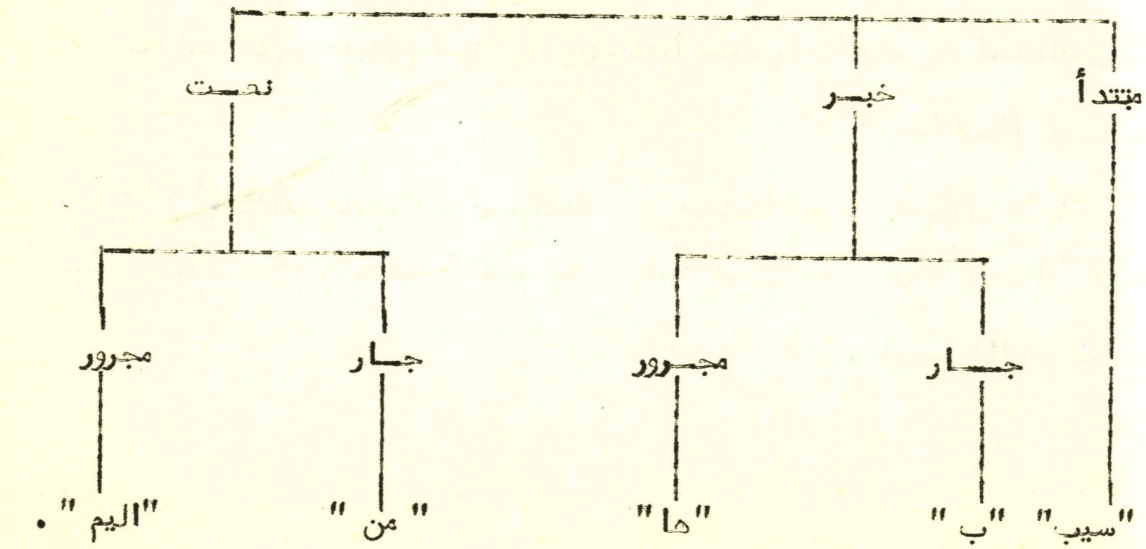

البنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة .

والجملة " بها سيب من اليم " مفعول ثانٍ لخلق ، والجار والمجرور " من اليم " نعت لسيب .

الصورة الثانية : جملة اسمية مؤكدة : أداة توكيد " أن " + مبتدأ (معرف بال) + خبر (جار ومجرور) :

— " كم حسنت لذة للمرء قاتلة ∴ من حيث لم يدر أن السم في الدسم " (240)

بنية السطح

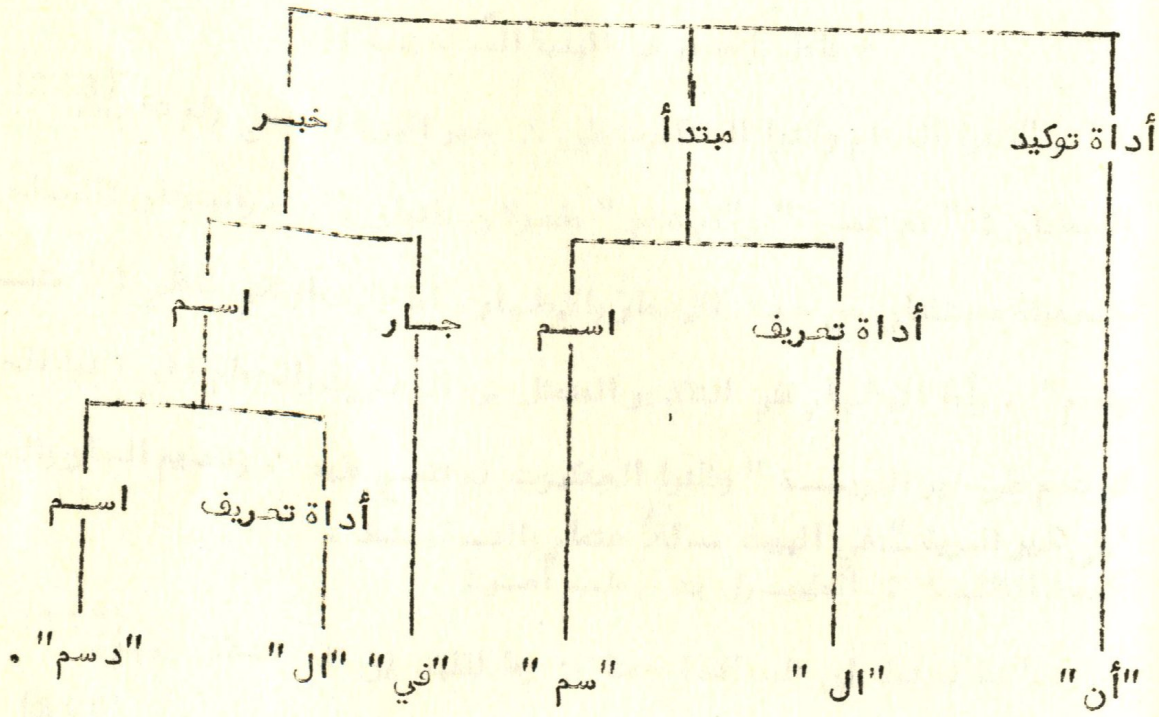

الجملة " أن السم في الدسم " مفعول به للفعل " يدر " أوضحت مضمون الجملة المركبة المتمثل في عدم العلم بالسّم المدسوس في الدسم وشبيه بهذا ما نجده في قول الناظم :

"لو كنت أعلم أني ما أقره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم " (239)

عبارة " أني ما أوقره " مفعول به لأعلم ، وهي جملة اسمية مركبة مؤكدة ، أوضحت مضمون الشرط .

الصورة الثالثة : جملة اسمية منفية مؤكدة : أداة نفي " ما " + خبر مقدم (جار ومجرور) + حرف جر + مبتدأ (نكرة) :

ـ "فالصدة في الغار والصدية لم يرما ∴ وهم يقولون ما بالغار من أرم"(243).

الجملة " ما بالغار من أرم " مفعول به للفعل يقول ، وهي منفية مؤكدة ، لأنها صدّرت بأداة نفي ، وتقدم فيها الخبر على المبتدإ . أما حرف الجر " من " فزائد للتوكيد .

النمط الثاني : المفعول به جملة مضارعية منفية : أداة نفي " لم + فعل مضارع + فاعل (مضمر في البنية السّطحية) :

ـ "ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ∴ خير البرية لم تنسج ولم تحم"(243).

الجملتان : " لم تنسج " و"لم تحم " مفعولان ثانيان لظن ، والبنيتان :السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الإضمارُ والإظهارُ . أما الإضمار ففي فاعلي : " تنسج ، وتحم" . وأما الإظهار ففي التقدير المتمثل في العنكبوت والحمام (أي ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية " وظنوا العنكبوت لم تنسج عليه . وتقديم الجار والمجرور "على خير البرية " في البيت ـ للاهتمام والتوكيد .

النمط الثالث : المفعول به جملة أمر :

ـ "فما لعنيك إن قلت اكففا همتا ∴ وما لقلبك إن قلت استفق يهم"(233).

ـ "أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ∴ وما استقمت فما قولي لك استقم"(240).

جمل المفاعيل ("اكففا " ، و " استفق "، و"استقم ") ، الأولى والثانية لقال والثالثة للمصدر " قولي " ، وهي جملة محوّلة عن الفعلية ، مقدّرة في البنية العميقة بـ (أقول) .

النمط الرابع : المفعول به جملة موصولية : (موصول "ما " + صله ذات فعل ماض + جار ومجرور) × 2 .

ـ "وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ∴ وانسب إلى قدره ما شئت من عظم"(241).

الجملتان الموصوليتان : " ما شئت من شرف " ، و "ما شئت من عظم " مفعولان للفعل " انسب " . أما الجاران والمجروران : (من شرف ، ومن عظم " فللبيان . وشبيه بهذا ما نجده في قول الناظم :

— " دع ما ادعته النصارى في نبيهم ∴ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم(241)".

— "إذ قلداني ما تخشى عواقبه ∴ كأنني بهما هدي من النعم(247)".

النمط الخامس : المفعول به جملة ندائية : أداة نداء " يا " + منادى (مخصص بالإضافة) + جواب النداء (جملة مختزلة في البنية السّطحية) :

— "إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ∴ فضلا وإلا فقل يازلّة القدم(243)".

الجملة الندائية " يازلّة القدم " مفعول به للفعل قل . وقد أوضحت مضمون النداء المتمثل في تحقّق الأمر ، وتقرره .

خصائص جملة المفعول به

1 — السمة الغالبة على الجملة الموصولية المفعولية اعتمادها على الموصول " ما "

2 — الجملة المفعولية متنوّعة ، فهي اسمية أو فعلية ، أو موصولية ، أو ندائية ، وهي مفضية إلى تبيين المقصود ، وتوضيح الدلالة من ذلك الشرط ، والتعليل ، والإخبار ، والاستفهام ، والأمر .

رابعا — جملة الحال(*)

تمثل هذا التركيب في الأنماط التالية :

النمط الأوّل : واو الحال + جملة اسمية مثبتة

— "إني اتهمت نصيح الشيب في عذل ∴ والشيب أبعد في نصح عن التهم(239)".

(*) انظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 155 وما بعدها ، وابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص 55 وما بعدها ، وابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 2 ، ص 410 411 ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج 2 ، ص 230 — 235 .

بنيـة السـطح

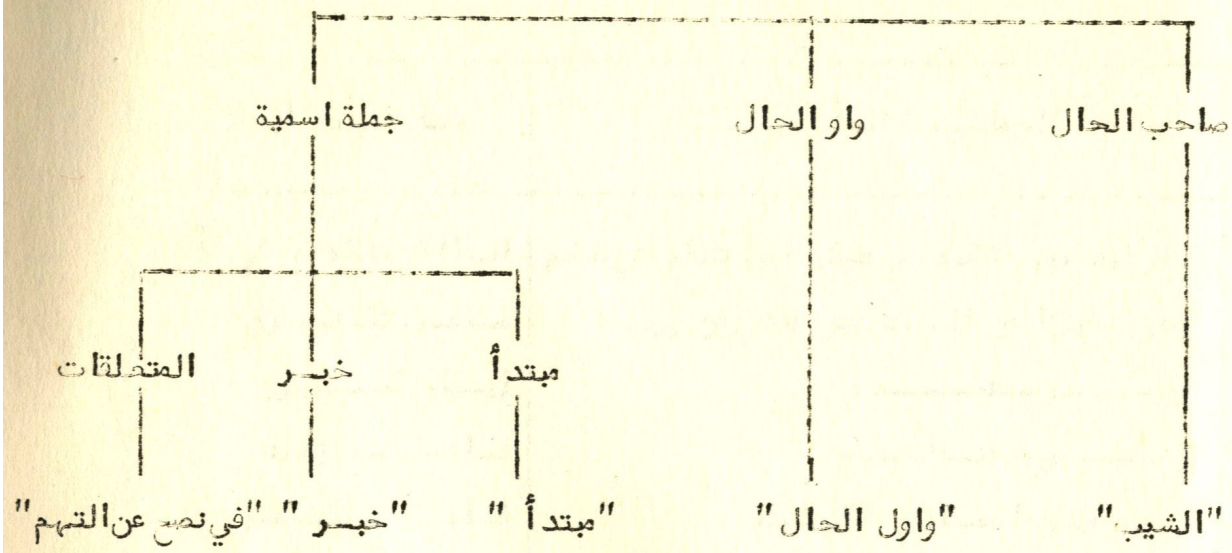

العناصر النحوية المحذوفة في البنية السّطحية هي : (من كل شيء) في قولـه : "والشيب أبعد . . ." ، والمضاف إليه في قوله : " نصح " ، والتقدير في البنية العميقة " والشيب أبعد من كل شيء عن التهم في نصحه " . والمجرورات (في نصح ، وعن التهم) متعلقة بأبعد ، والتعبير بالجملة الحالية " والشيب أبعد في نصح عن التهم " قد أثبت الناظم فيها هيئة الاتّهام ثم أراد زيادة في المعنى والإخبار عن اتّهام الشيب ، فاستأنف خبرا ، وابتدأ إثباتا ثانيا لبعد الشيب في النصح عن التّهم ، ولما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو .

وشبيه بهذا التركيب الأمثلة التي نجدها في الأبيات التالية :

ـ "كأنه وهو فرد من جلالته ∴ في عسكر حين تلقاه وفي حشم" (2242)

ـ "وبات إيوان كسرى وهو منصدع ∴ كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم" (242)

ـ "الدّرّ يزداد حسنا وهو منتظم ∴ وليس ينقص قدرا غير منتظم" (244)

ـ "لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ∴ عن المعاد وعن عاد وعن إرم" (244)

ـ "لا تعجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم" (245)

الجدول الآتي يبيّن الجملة الحالية وصاحب الحال.

الجملة الحالية	صاحب الحال
وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقام وفي حشم	الهاء في تلقاه لا في كأنه
وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم	فاعل تقترن
وهو منصدع	إيوان كسرى
وهو منتظم	فاعل يزداد
وهو عين الحاذق الفهم	فاعل ينكر

الجملة " وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم " حال وعبارة " من جلالته " مقدّرة في البنية العميقة بـ (من أجل جلالته) وهي تحليل للتشبيه المستفاد من كأن . وتقدير التركيب في البنية العميقة (كأنه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من جلالته) . أما التعبير بالجملة الحالية فلتوسيع الدّلالة وتكثيف عملية الإخبار ذلك أن الرسول (ص) له هيبة ووقار حين تلقاه في عسكر وفي حشم ، وهو كذلك أيضا حين تلقاه وهو منفرد . فنزّل الناظم بنية الحالة منزلة الاستئناف الخبري وأحدث إثباتا ثانيا ، ولما آحتيج إلى رابط يضم عناصر الجملة المركبة جيء بالواو . ويتبع الناظم في الأمثلة الأخرى الطريقة نفسها في الإثبات والإخبار حيث يبتدئ إثباتا ثم يعضده بثان

النمط الثاني : واو الحال + جملة اسمية مؤكدة : واو الحال + مبتدأ (ضمير) "هي" + جار ومجرور + خبر .

-:"وراعها وهي في الأعمال سائمة : وإن هي استحلت المرعى فلا تسم"(240)

الجملة "وهي في الأعمال سائمة" حال ، وصاحبه الهاء في "راعها" تعود على النفس . وقد أوضحت حالة النفس ، وارتبطت بالأمر ودلالته . والرابط فيها الواو .

ونجد مثل هذا التركيب في قوله :

ـ "وما حوى الغار من خير ومن كرم ∴ وكل طرف من الكفّار عنع عمي"(243).

النمط الثالث : الحال جملة ماضوية مثبتة(*)

له ثلاث صور

الصورة الأولى : فعل ماض + فاعل مضمر في البنية السّطحية + المعلقات .

ـ "أحلّ امته في حرز ملتـه ∴ كالليث حلّ من الأشبال في أجم"(247).

المجرورات : "من الأشبال" متعلق بحلّ ، و "في أجم" حال من الأشبال أما الجملة "حلّ من الأشبال في أجم" فحال ،وصاحبه الليث ، والرابط فيها الضمير في "حلّ" يعود على الليث . وقد بيّنت الجملة أن حال الرسول (ص) مع أمته كحال الأسد من الأشبال في الأجم ، وهي صورة محسوس لمعنويّ .

الصورة الثانية : فعل ماض بعد إلا + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + متضايفان :

ـ "ولا التمست غنى الدارين من يده ∴ إلا استملت الندى من خير مستلم"(243).

جملة "استلمت الندى من خير مستلم" حال من فاعل "التمست" . والرابط الضمير في الفعل : "استلمت" . أما الجملة الحالية في عمومها ، فتوضح هيئة صاحب الحال الذي لا يرد له طلب من الرسول (ص)

(*) لم يجز بعض النحاة وقوع الجملة الماضوية حالا ، وأجازها البعض انظر أبا البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1 ، ص 152 ـ 158 .
وابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص 63 .

الصورة الثالثة(*) : واو الحال وفعل ماض بعد إلا + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + نعت (جملة مضارعية منفية) :

ـ "ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ∴ إلا ونلت جوارا منه لم يضم"(243).

جملة " ونلت جوارا منه لم يضم " حال من الضمير في " استجرت " . أما الجملة الحالية من حيث اندراجها في هذا التركيب فقد تنزلت في سياق ضم تقابلا بين دلالتي الجملتين : الأولى مرتبطة بظلم الدّهر أو الناس والثانية مرتبطة بعدل ورعاية الرسول (ص) . فاكتسبت معنى المقابلة . والواو للتوكيد الربط(1)، لأن التركيب يصح بدونها ، وهو الأصل . إنما أراد الناظم باستعمالها إبراز المدة التي لم تطل بين الضيم والاستجارة ، فكأنهما في وقت واحد(2) .

النمط الرابع : الحال جملة ماضوية مؤكدة(3) : أداة توكيد " قد " + فعل ماض + فاعل + مفعول به + جار ومجرور :

ـ "كأنها الحوض تبيض الوجوه به ∴ من العصاة وقد جاءوه كالحمم"(245).

(*) منع بعض النحاة اقتران الماضي الواقع حالا بالواو بعد إلّا ، انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج 2 ، ص 222 .

(1) الواو في هذا المثل تفيد الربط ، وهي عند الزمخشري تؤكد لصوق الصفة بالموصول ، لأن الجملة عنده مصدرة بالواو . انظر تفسيره الآية "وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم " ، الكشاف ، ج 2 ، ص 337 .

(2) انظر السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 132 .

(3) اختلف النحاة في تحديد موقع الجملة الماضوية الواقعة حالا ، فمنهم من لم يجزها إلا مقترنة بقد ، لأن هذا الحرف يقربها من الحال . ومنهم من أجازها بقد وبدونها . انظر أبا البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1 ، ص 252 . وابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 2، ص 66 ـ 67 .

بنية السطح

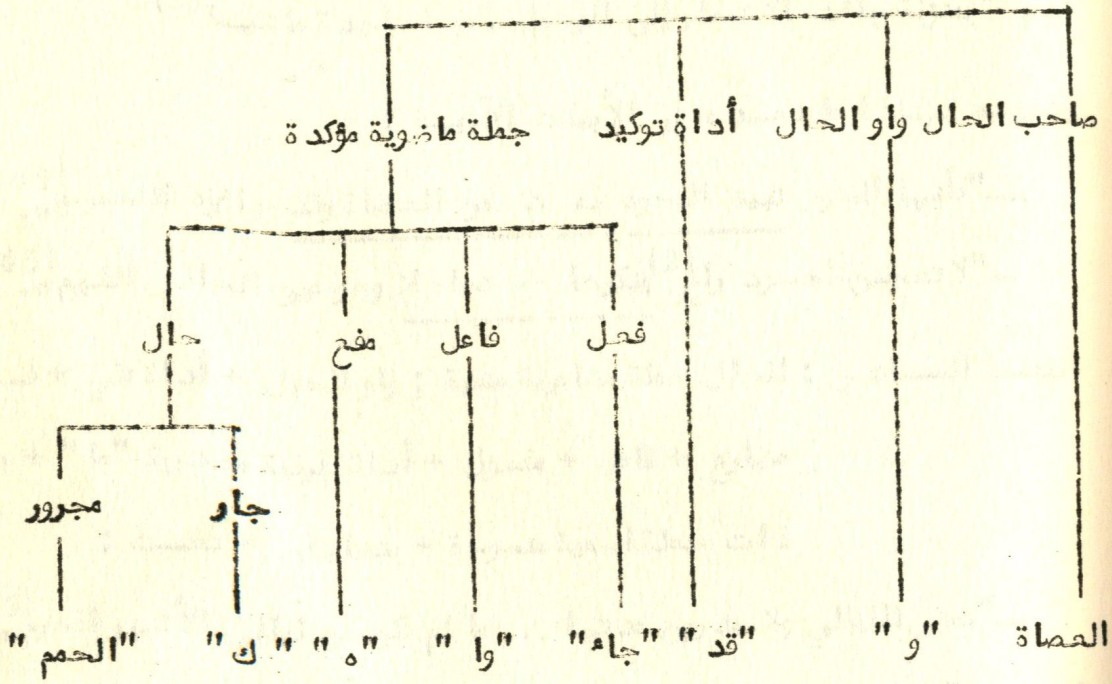

جملة " وقد جاءوه كالحمم " حال من العصاة ، والرابط فيها الواو والضمير العائد على العصاة في "جاءوه" . غير أن الواو في مثل هذا التركيب يجوز الإتيان بها أو تركها ؛ لأن قد تقرب الماضي من الحال وتلحقه بحكمه[1] . والجار والمجرور "كالحمم" في موضع حال . أما الجملة الحالية فدالّة على معنى المقابلة ؛ لأن سواد الوجوه يقابله بياضها . والمراد أن مسود الوجه من العصاة يبيّض وجهه بشفاعة الآيات القرآنية يوم القيامة .

النمط الخامس : الحال جملة مضارعية مثبتة

— "جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ∴ تمشي إليه على ساق بلا قدم"[245]

الجملة " تمشي إليه على ساق بلا قدم " حال من فاعل " تمشي " ، والرابط الضمير نفسه . و (إليه ، وعلى ساق) متعلق بتمشي ، و " بلا قدم " في موضع نعت لساق . وفي الجملة الحالية أثبت الناظم أن المجيء لطلب الرسول (ص) فيه مشيّ ، فربط

---

(1) انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص 57 .

بين المعنيين ، وجعل الكلام خبرا واحدا ، لأن قوله : " تمشي إليه على ساق بلا قدم " بمنزلة جاءت الأشجار إلى الرسول (ص) ساجدة ماشية[1]

وشبيه بهذا ما نجده في الأبيات الآتية :

ـ "كأنها الحور تبيض الوجوه به ∴ من العصاة وقد جاءوه كالحمم[245]".

ـ "لا تعجبن لحسود راح[2] ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم[245]".

النمط السادس : الحال جملة مضارعية منفية : واو الحال + أداة نفي + فعل مضارع + فاعل + مفعول + أداة ظرفية مصدرية "ما" + صلة ذات جملة اسمية منسوخة + متضايفان + نعت :

ـ "تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ∴ ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم[246]".

الجملة " ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم " حال ، وهي خالية من عائد على صاحب الحال ، دالّة على الزمن . أما عن اقتران المضارع بالنافي فيقول ابن يعيش : "واعلم أن الفعل الماضي إذا اقترن به قد والفعل المضارع إذا دخل عليه ناف ووقع كل واحد منهما حالا كنت مخيرا في الإتيان بواو الحال وتركها[3]". غير أن اختيار الواو هنا أحسن ، لأنه رابط ضم الجملة الأولى الى الثانية ، وبدونه يحس القارئ بتفكك عناصر الجملة المركبة .

خصائص الجملة الحالية :

---

(1) حول معاني الجملة المضارعية الحالية ، انظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 164 ـ 165 .

(2) تعد "راح" بمعنى ذهب ، وليس بمعنى صار . كذا قال بعض الشراح .

(3) انظر شرح المفصل ، ج 2 ، ص 67 .

الجملة الحالية متنوعة مبتّر ومصنّى . والجدول يوضح ذلك[1] .

أنواع الجمل الحالية	الإثبات	التوكيد	النفي	بالواو	بدون الواو	بالواو بعد إلا	بدون الواو بعد إلا	بقد	بدون قد
جملة اسمية	06	—	—	06	—	—	—	—	—
جملة اسمية	—	02	—	02	—	—	—	—	—
جملة ماضوية	01	—	—	01	—	—	—	—	01
جملة ماضوية	01	—	—	—	—	01	—	—	01
جملة ماضوية	01	—	—	—	—	—	01	—	01
جملة ماضوية	—	01	—	01	—	—	—	01	—
جملة مضارعية	03	—	—	—	03	—	—	—	—
جملة مضارعية	—	—	01	01	—	—	—	—	—

1 ـ السمة الغالبة على الجملة الحالية ورودها جملة اسمية مقترنة بالواو ، وهذا يوافق آراء النحاة ، ويوضح ميل الشاعر إلى استخدام تراكيب ذات صفات القرار والثبوت .

2 ـ الجملة الحالية من حيث الرابط أنواع : النوع الأوّل ـ وهي السامة الغالبة في البردة ـ اعتماده على الواو ، والنوع الثاني اعتماده على الواو والضمير معا ، والأخير خاليّ من الرابط ، وربما كان الناظم في هذا التركيب يهدف إلى ربط الجملتين لجعل الكلام خبّرا واحدًا .

3 ـ السمة الغالبة على الجملة الحالية ـ في البردة ـ ورود الحال مرتبطا بصاحبه بيد أننا لم نلحظ ذلك في مثالين : " وكل طرف من الكفار عنه يحمى[2] " ، و " ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم[3] ، وربما كان هذا التركيب من الجمل التي لها دلالات عامة ، لا تخص عنصرا من عناصر الجملة المركبة ، بل تشملها جميعا .

---

(1) الاعداد توضح نوع الجملة ونسبة شيوعها .
(2) انظر ص 232 .
(3) انظر ص 236 .

4 ـ الجملة الحالية الواردة فعلا مضارعا ـ في الغالب ـ عارية من الواو .

5 ـ من دلالات الجملة الحالية في البردة ـ إلى جانب معناها الأصلي ـ المقابلة والزمن .

من أسرار العربية في البردة أن وردت الجملة الحالية بأنواعها الثلاثة : الاسمية ، والماضوية ، والمضارعية . كما وردت بالواو وبدونه ، وبالواو بعد إلا وبدونه ، وبقد وبدونها . ووردت أيضا بالواو مع المضارع المقترن بالنافي .

خامسا ـ جملة النعت(*)

توزّع هذا التركيب حسب الأنماط التالية :

النمط الأول : النعت جملة ماضوية مثبتة :

ـ "بعارض جاد أو خلت البطاح بها ∴ سيب من اليم أو سيل من العرم" (244)

ـ "أمن تذكر جيران بذي سلم ∴ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم" (233)

ـ "أكرم بخلق نبيّ زانه خلق ∴ بالحسن مشتمل بالبشر متسم" (242)

في البيت الأوّل الجملة " جاد " نعت لعارض . والمنعوت موصوف بصفات ليست من ذاته ، لأن الجود من صفات الإنسان ، فالاستعمال من باب المجاز .

وفي البيت الثاني الجملة " جرى من مقلة بدم " نعت لدمع . وقد وصف المنعوت بما يقتضيه الوصف . والجار والمجرور " من مقلة " متعلق بيجري ، وهو للتأكيد ، لأن الدمع لا يجري من غير المقلة . فالقول إذن بأن الجملة الوصفية حشو فيه نظر للأسباب الآتية .

أ ـ تفيد الجملة التوكيد

ب ـ هي رمز حسي لمعنوي ، يوافق مذهب الناظم

ج ـ الانسجام الصوتيّ بينها وبين كلمة جيران .

(*) انظر ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 3 ، ص 52 وما بعدها . ونشير إلى أن الباحث يستخدم الصفة والنعت لغرض واحد .

وفي البيت الأخير الجملة " زانه خلق " نعت لنبي . وهي عنصر متمم ، به اتضحت عملية الإخبار التي تضمنتها صيغة التعجب " أكرم بخلق " ، لأن لفظها أمر ، ومعناها خبر . فالرسول (ص) إذن قد حسّنه خلق فتخصص بهذه الصفة الحميدة ، وتميز عن غيره من المسميات بها . وبناء عليه فالمنعوت موصوف بما اختص به . أما البنيتان : السّطحية والعميقة فمختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة . وهذا مبناهما .

بنية السطح

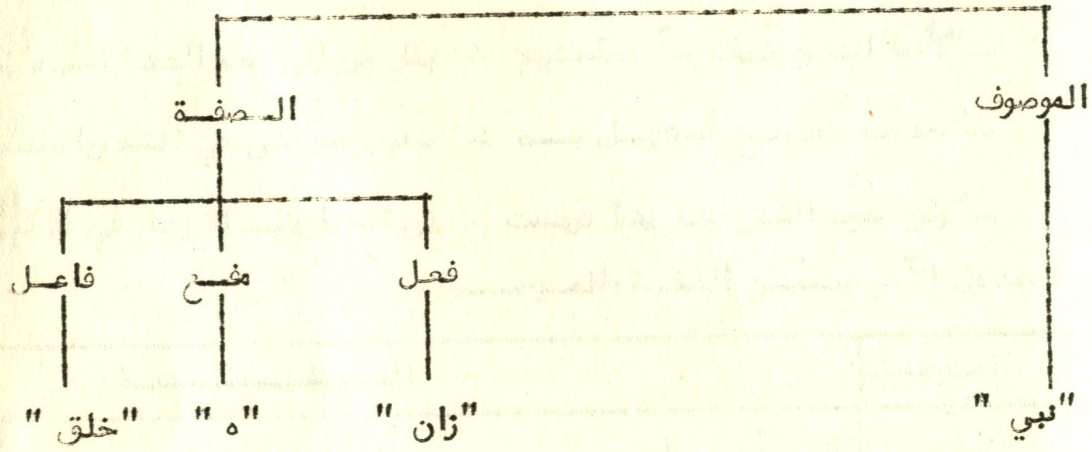

بنية العمق

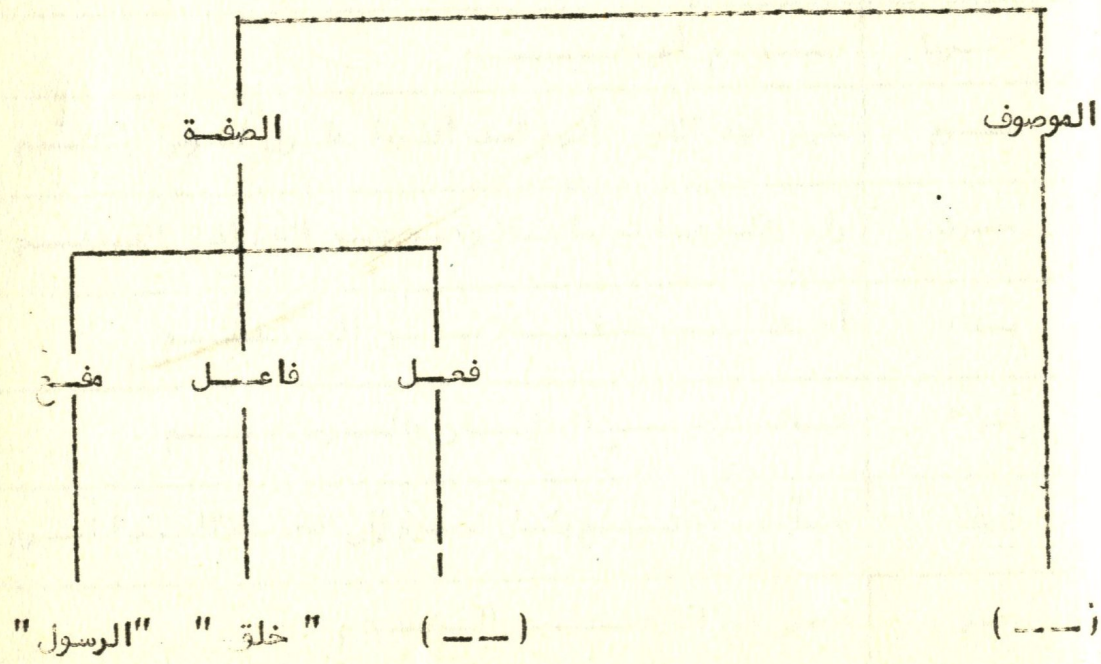

وشبيه بهذا ما نجده في الأبيات الآتية :

ـ "ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى ∴ ضيف ألم برأسي غير محتشم" (239)

ـ "لو كنت أعلم أني ما أوقره ∴ كتمت سرا بدالي منه بالكتم" 239

ـ "لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه ∴ طوبى لمنتشق منه وملتثم" (242)

ـ "يوم تفرّس فيه الفرس أنّهم ∴ قد أنذروا بحلول البؤس والنقم" (242)

ـ "لا تعجبن لحسود راح ينكرها ∴ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم" 245

ـ "راعت قلوب العدا أنباء بعثته ∴ كنبأة أجفلت غفلا من الغنم" (246)

ـ "ودّوا الفرار فكاد و يغبطون به ∴ أشلاء شالت مع العقبان والرخم" (246)

ـ "كأنما الدين ضيف حلّ ساحتهم ∴ بكل قوم إلى لحم العدا قرم" (246)

ـ "خدمته بمديح أستقيل به ∴ ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم" (247)

ـ "ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم" (248)

الجدول الآتي يبيّن الصفة والموصوف

الموصوف	الصفة
ضيف	ألمّ براسي غير محتشم
سرا	بدا لي منه بالكتم
تربا	ضم أعظمه
يوم	تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
حسود	راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
بنأة	أجفلت غفلا من الغنم
أشلاء	شالت مع العقبان والرخم
ضيف	حلّ ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم
عمر	مضى في الشعر والخدم
يدا	تربت

النمط الثاني : النعت جملة ماضوية مؤكدة :

—"واستفرغ الدمع من عين قد أمتلأت .. من المحارم وآلزم حمية الندم"(247)

بنية السطح

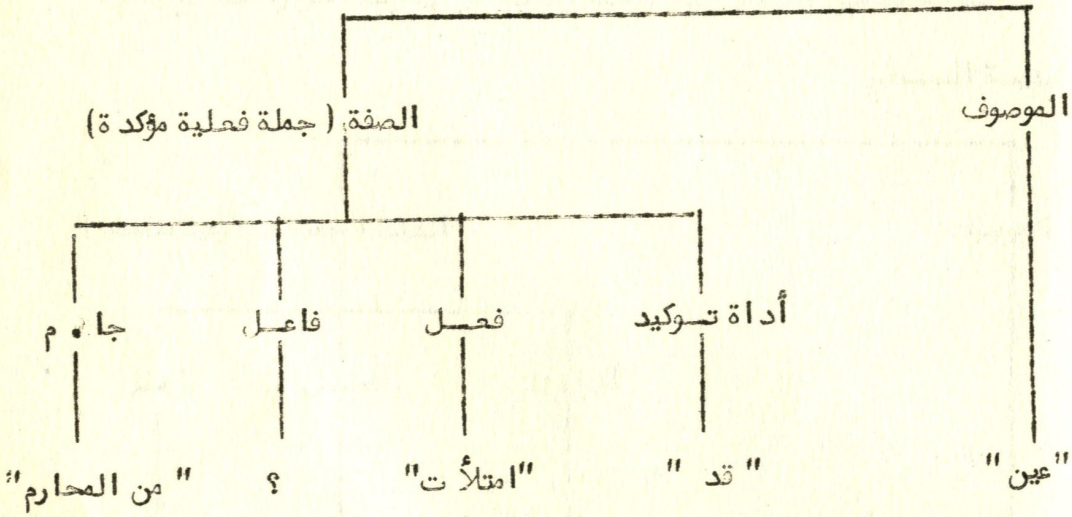

جملة " قد امتلأت من المحارم " صفة لعين ، وهي جملة ماضوية مؤكدة خصصت العين بامتلائها من المحارم ، وميّزتها عن غيرها من المسميات بهذه الصفة التي استعمل فيها المحسوس للمعنوي

النمط الثالث : النعت جملة مضارعية مثبتة :

—"يجر بحر خميس فوق سابحة .. يرمي بموج من الأبطال ملتطم"(246)

—"شاكي السلاح لهم يسمى تميزهم .. والورد يمتاز بالسيمى عن السلم"(244)

جملة " يرمي بموج من الأبطال ملتطم " صفة لخميس ، وهي جملة مضارعية مثبتة ، تفيد المبالغة والتعظيم في تصوير كثرة الجيش المتوج . ومن نكت الإبداع أن الفعل "يرمي " مرتبط بالحركة والتجدد والاستمرار ، وهي صفات هذا الجيش العرمرم، فانسجم الوصف مع الدّلالة ، وصارت العلاقة بين الدوال والمدلولات أوضح وأمتن(1) . أما العناصر الأخرى فهي : " بموج " متعلق بيرمي ، و " من الأبطال " نعت لموج ، و"ملتطم " نعت ثان لموج .

---

(1) انظر الصوت المكرر ، الفصل الأوّل ، ص 44 . وراجع فكرة العلاقة بين الدال والمدلول من عهد اليونان إلى مطلع القرن العشرين : [illegible] وحنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص 22 — 29 .

وجملة تميزهم صفة لسيمى تؤكد موصوفها لما بينهما من قرابة في الدلالة .

النمط الرابع : النعت جملة مضارعية منفية :

—"ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به .: إلا ونلت جوارا منه لم يضم"[243] .

بنية السطح

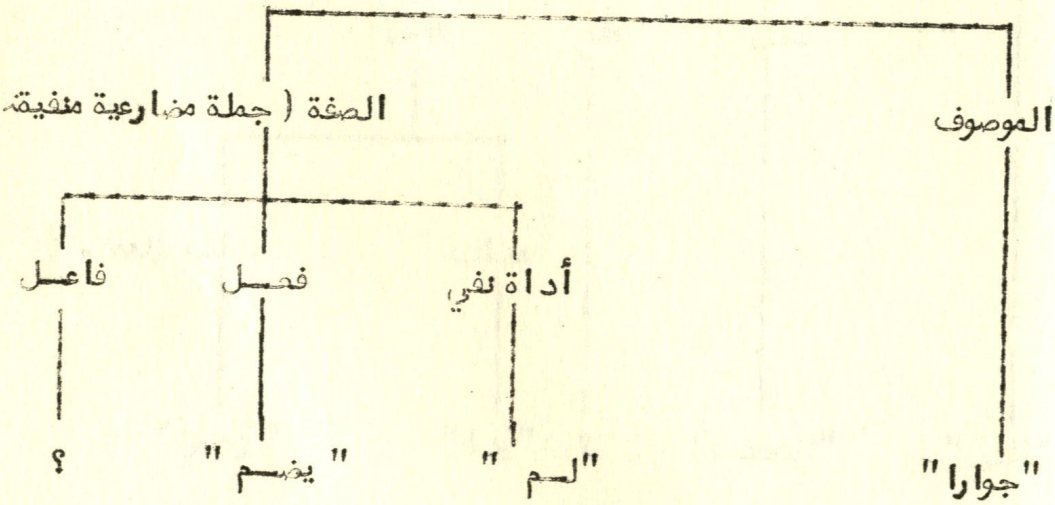

جملة " لم يضم " نعت لـ " جوارا " . وقد تكون حالا ، لأن " منه " نعت لجوار، فتخصصت النكرة بالوصف واقتربت من المعرفة[1] .

—" فيا خسارة نفس في تجارتها .: لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم"[247]

النمط الخامس : النعت جملة موصولية

له صورتان :

الصورة الأولى : موصول " التي " + صلة ذات فعل ماض + مفعول به محذوف في البنية السطحية + فاعل + جار + مجرور (جملة موصولية) :

—" ولم أدر زهرة الدنيا التي اقتطفت .: يدا زهير بما أثنى على هرم "[248] .

---

(1) انظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 2 ، ص 429 .

بنيـة السـطـح

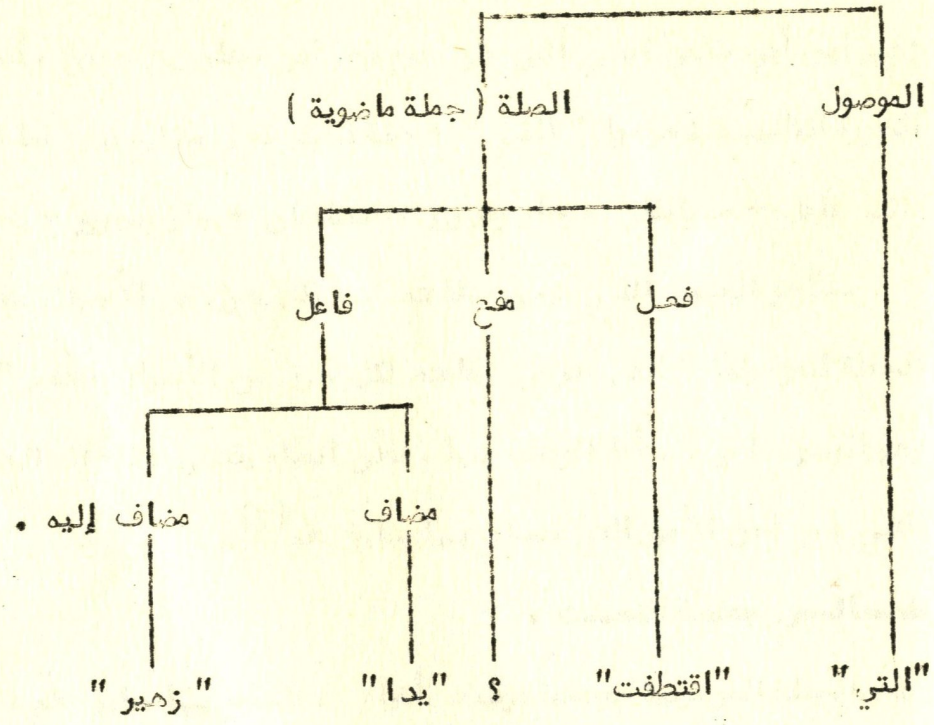

بنيـة العمـق

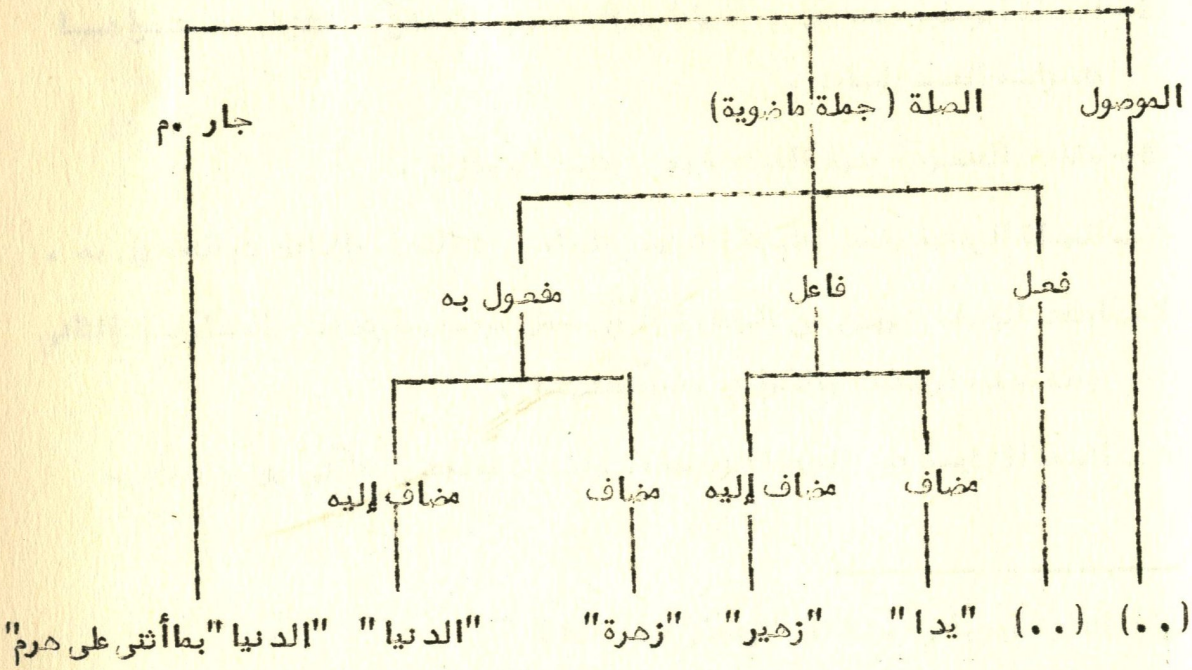

الجملة الموصولية " التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى علم هرم " صفة لـ " زهره الدنيا " والمفعول به محذوف في البنية السّطحية ، مقدر في البنية العميقة بالهاء العائدة على زهرة الدنيا في الفعل (اقتطفتها) . والبنيتان : السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الحذف والإضمار والإظهار ، والتقديم والتأخير بين عناصر الجملة . أما الوصف

بالجملة الموصولية فلملاءة القصة التي كان للسامع بها علم[1]، وهي قصة الشاعر الجاهلي زهير ابن أبي سلمى الذي أثنى على هرم وهو ابن سنان بن حيان ، أحد ملوك العرب[2]

الصورة الثانية : موصول " الذي " + صلة ذات فعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله + نائب فاعل + متضايفان + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + نعت :

— "هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ∴ لكل هول من الأهوال مقتحم"[241]

الجملة الموصولية " الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم " صفة للحبيب ، وهو الرسول (ص) . أما الوصف بها ، فلأن المقام يقتضي ذلك إذ الحديث عن النبي (ص) من الأمور التي للسامع بها سابق علم[3] .

خصائص جملة النعت .

1— الجملة الموصولية الوصفية مرتبطة بأغراض ، للسامع بها سابق علم ، وهذا يوافق آراء بعض النحاة[4] .

2— الجملة الوصفية تستعمل — أحيانا — المحسوس للمعنوي ، لتنزيل محتواها منزلة المدركات .

3— صفات المنعوت منها المختصة به ، ومنها المجازية .

4 — الجملة الوصفية يغلب عليها الترتيب العادي : الفعل والفاعل ثم المفعول به .

5 — اعتمد الوصف ضربين من الجمل : الأوّل جمل موصولية ارتبطت بالمعارف ، والثاني جملة فعلية ارتبطت بالنكرات ، فخصّصتها .

6 — السمة الغالبة على الجملة الوصفية الإثبات . والجدول الآتي يوضح ذلك .

---

(1) انظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 155

(2) انظر حاشية الباجوري على متن البردة ، ص 76

(3) المصدر السابق ، ص 155

(4) المصدر نفسه ، ص 254 وما بعدها .

أنواع الجمل	الإثبات	التوكيد	النفي
ماضوية	13	01	
مضارعية	02		02

يبيّن الجدول ورود الإثبات في نحو ثلاث عشرة جملة . فاذا ما علمنا أن المحور الأساسي الذي دارت حوله معظم النعوت هو الرسول (ص) اتضح لنا أن هذه الوسيلة الأسلوبية " تفضيلات[1] " أرادها الناظم لتثبيت محتوى رسالته .

سادسا — جملة التعليل(*)

الجملة التعليلية عنصر من عناصر الجملة المركبة ، تعلل مضمونها فيتم الكلام بها ويتضح . ومن أدواتها : " اللام " ، و"الفاء " ، و"إذ " ، و"كي " . وهي — في البردة — نوعان : بالأداة ، وبدونها .

1 — الجملة التعليلية المقترنة بالأداة

توزّع هذا النوع حسب الأنماط التالية

النمط الأوّل : الجملة التعليلية المصدرة " بالفاء "

الصورة الأولى : جملة اسمية غير منسوخة :

— "ولا تطع منهما خصما ولا حكما :. فأنت تعرف كيد الخصم والحكم"(240)

---

(1) يختار الأديب عددا من الكلمات والجمل دون غيرها ، يؤثرها ، ويجدها تعبّر عن نفسه ، انظر جون مونان ، مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، ص 134، وعدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، ص 141 .

(+) انظر ابن فارس ، الصاحبي ، ص 109 = 110 . وابن هشام ، مغني اللبيب ج 1 ، ص 162 . ومحمد إبراهيم عبادة ، الجملة العربية ، دراسة لغوية نحوية ص 159 .

أنواع الجمل	الإثبات	التوكيد	النفي
ماضوية	13	01	
مضارعية	02		02

يبيّن الجدول ورود الإثبات في نحو ثلاث عشرة جملة . فاذا ما علمنا أن المحور الأساسي الذي دارت حوله معظم النصوت هو الرسول (ص) اتضح لنا أن هذه الوسيلة الأسلوبية " تفضيلات[1] " أرادها الناظم لتثبيت محتوى رسالته .

سادسا — جملة التعليل(*)

الجملة التعليلية عنصر من عناصر الجملة المركبة ، تعلل مضمونها فيتم الكلام بها ويتضح . ومن أدواتها : " اللام " ، و"الفاء " ، و"إذ " ، و"كي " . وهي — في البردة — نوعان : بالأداة ، وبدونها .

1 — الجملة التعليلية المقترنة بالأداة

توزّع هذا النوع حسب الأنماط التالية

النمط الأوّل : الجملة التعليلية المصدرة " بالفاء "

الصورة الأولى : جملة اسمية غير منسوخة :

— "ولا تطع منهما خصما ولا حكما .: فأنت تعرف كيد الخصم والحكم"(240)

---

(1) يختار الأديب عددا من الكلمات والجمل دون غيرها ، يؤثرها ، ويجدها تعبّر عن نفسه ، انظر جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، ص 134، وعدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، ص 141 .

(+) انظر ابن فارس ، الصاحبي ، ص 109 = 110 . وابن هشام ، مغني اللبيب ج 1 ، ص 162 . ومحمد إبراهيم عبادة ، الجملة العربية ، دراسة لغوية نحوية ص 159 .

عبارة "فأنت تعرف كيد الخصم والحكم" جملة تعليلية تفيد تأكيد الخبر وتحقيقه[1]

لأن هذا البيت والذي سبقه فيهما إنكار منكر، فاحتيج الكلام إلى هذه الوسيلة

وبها صار معللا .

وشبيه بهذا ما نجده في قوله :

واخشر الدسائس من جوع ومن شبع .: فرب مخمصة شر من التخم

الصورة الثانية : جملة اسمية منسوخة :

ـ "فإن من جودك الدنيا وضرتها .:. ومن علومك على اللوح والقلم"(243)

بنية السطح

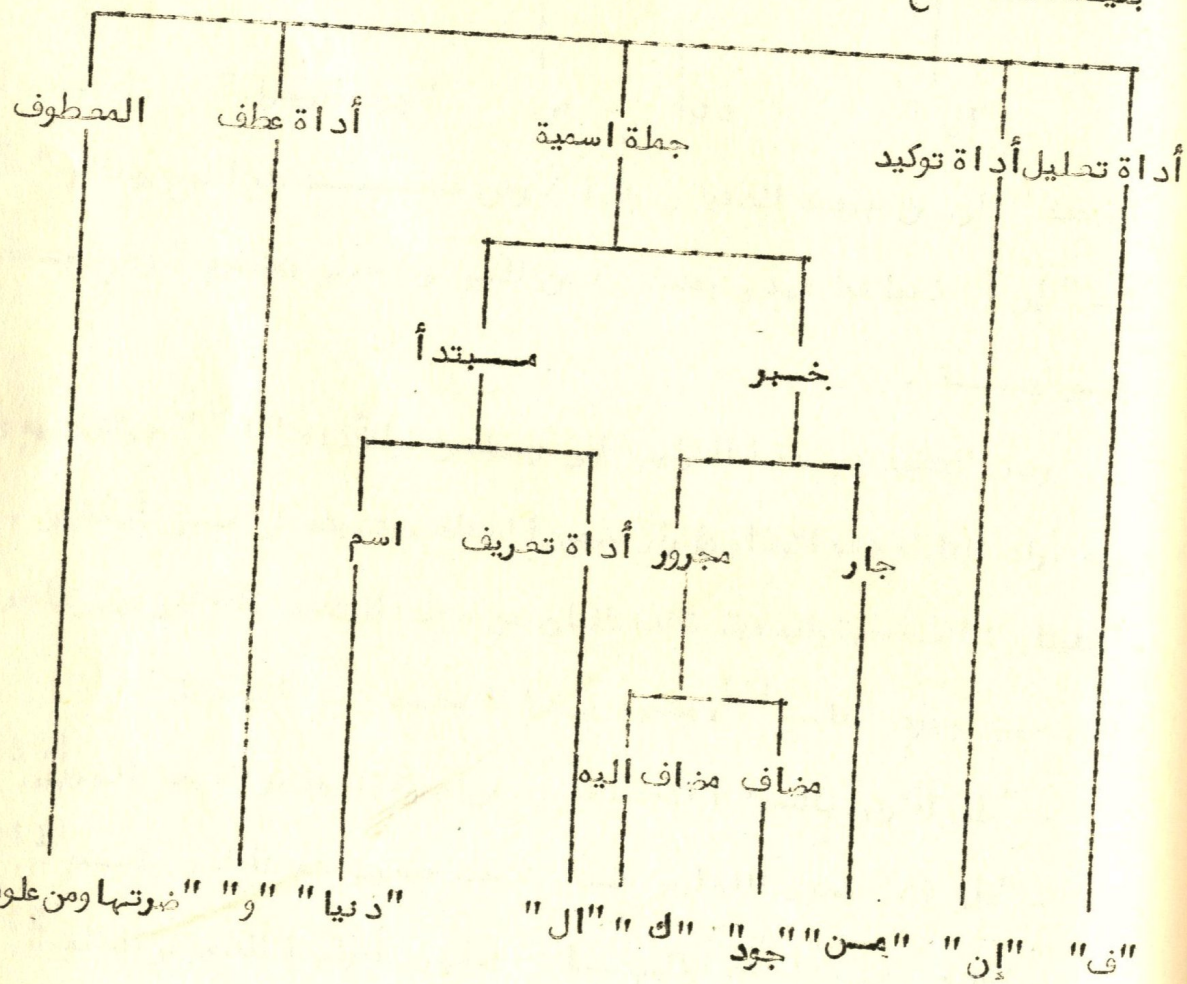

---

(1) انظر وسائل تأكيد الخبر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 102 .

بنية الهمزة

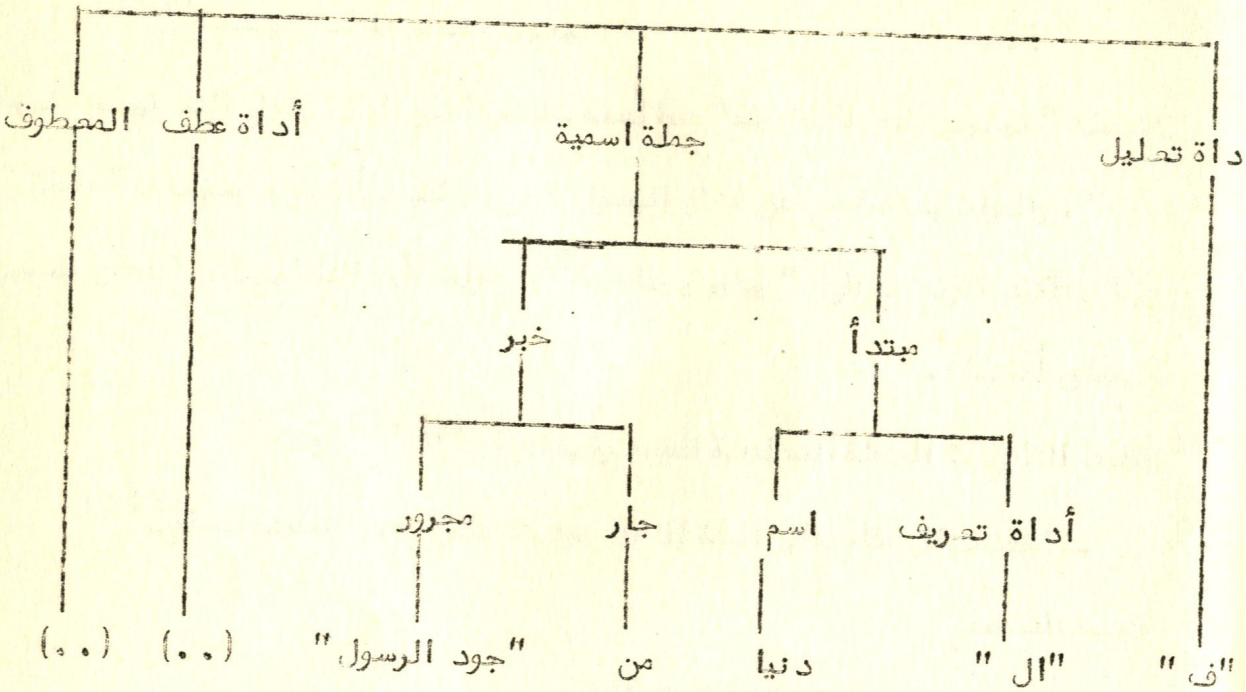

الجملة " فإن من جودك الدنيا وضرتها / ومن علومك علم اللوح والقلم " علّة لـ " إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقم / من النبي ولا حبلي بمنصرم " وهي جملة شرطية .

وصل التوكيد في هذا التركيب إلى وسيلتين : الأداة " إن " ، والتقديم والتأخير . وبه أراد الناظم دفع الإنكار وإقرار مضمون الجملة ، وتثبيته في نفوس المنكرين . أما البنيتان : السطحية والعميقة فمختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة ومن حيث وجود الناسخ [1] ، وشبيه بهذا ما نجده في قوله :

ـ "فإن أمّارتي بالسوء ما اتّعظت ∴ من جهلها بنذير الشيب والهرم" (239)

ـ "فإن فضل رسول الله ليس له ∴ حد فيعرب عنه ناطق بفم" (241)

ـ "فإنه شمس فضل هم كواكبها ∴ يظهرن أنوارها للناس في الظلم" (242)

---

(1) انظر تحويلات الجملة المنسوخة ، د . جعفر دك الباب ، الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 120 ، ود . علي الخولي ، قواعد تحويلية للغة العربية ، ص 21 وما بعدها .

الصورة الثالثة : جملة فعلية

ـ" ... ∴ فيعرب عنه ناطق بفم "(241)

الجملة " فيعرب عنه ناطق بفم" علة لعلة سابقة " فإن فضل رسول الله ليس له حد " . والمراد به فيفصح عن فضل الرسول (ص) متكلم . أما قوله بفم بعد " ناطق" فإمّا للتأكيد كقوله تعالى " يطير بجناحيه(1)" ، وإما لأن الناظم يطلق النطق على الجنان أيضا .

النمط الثاني : الجملة التعليلية المصدرة بالأداة "إذ "(*) :

ـ"خفضت كل مقام بالإضافة إذ ∴ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم"(245)

بنية السطح

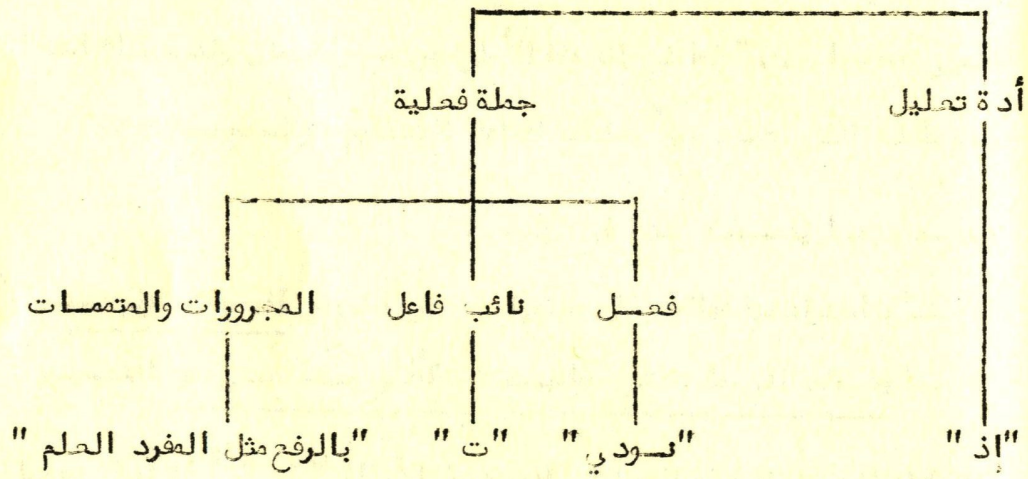

بنية العمق

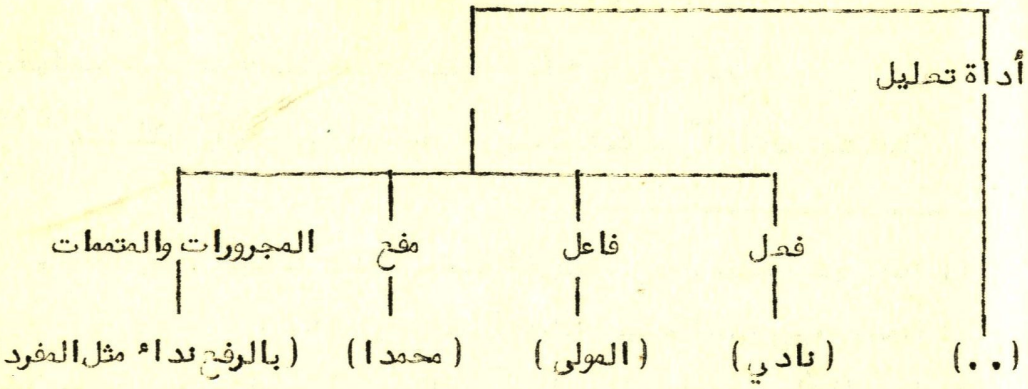

(1) سورة الأنعام (38)

(+) انظر الزركشي ، البرهان ، ج 4، ص 207، وابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 81 ـ 82

الجملة "إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم " علّة لـ (خفضت كل مقام بالإضافة) وقوله " إذ نوديت ..." مقدّر في البنية العميقة بـ (لأنك نوديت يامحمد) ، فإذ ضمّت الجملة الأولى الى الثانية حتى كأن الكلام أفرغ إفراغا واحدا . و"مثل" نعت لمفعول مطلق مقدّر في البنية العميقة بـ (نداء) . أما البنيتان :السّطحية والعميقة فمختلفتان . فإذا علمنا أن البنية العميقة هي الصورة المثالية للجملة ، والبنية السّطحية هي الصورة المحسوسة للجملة[1]، قلنا إن استغلال الكاتب لأنواع بعينها من التحويلات تشكل أسلوبه التركيبيّ ، لأنه يكون بمقدوره مع وجود عدد من القوالب المتاحة للتعبير عن بنية عميقة معينة أن يفضل قوالب بعينها على قوالب أخرى[2] . والناظم في هذا التركيب قد فضل بنية " إذ نوديت بالرفع ..." على بنية "نادى المولى محمدا ..." لما في الجملة الأولى من سحر وجمال ولده بناء الفعل لما لم يسم فاعله الذي عمد فيه حذف الفاعل للتعظيم ، وللعلم به .

ونجده ما يشبه هذا في قوله :

ـ"دامت لدنيا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جاءت ولم تدم"[244]

ـ"إذ قلد اني ما تخشى عواقبه كأنني بهما هدي من النعم"[247]

النمط الثالث : الجملة التعليلية المصدرة بالأداة " كي "(*) : أداة تعليل " كي مقترنة بما الزائدة + جملة مضارعية + جار ومجرور + نعت + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف + نعت + متضايفان :

"كيما تفوز بوصل أيّ مستتر عن العيون وسرّ أيّ مكتتم"[245]

---

(1) انظر عبد الحليم راضي ، نظرية اللغة في النقد العربيّ ، ص 438 .

(2) فريمان ، عن عبد الحليم ، نظرية اللغة ، ص 495 .

(*) انظر الرمّاني ، معاني الحروف ، ص 99 ـ 100 . والسيوطي ، همع الهوامع ، ج 4، ص 199 ـ 200 .

جملة " كيما تفوز بوصل أي مستتر / عن العيون وسر أي مكتتم " علّة لـ (سريت من حرم ليلا إلى حرم / كما سرى البدر في داج من الظلم ، وبت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم) ، والمراد من هذا التعليل أن الرسول (ص) فعل ذلك لأجل أن يفوز بكذا وكذا . و (بوصل وعن العيون) متعلقان بتفوز ومستتر ، و"أي " نعت لوصل وسر ، وكل من (مستتر ومكتتم) مضاف إليه .

2 — الجملة التعليلية بدون الأداة

هذا التركيب هو النمط نفسه للجملة التعليلية الخالية من أداة التعليل ، لأن بنياتها في الأمثلة كلها متشابهات :

— "محضتني النصح لكن لست أسمعه ∴ إن المحب عن العذال في صمم" (239)

— "يانفس لا تقنطي من زلة عظمت ∴ إن الكبائر في الغفران كاللمم" (248)

— "بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ∴ من العناية ركنا غير منهدم" (246)

— "والطف بعبدك في الدارين إن له ∴ صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم" (243)

— "فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة الفهم" (239)

— "فاصرف هواها وحاذر أن توليه ∴ إن الهوى ما تولى يصم أو يصم" (239)

— "وأكدت زهده فيها ضرورته ∴ إن الضرورة لا تعدو على العصم" (240)

— "لا تنكر الوحي من رؤياه إن له ∴ قلبا إذا نامت العينان لم ينم" (243)

— "ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ∴ إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم" (248)

الجمل التعليلية في هذه الأبيات :

— " إن المحب عن العذال في صمم "

— " إن الكبائر في الغفران كاللمم "

— " إن لنا من العناية ركنا غير منهدم "

— " إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم "

— " إن الطعام يقوي شهوة الفهم "

— " إن الهوى ما تولى يصم أو يصم " .

— " إن الضرورة لا تصدو على الصم " .

— " إن له قلبا اذا نامت العينان لم ينم" .

— " إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم " .

هذا الضرب من التركيب قد شكّل ظاهرة أسلوبية متميزة ، لأن حذف أداة التعليل ، وتكرار عنصر الاسمية ، والتوكيد بالأداة" إن " في الأمثلة كلّها قد جعل منه نموذجا أسلوبيا [1] ساهم في إنشاء عنصر الانسجام إلى حد التطابق التركيبي . ولكن الطريف فيه هو تعانق الانسجام نفسه مع الاختلاف، فالجملة التعليلية متنوعة مبنًى ومعنًى . والكلام عذب قويّ التأثير والإيحاء بارتباط الجمل بما قبلها وائتلافها معه واتحادها به . أما أدوات التعليل فمحذوفة في البنية السّطحية ، مقدرة في البنية العميقة بـ (اللام أو الفاء) . والحذف في هذا السياق أبلغ ، لأنه في أغلب الأحيان يعطي الجملة التعليلية طابع الحكمة ، ويصرف الذهن إليها .

خصائص الجملة التعليلية

تنوعت الجملة التعليلية — في البردة — فجاءت مثبتة ، ومؤكدة بوسيلة ، ومؤكدة بوسيلتين . وقد مال الناظم إلى استعمال الجمل المؤكدة ، لأن الكلام — فيما يبدو — مقدّر بجواب عن سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن علّة . أما سرّ استخدامها فالنفوس تنبعث إلى قبول الأحكام المعللة بخلاف غيرها . وأما من حيث وجودها في النص فقد ساهمت في بيان المقصود ، وتوضيح المعنى ، إذ بها كان الكلام مفهوما ، وبإحدى أدواتها أفرغ الإخبار إفراغا واحدا ، وصارت الجملتان فكرة واحدة لشيء واحد .

---

(1) انظر فكرة النماذج الأسلوبية ، عبد السلام المسدي ، النقد والحداثة ، ص 61 — 101 .

سابعا — جملة الغاية

الجملة الغائية جملة مركّبة يكون أحد المركبين الإسناديين فيها غاية للآخر . وتظهر بينهما أدوات هي : " حتى " و "أو " و "إلى أن " . وقد أمكن تصنيف ما ورد منها في البردة حسب الأنماط الآتية :

النمط الأوّل : الجملة الغائية المصدرة بحتى(*)

الصورة الأولى : جملة اسمية منسوخة

— "وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب ∴ منقضة وفق ما في الأرض من صنم

— "حتى غدا عن طريق الوحي منهزم ∴ من الشياطين يقفوا إثر منهزم "(243)

جملة " يقفوا اثر منهزم " نعت ل (منهزم) . وقد تكون حالا من " منهزم " ؛ لأنه نكرة موصوفة بالجار والمجرور " من الشياطين " ، وهي للتوكيد . وجملة "حتى غدا عن طريق الوحي منهزم . . . " غاية لما قبلها ، والأداة " حتى " بمعنى (إلى) دالّة على انتهاء الغاية . والجملة الأصلية في هذا التركيب يمتد حدوثها حتى هروب الشياطين .

ونجد مثل هذا في قوله :

"من كل منتدب لله محتسب ∴ يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ∴ من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة أبدا منهم بخير أب ∴ وخير بعل فلم تيتم ولم تئم(246)

جملة " حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم . . . " غاية لما قبلها . والمراد أن المنتدب ما زال يسطو بسيف قاطع على أهل الكفر حتى صارت ملّة الإسلام موصولة بعد أن

(*) انظر الرمّاني ، كتاب معاني الحروف ، ص 119 . وابن فارس الصاحبي ، ص 150 . والسيوطي ، همع الهوامع ، ج 4 ، ص 164 — 165 .

ـ "وأنت تخترق السبع الطباق بهم ∴ في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق ∴ من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالإضافة إذ ∴ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم"(245)

الجملة "حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم خفضت كل مقام بالإضافة..." غاية لـ " وأنت تخترق السبع الطباق بهم ...". فالاختراق في هذا التركيب يحده أعلى مقامات القرب ، لأن "حتى" دالّة على انتهاء الغاية . أما "إذا" فمضمّنة معنى الشرط ، وهذا ما نرجّح ، وقد تكون ظرفية زمانية مجردة عن معنى الشرط زادها الناظم للتوكيد ، ولضرورة النظم .

النمط الثاني : الجملة الغائية المصدرة بإلى(*) : أداة غاية " إلى " + جملة فعلية + جار ومجرور :

ـ "ظللت سنة من أحياء الظلام إلى ∴ أن اشتكت قدماه الضر من ورم"(240).

الجملة " إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم " غاية لـ " أحياء الظلام " والأداة " إلى " دالّة على الغاية ، لأن الرسول (ص) استمر إحياؤه للظلام إلى ذلك الحين ، فهو إذن غاية في الإحياء .

النمط الثالث : الجملة الغائية المصدرة بأو** : أداة غاية " أو " + جملة فعلية (فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول ثانٍ (جملة اسمية) + أداة عطف + معطوف :

ـ "بحارة جاد أو خلت البطاح بها ∴ سيب من اليم أو سيل من العرم"(244).

(*) انظر الرمّاني ، معاني الحروف ، ص 115 . وابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1، ص 74
(**) انظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ج 1 ، ص 57 ، ومحمد إبراهيم ، الجملة العربية ، ص 120 .

الجملة "أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم" غاية لـ "بعارض جاد . و" أو " دالة على الغاية ، لأن السحاب جاد بمطر غزير حتى خيل سيبا من البحر أو سيلا من العرم . و (من اليم ومن العرم) الأول نعت لسيب ، والثاني نعت كذلك .

خصائص الجملة الغائية :

1 — الجملة الغائية المقترنة بحتى متنوعة مبنى ومعنى ، فهي اسمية ، وفعلية ، وشرطية . وهذا التركيب أكثر الأنواع تواترا ، لأنه مرتبط بمواقف حربية ، وبإحدى آيات الرسول (ص)

2 — الجملة الغائية من حيث مضمونها تميل في بعض الأحيان إلى استعمال المجاز .

3 — السمة الغالبة على الجملة الغائية التعبير بالفعل ، وربما كان ذلك لارتباطها بالحركة والتجدد اللذين تقتضيهما طبيعة المعاني والسياق .

4 — الجملة الأصلية في الجملة الغائية ممتد حدوثها حتى الحد ، وبعده — أحيانا — في مواقف كانت تتطلب الاستمرار في الزمن ، مثل

"من كل منتدب لله محتسب ∴ يسطو بمستأصل الكفر مصطلم
حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ∴ من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة أبدا منهم بخير أب ∴ وخير بعل فلم تيتم ولم تئم (1)

5 — السمة الأسلوبية المميزة للجملة الغائية الطول المفرط ، وربما كان هذا لتداخل الحوادث ، وتنوعها .

---

(1) انظر هذا الفصل ، ص 253 — 254 .

الخاتمة

الخاتمة

اختلف بعض الدارسين في مجد البردة الأدبيّ الخالد ، فزكي مبارك يرجعه إلى الإخلاص ، وعمر باشا يردّه إلى خصائصها الملحمية . أمّا نحن فقد درسناها دراسة لسانية أسلوبية وتتبعنا بنيتها اللغوية ، فألفيناها من خالص شعر العرب وصافيه ، لا تشوبها شائبة إلا بقدر ما يلزم الصورة الجميلة من الشوك ، فانتهينا إلى أن مجد البردة الأدبيّ الخالد ، لا يعود الى الإخلاص أو السمات الملحميّة فحسب ، بل إلى أسرارها الدفينة ، ولعلّ البنية الصوتية ، والصرفية ، والنحوية كفيلة بأن تكشف عنها .

أ ـ البنية الصوتية

البناء الصوتي في البردة ليس عنصرا مباشرا ، ولا هيكلا ثابتا ، بل هو خط حركيّ ينفذ إلى ما وراء الخصائص الواعية للتفكير ، والشعور ، ويحمل أعباء المعنى والإيقاع . وتتجلّى بعض مميّزاته من خلال الوزن والأصوات المكررة .

1 ـ يتميّز البحر البسيط بالجزالة والطلاوة ، وهو من البحور الرائجة عند الشعراء قديما وحديثا . وقد أتبع البوصيريّ في استعماله طريقة الشعراء الفحول ، فأورد المقياس (مستفعلن) الواقع في حشو البيت خاليا من الزحافات ، والمطبعون لا يستعملونه إلا كذلك . أمّا القافية فمكوّناتها صوتيّة ، وصرفية في بعض الأحيان ، وهي عذبة الحرف ، سلسة المخرج ، خالية من العيوب ، متماشية مع سنن العرب وذوقهم .

2 — يكثر في البردة استخدام الترصيع ، والتجنيس . فالترصيع أسلوب أخّاذ أثرى التعبير بنغمات موسيقيّة عذبة ، وساهم في شدّ المتلقي ، وربطه بأهداف الرسالة ، وهو ثلاثة أنواع : متواز ، ومتوازن ، ومطرّف . والتجنيس نظام صوتيّ دلاليّ ، ووسيلة من وسائل الإبلاغ الموحية المؤثرة .

3 — صوّرت الأصوات المكررة مفردة أو مجتمعة الانفعالات النفسيّة ، وارتبطت باهتمامات الناظم وأهدافه .

4 — المقطع الصوتيّ ينبع من الوجدان ، ويضفي على المتقبل نشاطا نفسيا ، ويرتبط في الغالب — بدلالات حسيّة هادفة إلى إثارة العواطف ، والأحاسيس ، لأنه عملية حركية نفسية .

5 — أفضى ارتباط الصوت بالمعنى إلى طرح فكرة العلاقة المتينة بين الدوال والمدلولات . ونحن إذ نقول بوجود هذه الظاهرة في البردة لا نعني أننا ننفي قضيّة العلاقة الاعتباطيّة ، بل نؤمن بها ، كما نؤمن بفكرة التبرير في اللغة ، وبالأخص في الأعمال الأدبية ، والأسماء الطبيعيّة .

ب — البنية الصوفية

الكلمة في البردة متنوعة مبنًى ومعنًى

1 — إن أكثر مباني الأبنية الفعليّة شيوعا المطاوعة ، إذ اشترك في الدّلالة عليها ثلاثة أبنية : (انفعل ، وافتعل ، واستفعل) يليها أربع دلالات اشترك في التعبير عنها بناءان : التعدية ، والمبالغة ، والاتخاذ ، وجعل الشيء ذا أصله ، وقد دلّ عليها — على الترتيب — فعّل ، وأفعل) ، و(فعّل ، وفاعل) ، و (تفعّل ، وافتعل) ، و(فعّل ، وأفعل) . أما الأعراض

أما الأعراض وأضدادها ، والإزالة والسلب ، والتصريض ، والتشارك، ووجود الشيء ذا أصله فهي معان دالّ على كلّ منها بناء واحد . أمّا أكثر معاني الصيغ المركّبة تواترا فهي الزمن المطلق ، والماضي المنتهي بالحاضر حيث اشترك في التعبير عنها ثلاثة مركبات (لا تفعل، وما يفعل ، وليس يفعل) ، وعبّر عن الثاني (قد فعل ، ولقد فعل، وما فعل) . والمستقبل البسيط والقريب والاستمراريّ ، والماضي المستمر ، والمتجدد ، والمتّصل بالحاضر دلّ عليها بناء واحد .

2 — تمّ تحديد معاني الأبنية الاسميّة ، والعلاقات الصرفية بينها على أساس الأنماط والمقاطع الصوتية ، فانتهى الباحث إلى أن أكثر الأسماء في البردة تتكوّن من مقطعين (أي أبنية تنتمي إلى النمط الثاني) حيث بلغ عددها 313 اسما ، وعدد الأسماء التي تتكوّن من مقطع واحد مائتين ، وعدد الأسماء ذات المقاطع الثلاثة سبعة وسبعين اسما . وعدد الأسماء ذات المقاطع الأربعة ثلاثة . أمّا أبنيّة جموع التكسير فموزّعة بين الأنماط الثلاثة الأولى . وقد وصل عددها إلى ثمانية عشر بناء تمثّلت في تسعة وتسعين اسما . وأما أبنية الأسماء الدّالة على معان فهي :

البنـــاء	الـــدلالـــــة
فعِـــل	صفة دالّة على الكثرة والمبالغة في الوصف
فعا (فعَل)	مصدر دالّ على الأدواء
فِعَـــال	مصدر دالّ على الامتناع
فَعُـولـة	صفة دالة على المبالغة في الوصف
فَعْلَـة	اسم دالّ على المرة
فِعْلـة	مصدر دالّ على هيئة الحدث
ميعال (مِفْعال)	اسم دالّ على الآلة
تَفْعيـل	مصدر دالّ على المبالغة والتعظيم
فَعْـلان	مصدر دالّ على الستر والعفو
فِعّيـل	صفة دالّة على المبالغة في الوصف
فِعَالـة	مصدر دالّ على الحرفة
تَفَاعُـل	مصدر دالّ على التظاهر
مُفَاعِـل	صفة دالّة على المشاركة
تَفَعُّـل	مصدر دالّ على الكثرة والتجدد
فَعَّالـة	صفة دالّة على المبالغة في الوصف
فاعليّـة	مصدر دالّ على صفة معنوية

3 — استحطت في البردة المقاطع الخمسة ، بيد أن أكثرها شيوعا المقطع الطويل المغلق حيث ورد 472 مرة ، يليه المقطع القصير الذي ورد مائتين وثلاث وسبعين مرة . وورد المقطع المفرق في الطول (م ص م م) مائة وست وثمانين مرة ، والمقطع (م ص ص م) مائة واثنتين وثلاثين مرة ، والمقطع الطويل المفتوح مائة وثلاث عشرة مرة .

4 — يميل الناظم في استعمال الكلمات ذات المقاطع الثلاثة الى الصيغتين (مفتعل ، ومنفعل) ، لأنهما يناسبان اتجاهه العام . واذا كانت صيغة منفعل متميّزة بمعنى المطاعة ، فإن مفتعل دالّة على صفة الفاعل ، وفيها عمد الشاعر الى إنشاء عنصر الانسام بين مكوناتها الصوتية .

5 — يعمد الشاعر في البردة إلى إحلال صيغ محل أخرى كوضع المشتق موضع مشتق آخر ، والمجرد موضع المزيد فيه ، والمزيد فيه موضع المجرد .

ج — البنية النحوية

تعدّ فكرة إدماج علم المعاني في الدراسات النحوية من الوسائل الناجعة في الوصف والتحليل . ويزعم الباحث أنه استفاد من هذه الرؤية وحاول تطبيقها على قصيدة البردة ، فصنّف الجمل مراعيا وظائفها ومعانيها ، وحدّد أنماطها وصورها مفسرا ومحلّلا ، فانتهى الى ما يلي :

1 — يغلب على جملة الأمر النصح والارشاد . أمّا الأمر بالصيغة المرتبطة بدلالات الالتماس ، والانكار ، والتحسر ، والاعتبار ، فقد اعتمدها الناظم لعقد حوار حقيقته إشراك المتقبل في الرسالة .

2 — شحن الشاعر الجملة الندائية بمعاني التعجب ، والاستغاثة والتحسر، والندم ، والاستعطاف ، والدّعاء ، والتأييس ، والتوبيخ . وبها نادى القريب بالأداة " يا " ، وهذا عدول فيه مبالغة في المدح والتعظيم.

3 — الجملة الاستفهاميّة متميّزة بسعة المدى ، وقوة التأثير والإيحاء وهي مؤدّية دور المنشّط لحركة القصيدة ، ومخفّفة من سأم الطول ، أما دلالاتها فقد حوّلت الاستفهام من وجهته الأصليّة في إقامة الحوار بين الشاعر ونفسه إلى إقامة الحوار بين الشاعر والمتلقي .

4 — ترتبط جملة النهي في الغالب بالنصح والإرشاد ، وتعتمد أسلوب التعليل بالأداة وبغيرها . وهذا دليل على أن الناظم يتجاوز حدود الطلب والامتناع الى التعليل والتدليل ، والأخص عندما يكون ناهيا أو مدافعا عن الرسول (ص)

5 — العدول عن الاستعمال الأصلي في الجملة الشرطيّة ملائم للعطية الإبداعية .

6 — الجملة الشرطية إنشائية وخبريّة بعبارة جوابها ، وهي دالّة على السبب ، والتلازم ، والتقابل ، ومؤدّية لوظائف نحوية كوقوعها جواب شرط في جملة شرطيّة مركّبة ، وجملة خبريّة ، وجملة نعتية .

7 — أدوات الشرط المفضّلة عند الناظم (إن ، وإذا ، ولو) ، وأكثرها تواترا "إن " التي وردت نحو تسع مرات . ولعلّ ذلك يوافق آراء النحاة الذين عدّوا هذه الأدوات هي الأصليّة في الشرط .

الجملة الخبريّة اسميّة ، أو ماضويّة ، أو مضارعيّة ، أو موصوليّة ، أو شرطيّة ، والرابط فيها الضمير في الأمثلة كلّها . أما الإثبات وهو السمة الغالبة فمرتبط بأفعال دالّة على التجدد والنمو .

8 ـ الجملة المفعوليّة اسميّة أو فعليّة أو موصوليّة ، أو ندائية ، وهي تبيّن دلالة الجملة المركّبة .

9 ـ في الجملة الحاليّة سرّ بلاغيّ ، مهمّ ، وهي اسميّة أو ماضوية ، أو مضارعيّة ، بالواو وبدونه ، وبالواو بعد إلا وبدونه ، وبقد وبغيرها وبالواو بعد المضارع المقترن بناف . وهي من حيث ارتباطها بالجملة الأصليّة نوعان : نوع اعتمد الواو أو الواو والضمير معا ، ونوع اعتمد الضمير . وربما كان الناظم في هذا يهدف الى ربط الجملتين (الأصل والفرع) لجعل الكلام خبرا واحدا .

10 ـ الجملة النعتية موصولية مرتبطة بالمعارف ، فعلية مرتبطة بالنكرات وقد اعتمد الناظم في معظمها الترتيب العادي (فعل ، وفاعل ، ومفعول به إن وجد) . ومال إلى الأسلوب المثبت في بعض الأمثلة وهذا يوافق اتجاهه ، لأن الموصوف هو الرسول (ص) . أما اعتماده المحسوس فلتقريب محتوى الرسالة من المدركات .

11 ـ الجملة التعليلية مثبتة ، مؤكدة بوسيلة واحدة في بعض التراكيب ، وبوسيلتين في بعضها الآخر . وهي تساهم في بيان المقصود . والكلام بأن مفرع إفراغا واحدا . أمّا سرّها في البردة فالنفوس تتبعث إلى قبول الأحكام المعلّلة بخلاف غيرها .

12 — يكثر في الجملة الغائية عنصر الفعل ، لأنه متميّز بالحركة والتجدّد . والزمن فيها محدّد أحيانا ، ومطلق في بعض الأحيان ، أمّا أكثرها تواترا فالجملة الغائية المصدرة بحتى حيث وردت اسمية ، أو فعلية ، أو شرطية .

13 — الجملة في البردة عموما — متميّزة بالطول ، والطول المفرط في بعض الأحيان ولعلّ ذلك لتداخل الحوادث وتنوّعها . وهي تتّبع — في الغالب — الترتيب العادي ، وان حصل تقديم أو تأخير لبعض عناصرها ، فلأغراض بلاغية كالحذف ، والايصال ، والتأكيد ، والتنبيه . أما اعتمادها الحذف فلضرب من الاقتصاد في التعبير أو لضرورة النظم . والحذف ، والتقديم والتأخير والتقدير وسائل يتمّ بها تحديد البنية العميقة للجملة التي يستعان بها لفهم البنية السطحيّة ، وبالأخص عند اختلاف الترتيب بين عناصرها أو عدم ظهور عنصر منها . ويستعان بالبنيتين أيضا لكشف قدرات التعبير عند الناظم التي تتّسع باختلافهما ، وتضيق بتقاطعهما .

وأخيرا يدعو الباحث إلى استثمار اللسانيات في ممارسة النص الأدبيّ الذي طالما كبلته الدراسة التقليديه . ويرجو أن تجد هذه الدعوة صدىً في نفس القارئ .

المصادر والمراجع

6 ـ دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصريّة القاهرة ، الطبعة الرابعة 1980

7 ـ موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، الطبعة الخامسة 1981

3 ـ من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، الطبعة السادسة 1978

ـ الباجوري (ابراهيم)

9 ـ حاشية الباجوري على متن البردة وبهامشها شرح الشيخ خالد الأزهري ، مطبعة بولاق الطبعة الثانية 1336 .

ـ براجشتراسر (جوتلف)

10 ـ التطور النحوي للغة العربيّة ، تعليق رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ودار الرفاعي الرياض 1972 .

ـ البقري (أحمد ماهر)

11 ـ أساليب النفي في القرآن ، دار المعارف بمصر 1980 .

ـ البكوش (الطيب)

12 ـ التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث ، تونس 1973

ـ الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر 255 هـ)

13 ـ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي مصر ، الطبعة الرابعة (د . ت)

ـ جان (كانتينو)

14 ـ دروس في علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادي ، الشركة التونسيّة لفنون الرسم 1966 .

— الجرجاني (أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن 471 هـ)

15 — دلائل الاعجاز في علم المعاني ، تصحيح الشيخ محمد عبده ، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي . ومراجعة محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 1973 .

— ابن جعفر (قدامة 327 هـ)

16 — نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، الطبعة الأولى 1980 .

— ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني 392 هـ)

17 — الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الثانية (د . ت)

18 — المنصف ، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده مصر ، الطبعة الأولى 1954 .

— الجوزو (مصطفى)

19 — نظريات في الشعر عند العرب الجاهليّة والعصر الاسلامي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الأولى 1971 .

— جورج (مونان)

20 — تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ، ترجمة بدر الدين القاسم دمشق 1972 .

21 — مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، منشورات الجديد تونس 1981 .

— حركات (مصطفى)

22 — كتاب العروض (القصيدة العربية بين النظرية والواقع ، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية 1986 .

— حسان (تمام)

23 — اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية 1979 .

24 — مناهج البحث في اللغة . الشركة الجديدة دار الثقافة الدار البيضاء المغرب 1979 .

— الحملاوي (أحمد)

25 — كتاب شذ العرف في فن الصرف ، الطبعة السادسة عشر مصر 1965 .

— الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي 626 هـ)

26 — معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر (د . ت)

— خرما (نايف)

27 — أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، الطبعة الثانية 1979 .

— الخولي (محمد علي)

28 — قواعد تحويلية اللغة العربية ، دار المريخ المملكة السعوديّة الرياض ، الطبعة الأولى 1971 .

— دك الباب (جعفر)

29 — الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني ، (نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث) ، مطبعة الجليل دمشق ، الطبعة الأولى 1980 .

— ابن ذريل (عدنان)

30 — اللغة والأسلوب (دراسة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1980 .

— الراجحي (عبده)

31 — التطبيق الصرفيّ ، دار النهضة العربية بيروت 1979 .

32 — فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، للطباعة والنشر بيروت 1979 .

33 — النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) ، دار النهضة العربية بيروت 1979 .

— راضي (عبد الكريم)

34 — نظرية اللغة في النقد الأدبيّ ، مكتبة الخانجي بمصر 1980 .

— ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني 456 هـ)

35 — العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل بيروت، الطبعة الخامسة 1981

— الرّماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي 384 هـ)

36 — كتاب معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د. ت).

— الزجاجي (أبو القاسم 337)

37 — الايضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة 1979

— الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله 794 هـ)

38 — البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية 1972.

— الزركلي (خير الدين)

39 — الأعلام، مطبعة كوستاتسوماس وشركائه، الطبعة الثانية 1954 — 1955.

— الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي 538 هـ)

40 — الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1977.

— أبو زيد (علي)

41 — البديعيات في الأدب العربيّ (نشأتها — تطورها — أثرها)، مطبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى 1983.

— الساقي (فاضل مصطفى)

42 — أقسام الكلام العربيّ من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي القاهرة 1977.

— السعران (محمود)

43 — علم اللغة، مقدمة للقارئ العربيّ، دار الكتب المصريّة 1962.

— أبو السعود (عباس)

44 — الفيصل في ألوان الجموع، دار المعارف مصر 1971.

— السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي 626 هـ)

45 — مفتاح العلوم، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1937.

— سلومة (تامر)

46 — نظرية اللغة والجمال في النقد العربيّ، دار الحوار سورية، الطبعة الأولى 1983.

— سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر 180 هـ)

47 — الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية 1983.

— السيد (عز الدين علي)

48 — التكرار النمطي بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمديّة القاهرة، الطبعة الأولى 1973.

— السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن 911 هـ)

49 — المزهر في علوم اللغة وأنواعها، صحّحه وشرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر (د. ت)

50 — همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت 1975.

51 — الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي بالقاهرة 1368 هـ.

— شاهين (عبد الصبور)

52 — في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة 1980.

— الشايب (أحمد)

53 — الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة 1976.

— شوقي (أحمد)

54 — "الشوقيات"، دار الكتاب العربيّ بيروت (د.ت)

ـ صافي حسين (علي)

55 ـ الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري دراسة في الأدب المصريّ ، دار المعارف بمصر 1964 .

ـ صبحي (الصالح)

56 ـ دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة التاسعة 1981 .

ـ طحّان (ريمون)

57 ـ الألسنية العربية ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الثانية 1981 .

ـ الطرابلسي (محمد الهادي)

58 ـ خصائص الأسلوب في "الشوقيات" ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسيّة 1981 .

ـ عاشور (المنصف)

59 ـ التركيب اللغوي عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 .

ـ عبّادة (محمد إبراهيم)

60 ـ الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ، مطبعة نشأة المعارف بالأسكندرية 1984 .

ـ عبد التواب (رمضان)

61 ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى 1982 .

ـ العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل 395 هـ)

62 ـ كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1981 .

ـ ابن عصفور (الاشبيلي 669 هـ)

63 ـ الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، الطبعة الرابعة 1979 .

ـ العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم 749 هـ)

64 ـ الطراز المتضمن لأسرار اللاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت 1980

ـ العقاد (عباس محمود)

65 ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة 1970 .

ـ ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي 769 هـ)

66 ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت ، الطبعة السادسة عشرة 1974 .

— عيّاد (شكري)؟

67 — موسيقى الشعر العربيّ (مشروع دراسة علميّة)، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1973.

— ابن عيسى (حنفي)

68 — محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (د.ت)

— الغزي (بدر الدين محمد 984 هـ)

69 — الزبدة في شرح البردة، حققها وقدّم لها ودرسها عمر موسى باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1972.

— ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا 395 هـ)

70 — الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر بيروت 1963.

— القالي (أبو علي 967 هـ)

71 — كتاب أفعل، تحقيق محمد عاشور، تونس (د.ت)

— قباوة (فخر الدين)

72 — تصريف الأفعال والاسماء، جامعة حلب كلية الآداب 1978

— ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم 276 هـ)

73 — أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، الطبعة الرابعة 1963.

— القرطاجني (أبو الحسن حازم 684 هـ)

74 — منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية 1981 .

— القيرواني (أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني 412 هـ)

75 — ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تحقيق المنجي الكعبي ، الدار التونسية للنشر 1971 .

— الكتبي (علي محمد بن شاكر 764 هـ)

76 — فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، بيروت 1973

— كشك (أحمد)

77 — من وظائف الصوت اللغوي : محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي ، مطبعة المدينة بدار السلام القاهرة 1983 .

— لاشين (عبد الفتاح)

78 — الفاصلة في القرآن ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1982 .

— ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد 672 هـ)

79 — تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب للطباعة والنشر 1968 .

— ماريو باي

80 — أسس علم اللغة . ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، مطبعة عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الثانية 1983 .

- المبارك (محمد)

81 - فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة لكلمة العربية وعرضها لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة 1981

- مبارك (مبارك)

82 - قواعد اللغة العربية ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الأولى 1973 .

- مبارك (زكي)

83 - المدائح النبوية في الأدب العربي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1935 .

- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد 285 هـ)

84 - المقتضب ، تحقيق عمر عبد الخالق عضيمة (د . ت)

- محجوب (فاطمة)

85 - دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1976 .

- محمد بشر (كمال)

86 - علم اللغة العام / الأصوات ، دار المعارف ، الطبعة السابعة 1980 .

- مختار عمر (أحمد)

87 - دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 1971.

- المخزومي (مهدى)

88 - في النحو العربي نقد وتوجيه منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى 1964.

- مرتاض (عبد المالك)

89 - النص الأدبيّ من أين؟ والى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.

- المسدي (عبد السلام)

90 - الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس 1977.

91 - النقد والحداثة، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى 1983.

- المسدي (عبد السلام) والطرابلسي الهادي)

92 - الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1980.

- مصطفى بكر (محمد صلاح الدين)

93 - النحو الوصفي من خلال القرآن، الجزء الثاني، مؤسسة الصباح الكويت (د.ت)

- المطلبي (مالك يوسف)

94 - في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية 1981.

- مطر (عبد العزيز)

95 - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، مطبعة دار المعارف الطبعة الثانية 1981 .

- ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله 296 هـ)

96 - كتاب البديع ، تحقيق اغناطيوس كراتشفوسكي ، دار المسيرة الطبعة الثانية 1982 .

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن عمر بن مكرم 711 هـ)

97 - لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان (د . ت)

- الميداني (أحمد بن محمد 518 هـ)

98 - نزهة الطرف في علم الصرف ، تحقيق السيد محمد عبد المقصود درويش ، دار الطباعة الحديثة مصر ، الطبعة الأولى 1982 .

- نخلة (محمود أحمد)

99 - لغة القرآن في جزء عمّ ، دار النهضة العربية بيروت 1981 .

- نعيم (مؤيد إسماعيل)

100 - الصيغ الرباعية والخماسية ، اشتقاقا ودلالة ، مطبعة الحجاز دمشق 1983 .

- نور الدين (عصام)

101 - أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، دراسة لسانية ولغوية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان 1982 .

ـ النويهي (محمد)

102 ـ الشعر الجاهلي : منهج في دراسته ونقده ، القاهرة (د . ت)

ـ نويوات (موسى بن محمد بن الطياني الأحمدي)

103 ـ المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي بيروت 1969 .

104 ـ معجم الأفعال المتعدية بحرف ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى 1979 .

ـ هنري (فليش)

105 ـ العربية الفصحى ، نحو بناء لغوي جديد ، تعريف وتحقيق عبد الصبور شاهين ، دار المشرق م م بيروت ، الطبعة الثانية (د . ت) .

ـ ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري 761هـ)

106 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة وشركة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت)

ـ هوميروس)

107 ـ الإلياذة ، تعريب سليمان البستاني ، مطبعة البابي الحلبي القاهرة 1933 .

ـ اليسوعي (الأب رفائيل نخلة)

108 ـ غرائب اللغة العربية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، الطبعة الثانية 1960 .

— ابن يعيش (موفق الدين ابن يعيش بن علي بن يعيش النحوي 643 هـ)

109 — شرح المفصل ، مكتبة المتنبي القاهرة (د . ت)

ب — الرسائل المخطوطة

— أحمد صلاح (سميح محمود)

1 — البوصيري ومدائحه النبوية ، رسالة ما جستير غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآداب 1978 .

— خان (محمد)

2 — نظام الجملة ودلالاتها في سورة البقرة ، رسالة ما جستير غير منشورة ، جامعة عنابة الجزائر 1985 .

— الشايع عبد الرحمن (ندي)

3 — ديوان عمرو بن قميئة : معجم ودراسة دلالية ، رسالة ما جستير، غير منشورة جامعة القاهرة ، كلية الآداب 1978 .

— علي (مصطفى إبراهيم)

4 — البنية اللغوية لشعر عروة بن الورد ، رسالة ما جستير غير منشورة ، جامعة القاهرة كلية الآداب 1978 .

ج — المجلات والدوريات والملتقيات

1 — فصول ، مجلة النقد الأدبيّ ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بولاق القاهرة 1983 .

2 ـ اللسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري ، المجلد الأول الجزء الأول والثاني سنة 1971 ، والمجلد الثاني سنة 1972 والعدد الرابع سنة 1973 ـ 1974 ، معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر .

3 ـ المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، العدد 66 ، و 67 ، نشرية مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية الجامعة التونسية 1981 .

4 ـ مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن عشر ، المطبعة الأميرية القاهرة 1965 .

5 ـ ملتقى دولي حول التحليل اللساني للنصوص (جامعة عنابة ، معهد اللغة والأدب العربي الجزائر من 6 الى 9 ماي 1985 .

المراجع الأجنبية

- Andret Martinet

1- Eléments de linguistique générale, A.Colin, Paris 1980

- Ferdinand de saussure

2-Cours de linguistique générale, Publié par Charles Bally et Albert sechaye, edition critique préparée par Tullio de Mauro 1980

- Georges Mounin

3- Dictionnaire de linguistique, PUF, 1974

4- Clefs pour la linguistique, seghers, Paris 1968,1971

-Jean Dubois

5- Grammaire structurale du français la phrase et les transformations, librairie larousse paris 1969

- Jean Dubois et autres

6- Dictionnaire de linguistique, librairie larousse 1973

- Joseph vendryes

7- Le langage introduction linguistique à l'histoire, Albin Michel, Paris 1968

- Noam Chomsky

8- Aspets de la théorie syntaxique, traduction de jean-Claude Milner, édition du seuil, Paris 1971

- Oswald Ducrot et TZVTAN TODOROV

9- Dictionnaire ency clopédique des sciences du langage é édition du seuil 1972

- Pierre Guirand

10- Que sais-je la stylistique, 5é;édition, PUF 1967

الفهرس

الفهرس التفصيلي

المقدمة ..... أ ـ ز

الفصل الأول : البنية الصوتية ..... 1 ـ 67

التمهيد 1

أولا ـ موسيقى الأصوات 9

1 ـ الوزن 9

أ ـ البحر 9

ب ـ الأعاريض والأضرب 11

ج ـ الزحافات 11

د ـ الوزن والواقع الشعريّ 15

هـ ـ الوزن وعلم الأصوات 16

2 ـ القافية 17

3 ـ المقاطع الصوتية 27

4 ـ الترصيع 30

أ ـ المتوازي 31

ب ـ المطرّف 33

ج ـ المتوازن 35

ثانيا ـ الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى 37

التمهيد 37

1 ـ تكرار الصوت بعينه 41

الفهرس التفصيلي

المقدمة ..... أ ـ ز

الفصل الأول : البنية الصوتية ..... 1 ـ 67

التمهيد 1

أولا ـ موسيقى الأصوات 9

1 ـ الوزن 9

أ ـ البحر 9

ب ـ الأعاريض والأضرب 11

ج ـ الزحافات 11

د ـ الوزن والواقع الشعريّ 15

هـ ـ الوزن وعلم الأصوات 16

2 ـ القافية 17

3 ـ المقاطع الصوتية 27

4 ـ الترصيع 30

أ ـ المتوازي 31

ب ـ المطرّف 33

ج ـ المتوازن 35

ثانيا ـ الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى 37

التمهيد 37

1 ـ تكرار الصوت بعينه 41

أ ـ الصامت الانفجاريّ 41
ب ـ الصامت الاحتكاكي 42
ج ـ الصامت الانفجاريّ الاحتكاكي 43
د ـ الصامت المكرر 44
هـ ـ الصامت المنحرف 44
2 ـ تكرار أصوات مجتمعة 48
أ ـ التجنيس 48
ب ـ التصدير 61
ج ـ التذييل 64
الخاتمة 66

الفصل الثاني : البنية الصرفية ..... 68 ـ 138
التمهيد 68
أولا ـ بنية الأفعال 71
أ ـ الصيغ البسيطة 71
ب ـ الصيغ المركبة 84
1 ـ النمط الأول 84
2 ـ النمط الثاني 86
3 ـ النمط الثالث 86

الخاتمة 90

ثانيا ـ بنية الأسماء 92

1 ـ النمط الأول : أبنية ذات مقطع واحد 93

2 ـ النمط الثاني : أبنية ذات مقطعين 98

3 ـ النمط الثالث : أبنية ذات مقاطع ثلاثة 125

4 ـ النمط الرابع : أبنية ذات مقاطع أربعة 137

الخاتمة 137

الفصل الثالث : البنية النحوية ..... 139 ـ 232

التمهيد 139

1 ـ الجملة الطلبية 142

أ ـ جملة الأمر 143

ب ـ جملة النداء 152

ج ـ جملة الاستفهام 158

ـ النمط الأول : 159

ـ النمط الثاني : 162

ـ النمط الثالث : 163

ـ النمط الرابع: 164

ـ النمط الخامس : 165

د ـ جملة النهي 166

هـ ـ جملة الدعاء 168

ـ النمط الأول : 169

ـ النمط الثاني : 170

و ـ جملة الترجي 170

خصائص الجملة الطلبية 172
2 - الجملة الشرطية 175
- النمط الأول : 176
- النمط الثاني : 181
- النمط الثالث : 183
- النمط الرابع 185
- النمط الخامس 186
- النمط السادس 188
- النمط السابع 189
- النمط الثامن 190
- النمط التاسع 191
الخاتمة 192
3 - الجمل ذات الوظائف 193
1 - جملة الفاعل 194
2 - جملة الخبر 194
- النمط الأول 195
- النمط الثاني 195
- النمط الثالث 197
- النمط الرابع 201
- النمط الخامس 202

خصائص جملة الخبر 203
3 - جملة المفعول به 204
- النمط الأول 204
- النمط الثاني 206
- النمط الثالث 206
- النمط الرابع 206
4 - جملة الحال 207
- النمط الأول 207
- النمط الثاني 209
- النمط الثالث 210
- النمط الرابع 211
- النمط الخامس 212
- النمط السادس 213
خصائص الجملة الحالية 214
5 - جملة النعت 215
- النمط الأول 215
- النمط الثاني 218
- النمط الثالث 218
- النمط الرابع 219
- النمط الخامس 219

خصائص جملة النعت 221

6 ـ جملة التعليل 222

ـ النمط الأول 222

ـ النمط الثاني 225

ـ النمط الثالث 226

خصائص الجملة التعليلية 228

7 ـ جملة الغاية 229

ـ النمط الأول 229

ـ النمط الثاني 231

ـ النمط الثالث 231

خصائص الجملة الغائية 232

الخاتمة 234

ثبت المصادر والمراجع 242

الفهرس التفصيلي لمحتوى الرسالة 261

أ ـ مصدر ميمي : معذرة (239 ـ 5) ـ معدلة (245 ـ 5) .

ب ـ اسم مكان : منزلة

ـ " وبتّ ترقى إلى ان نلت منزلة .: من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم " (245) .

3 ـ مفعّلة .

بناء مفعلة صفة للمفعول المؤنث : محدثة .

ـ " آيات حق من الرحمن محدثة .: قديمة صفة الموصوف بالقدم " (244) .

4 ـ مفعِلة .

هذا البناء صفة للفاعل المؤنث : معجزة

ـ " دامت لدينا نفاقت كل معجزة .: من النبيّين إذ جاءت ولم تدم " (244) .

5 ـ مفتعِل

بناء مفتعل صفة الفاعل =

مضطرم (239 + 4) ـ مستتر (239 ـ 6) ـ محتشم (239 ـ 10) ـ ملتئم (242 ـ 11) ـ

ملتثم (242 ـ 6) ـ محتلم (244 ـ 1) ـ مصطلم (246 ـ 11) ـ ملتطم (246 ـ 10) ـ

محتسب (246 ـ 11) ـ ملتزم (248 ـ 6) . ملتمس (241 ـ 5) ـ ملتثم (242 ـ 8) ـ

مشتمل (242 ـ 4) ـ متسم (242 ـ 4) ـ معتبر (245 ـ 9) ـ مكتتم (245 ـ 16) ـ

مستلم (245 ـ 14) ـ مستبق (245 ـ 14) ـ مختتم (245 ـ 9) ـ منتظم (244 ـ 7) ـ

مكرر مرتين ـ منتصر (247 ـ 7) ـ منتشق (242 ـ 8) ـ منتدب (246 ـ 11) ـ

منتقم (248 ـ 10) ـ منتفض (248 ـ 2) .

نلاحظ في هذا الاستخدام ظاهرة الانسجام بين أصوات الصيغ ، فالأبنية : مستتر ، محتلم ، محتشم ، محتسب ، مشتمل ، مكتتم ، مستلم ، مستبق ، فاء فعلها صوت مهموس ـ س ، ح ، ش ، ك ـ مصحوب بصوت يشبهه في صفة الهمس وهو تاء افتعل المذكور في الوزن .